

تَقِيَّةُ الْإِحْلَاصِ
لَا تُقَصِّدُ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْاِخْلَاصِ

تالیف

شیخ الاسلام محمد رفیع الدین قادری صاحب دارالعلوم دیوبند

۵۷۲۸۰ ۶۶۱

راجع مقصودہ وخرج احادیثہ وعلق علیہ

ڈاکٹر کبیر غنی صاحب دارالعلوم دیوبند

ڈاکٹر ارمینا بیگم

جو مہای . الہند

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبع في دار السلفية

١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م

الدَّارُ السَّلَفِيَّةُ

٦/٨ - الى حضرت تيريس

شارع شيخ حفيظ الدين

بومباي ٨٠٠٠٠٤ - الهند

هاتف : ٣٩٦٧٤٧ / ٣٧٧٧٥٥

تلكو : ٧٦٨٣٢ - ١١ سلفان

برقيا - السلفية .



AL-DARUSSALAFIAH

5/8-A, HAZRAT TERRACE ANNEXE,

SHAIKH HAFIZUDDIN ROAD,

BYCULLA BRIDGE, BOMBAY 400 008.

TELEX : 011 76832 Salf IN.

GRAM : ALSALAFIAH MANDVI, BOMBAY 3.

الاهداء

الى العلامة الجليل والداعية الكبير الشيخ المحترم عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز - تولاہ الله بحفظه ورعايته - الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، بالمملكة العربية السعودية - والموجه الديني للحركة السلفية في العالم ، تتشرف الدارالسلفية باهداء هذا الكتاب - الذي هو اول منشوراتها بعد التطوير - تقديرا لجهوده المباركة في نشر تعاليم الاسلام الصحيحة وتوعية عامة المسلمين في امور الدين ، وتعبيرا عن امتناننا البالغ وشكرنا الخالص على تعاونه المستمر وتعاطفه الدائم مع الدارالسلفية ، وتشجيعه لاصحابها القيمة في مجال خدمة العلم واحياء التراث . فجزاه الله احسن الجزاء ، ووفقہ لمزيد من الاعمال النافعة للاسلام والمسلمين ، وجعلها خالصة لوجه الكريم . انه على كل شيققدير - آمين .

الدارالسلفية

الدارالسلفية في سطور

١:- اسست في مدينة بومبائي في عام ١٩٧٥ م واكتسبت شهرة عالمية في فترة قصيرة .

٢:- وهي اول دار للطباعة والنشر في الهند مجهزة باحدث الالات والمكينات للطباعة العربية .

٣:- دعوتها الاساسية الرجوع الى الكتاب والسنة والتخلي عن العصبية المذهبية واتباع الاهواء والاراء الشخصية .

٤:- هي اول مؤسسة للطباعة والنشر في الهند عكفت على نشر التراث الاسلامي بالتحقيق العلمي، واحياء السنة النبوية واخاد البدع الشيطانية. كما انها تعمل دوما على ترويج الفكرة السلفية، وتحرير العقول والاذهان من رواسب العقائد الوثنية والعادات والتقاليد الجاهلية .

٥:- صدر منها اكثر من ٧٠ كتابا باللغات المختلفة، ومن اهم مطبوعاتها باللغة العربية :

١ - المصنف في الاحاديث والاثار لابي بكر بن ابي شيبة العسبي (م ٢٣٥ هـ) في ١٥ جزءاً .

٢ - فهارس المصنف في جزئين .

٣ - التبصرة في القراءات السبع لمكي بن حموش (م ٤٣٧ هـ) .

٤ - كتاب الامثال (في الحديث) لأبي الشيخ الاصبهاني (م ٣٦٩هـ).

٥ - امثال الحديث لابي محمد الرامهرمزي (م ٣٦٠ هـ) .

٦ - كتاب فيه ذكر الدنيا والزهد فيها لابي بكر بن ابي
عاصم النبيل (م ٢٨٨ هـ) .

٧ - رسالة في الرد على الرافضة لابي حامد المقدسي (م ٨٨٨ هـ).

٨ - مناسبات تراجم ابواب البخاري لابن جماعة (م ٧٣٣ هـ).

وغير ذلك .

٦:-يجري العمل حاليا في تحقيق الجامع المصنف في شعب الايمان للامام
ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨ هـ) ؛ وسيصدر الجزء الاول منه قريبا
انشاء الله .

☆☆☆

كلمة الناشر

يسر الدار السلفية ان تقدم للقراء كتاب « تفسير سورة اخلاص » لشيخ الاسلام ، اوجد الانام ، علم الاعلام تقى الدين ، ابى العباس اجد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ابن تيمية ، الحرافى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، فى سلسلة احياء التراث الاسلامى ، اسهاما فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وخدمة الدين الاسلامى ، وسبق ان اصدرت الدار عددا من كتب التراث الاسلامى تم طبعها لأول مرة ، ولكن عدم توفر الوسائل الحديثة للطباعة حال دون اخراج هذه الكتب بالطريقة التى ترضى القراء ، وتوافق رغبة المسئولين فى الدار ، وكانت امنية الحصول على المطابع الحديثة تراود افكارهم ، وتجهول فى خواطرم منذ فترة ، ولم يكن من السهل تحقيقها ، ولكن الله تعالى سهلها للنيات الصادقة والرغبات الخالصة التى كانت وراء الحصول عليها . ولما توفرت الوسائل ، وكان العمل مستمرا على قدم وساق فى تحقيق السفر الجليل « الجامع المصنف فى شعب الايمان » لخاتمة المحدثين الامام ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، اتفقت آراء المسئولين على ان يتم بدء العمل فى المطبعة الجديدة بكتاب الله العزيز ، ثم يبدأ بطبع « الجامع المصنف » . وتم اختيار « تفسير سورة الاخلاص » لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث انه يتضمن الكلام على السورة التى تحتوى على زبدة ما قرره القرآن فى التوحيد ولذلك « عدلت بثلاث القرآن » والدار السلفية تصرف عنايتها الى

تقرير مبدأ التوحيد ، وأصدرت مؤلفات عديدة في هذا المجال إيماناً من أصحابها بأنه أساس الدين وعموده الجذرى ، فالاخلال بهذا المبدأ يودى بكل ما يعمل به المرء من أعمال حسنة كما أشار إليه النبي ﷺ حينما سألته عائشة عن ابن جعدان الذى كان يقوم بأعمال الخير والبر للناس هل ينفعه ذلك ؟ فقال : عليه الصلاة والسلام : لا ، لأنه لم يقل يوماً قط ، رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين .

أى انه لم يقر بالتوحيد ، ولم يعترف بالوهية الإله الواحد القهار ، ويتوجه إليه مجلصاً لوجهه الدين ، وسأله المغفرة .

كما لاحظنا ان مبدأ الاخلال بالتوحيد في كثير من الأحيان — بخاصة عند الطوائف التى تدعى الايمان بالله وبرسوله — هو عدم فهم هذا الركن الاساسى من الدين . ووجدنا ان خير من يقرر هذا المبدأ ويشرحه احسن تفسير ، بالاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة ، هو زعيم المنهج السلفى ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، الذى نادى بضرورة أخذ مبادئ الدين الاساسية من الكتاب والسنة الصحيحة ، وعدم الخوض فى المسائل الكلامية على طريقة المتكلمين . فالقرآن والسنة يشتملان على قواعد واضحة ، ومبادئ قيمة لما يجب على المرء فى مجال العقيدة والعبادات والمعاملات وغير ذلك من جوانب الحياة .

ولذلك قررنا ان تكون بداية اعمالنا بعد تطوير وسائل الطباعة برسالة شيخ الاسلام فى تفسير سورة الاخلاص .

وكان هذا القرار تأكيداً لمنهجنا الذى نتمسك به فى دعوتنا وهو منهج السلف الصالح من الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل ما يعرض الامة من مشاكل واحداث ، واللجوء الى الاجتهاد — فى حالة عدم وجود نص صريح قاطع فيها — واختيار احسن وانسب الاقوال ، وترك ما سواه ، بناء على قول مالك — رضى الله عنه — كل واحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، وأشار الى قبر النبي ﷺ .

لهذه الاسباب كان اختيارنا لهذه الرسالة النافعة لى تكون اول مطبوعاتنا بعد التطوير ، والاعمال بالنيات ، كما قال الصادق والمصدق ﷺ « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » .

ونرجو من اخواننا القراء واساتذة الجامعات ان لا يرضوا بما لديهم من
الاقتراحات او الملاحظات ، بل يفيدوننا بها لكي نتمكن من اصلاح ما يمكن ان
صدر منا من الأخطاء ، وتسديد مناهجنا وتغيير برامجنا حسب الضروة . كما
نريد ان نؤكد باننا نحاول — أقصى ما يمكن — ان تقدم الى المكتبة الاسلامية
من كتب التراث ما يزيدنا ثراء وفضى . وهدفنا هو خدمة العلم والمشتغلين به .

وندعو الله عزوجل ان يوفقنا ، ويسدد خطانا ، ويسلك بنا الصراط
المستقيم ، ويجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وينفع بها الامة الاسلامية .
ويجعلها وسيلة النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم .
وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على النبي الكريم .

☆☆☆

مختار احمد الندوى
الرئيس العام للدار السلفية
بومباي — الهند

١ / شعبان سنة ١٤٠٦ هـ
الموافق ١١ / ابريل سنة ١٩٨٦ م

ترجمة المؤلف

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ، ابن تيمية ، الحراني ،
الدمشقي ، شيخ الاسلام ، تقي الدين ، ابو العباس . الامام ، علم الاعلام ،
المجاهد ، القدوة ، اوجد زمانه في العلم والاطلاع ، ومعرفة الاحكام ، واستنباط
المسائل مع الزهد في الدنيا ، والمكوف على العبادة ، والتوكل على الله ، والاهتمام
باصلاح المجتمع .

ولد في سنة احدى وستين وستائة في حرّان ، وانتقل به ابوه الى دمشق سنة
٦٦٧ هـ بعد استيلاء التتر على حرّان . وكانت سنّه اذ ذاك ست سنوات .
وتركت هذه الحادثة وما جرى فيها من اغتصاب اراضي المسلمين ، وسفك
الدماء ، وهتك الاعراض ، أشارا سيئة ، وذكريات مفجعة في نفس ابن تيمية
الطفل ، ولعله قضى سنوات في قلق واضطراب لمعرفة الاسباب التي اذت الى
ضعف كيان الامة الاسلامية ، وتوهين قواها ، ولما شب وترعرع ، وقرأ وتعلم ،
وشاهد ما كان يجري في البلاد الاسلامية ، وما كان عليه المسلمون من الفساد
السياسي ، والخلقي والديني ، ادرك ان السبب الرئيسي في تخلف المسلمين ،
وعجزهم عن التصدي لأعدائهم والدفاع عن بلادهم ، هو انحرافهم عن الصراط
المستقيم الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ . فعزم على الجهاد والكفاح ضدّ
المنحرفين والمبتدعين وكشف دسائسهم واباطيلهم التي بها كانوا يسيطرون على
عقول عامة الناس ، وصمم في الوقت نفسه — على اعداد العدة للوقوف في وجه
تيار الزحف التتري ، الذي كان يكتسح البلاد الاسلامية في ذلك الوقت . وكان
له في ذلك مواقف بطولية ياتي ذكرها فيما بعد .

توسع شيخ الاسلام ابن تيمية في تحصيل العلوم — العقلية والنقلية — حتى بلغ فيها مبلغا لا يدرك شأوه ، وأصبح مجرا لا يدرك قعره . عكف على قراءة القرآن ومعرفة معانيه ، حتى بلغ فيه الغاية ، وتقل عنه انه قال : « انى وقفت على مائة وعشرين تفسيرا ، استحضر من الجميع الصحيح الذى فيها » .

وهذا مكنه من الكلام على آراء المفسرين ، وتقدير اقوالهم حيث يرى انها لا توافق ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الصحيح . وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، لم يكن يعرف له نظير ، يستمر فى تفسير آية واحدة يومين او اكثر ، ياتى بمعانى بديعة ، ويستخرج دقائق خفية ، ونكات بارعة لم تخطر على بال أحد ، كل ذلك ببساطة حلوة سهلة ، واسلوب مقنع مفهم . وكان يرجع فى اثبات رأيه — اولا — الى القرآن ، يسرد منه آية بعد آية فى الاستشهاد للسئلة التى يوردها ، لم يكن احد اسرع منه فى انتزاع الآيات القرآنية والاستدلال بها . ونجد امثله من ذلك فى هذا الكتاب .

وبقيت علاقته القوية بكتاب الله الى آخر عمره . يقول : وهو فى السجن الذى توفى فيه :

« قد فتح الله علىّ فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن ، ومن اصول العلم اشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع اكثر اوقاتي فى غير معانى القرآن » .

ولم يمكن علمه بالحديث بأقل من معرفته للقرآن ، فقد حفظ من المتون ما يعجز عنه اكثر العلماء ، يستحضر الاحاديث وقت المناقشة ويعزوكل حديث الى مخرجه ، ويبين درجته من الصحة والضعف ، وبلغ فى ذلك درجة لم يبلغها احد فى عصره بحيث يصدق عليه ان يقال :

« كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث »

وكذلك علمه بالفقه ومعرفته بمذاهب الفقهاء ، لم يكن يجاريه فى ذلك احد من علماء عصره ، ولكنه لم يكن ملتزما بمذهب معين — كعادة العلماء فى ذلك الوقت — بل كان يتبع ما يقوم عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة ويفقى به ، لا يخاف فى ذلك لومة لائم .

واما اصول الدين ، ومعرفة اقوال الفرق الضالة من الخوارج ، والروافض ،
والمعتزلة ، والمبتدعة ، ووجوه الرد عليها ، فكان لا يثيق فيها غباره .

هذا مع ما كان يتمتع من خلق حسن وسيرة طيبة من الكرم البالغ ،
والشجاعة المفرطة ، والزهد في الدنيا .

وصفه الذهبي فقال :

« كان قَوَّالاً بالحق ، نَهَاءً عن المنكر ، ذاسطو ، واقدام ، وعدم مداراة » .

ويقول — معترفاً بالمعجز عن استيعاب سيرته :

« وهو اكبر من ان ينْبَه على سيرته مثلى . فلو حلفت بين الركن والمقام
لحلفت : انى ما رأيت بعينى مثله ، وانه ما رأى مثل نفسه » .

وافاد الناس بكل ما علم وتعلم ، وادرك وحصل ، والف كتباً ورسائل مفيدة
نافعة . ولم يقتصر نشاطه في مجال العلم والفتيا والتاليف والتصنيف ، بل شارك
فعلاً في الجهاد ضد التتر ، وشجع الامراء والسلاطين على الحرب ضدهم ، والدفاع
عن حرمى الاسلام ، وسافر لأجل ذلك من دمشق الى مصر ، وكلم السلطان بجرأة
نادرة ، وقال له انه اذا تخاذل عن نصر رعاياه في دمشق فسوف يستبدل به الله
رجلاً آخر يؤدى هذه الفريضة ، لأن الله اعلن في كتابه :

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

وكان من نتيجة وعظه ان تقدم السلطان بجيشه الى دمشق . وقد
حيرت تلك الجرأة علماء مصر — ومنهم الشيخ ابن دقيق العيد .
ولكنه الايمان الكامل بالله ، والتوكل عليه . فالذين يخافون الله
لا يخافون غيره .

ومن مظاهرة قوة ايمانه انه ذهب ليقابل ملك التتر — ذلك
الرجل الذى كان يخاف من اسمه سلاطين العصر — وكلّمه كلاماً شديداً
وعظه موعظة بليغة ، وامره بالنصح للسلمين ، والكفّ عن اذاهم .
وكان لذلك تأثير حسن في نفس الملك

وكان في ايام القتال مع المجاهدين ، يتلو عليهم آيات من الذكر الحكيم لرفع معنوياتهم ، ويلقى عليهم موعظة بليغة للحض علي الجهاد .

ومن امثلة اعلانه بالحق دون خوف انه سئل في كيفية قتال التتر من اى قبيل هو ؟ فانهم يظهرون الاسلام ، وليسوا بغاة على الامام ، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه .

فاجاب : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ورأوا انهم احق بالامر منها ، وهؤلاء يزعمون انهم احق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو اعظم منه باضعاف مضاعفة .
وكان يقول للناس :

« اذا رأيتوني من ذلك الجانب ، وعلى راسي مصحف فاقتلوني » .

واما دفاعه عن الاسلام ضدا هواء المخرفين وضلالات المبتدعين فقد ضرب فيه مثلا رائعا ، وترك نموذجا مثاليا يجب ان يقتدى به كل من تحدته نفسه بالاصلاح الديني . فقد شن هجوما عنيفا — لاهوادة فيه — على المبتدعين من الصوفية والقبوريين الذين شوّهوا تعاليم الاسلام ، وحرفوا الكلم عن مواضعه للمنفعة العاجلة ، والمصالح الشخصية فقام شيخ الاسلام ضدهم ، وردّ على دعاويهم ومفترياتهم ، ودك حصونهم ومعقلهم ، فلما لم يجدوا منفذا ، ورأوا ان دسائسهم قد انكشفت ، ومحاولاتهم لخداع الناس قد ظهرت ، لجأوا الى الحكام والسلطين ، وأغروم ضده ، فلاق منهم اذى كبيرا ، وأوذى ، وسجن عدة مرات في دمشق وفي القاهرة لكن ذلك لم يوتر في نشاطه ، ولم يمنعه من الجهر بالحق .

ساومه الفقراء الاحمدية ، وسألوا نائب السلطنة في دمشق بحضرة الامراء ان يكفّ الشيخ امارته عنهم ، وان يسلم لهم حالهم فقال لهم الشيخ :

« هذا ما يمكن . لابد لكل احد ان يدخل تحت الكتاب والسنة قولا
ولعلا . ومن خرج عنها وجب الانكار عليه » .

وهؤلاء كلما وجدوا فرصة ، تجمعوا ضده ، وألبوا العامة والخاصة
عليه ، ودبروا له مكاييد ، وحاولوا قتله ، اما هو فكان يتأسى بأكرم
الناس واحلم الناس ، سيد الأنبياء محمد ﷺ . فكلما غلب عليهم
وقدر . عفا وصفح وغفر . طلب منه الملك انصار ان يفق في قتل
القضاة الذين تكلموا فيه ، واغراه قائلا :

« انهم قاموا عليك ، وأذكوك » .

لكن الشيخ منعه من ذلك وقال :

« اذا قتلت هؤلاء لاتجد بمدم مثلهم » .

فقال الملك :

« انهم أذكوك ، وارادوا قتلك مرارا » .

فقال : « من آذاني فهو في حل . ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم
منه وانا لا انتصر لنفسي » .

ومازال بالسلطان حق حلم عنهم وصفح .

وهذا الموقف المثالي دفع القاضى ابن مخلوف المالكي — وهو احد
اعدائه — الى ان يقول :

« ما رأينا مثل ابن تيمية ، حرضا عليه فلم تقدر عليه ، وقدر

علينا فصفح عنا وحاجج عنا » .

هذا اعتراف بعلو شان الشيخ وكال درجته في الحلم والعفو عند
المقدرة ، اعترف به احد العلماء في مصر ، ولكن قرناؤه في دمشق لم
يتعلموا من ذلك ، فاستمروا في تدبير المكيدة له ، والوشاية ضده لدى
السلطان . فسجن ، واستمر في جهاده من داخل السجن يكتب
ويفق ، ويطلق قنابل على رؤوس المتبدعين ، حق منعوه من
الكتابة وانتزعوا منه ما كان لديه من وسائل الكتابة وبقي في السجن
الى ان توفي سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله تعالى وارضاه ، واسكنه دار
رضوانه .

وكانت جنازته اكبر شاهد على صدقه واماته ، فلم ير مثل ذلك الجمع على رجل قبله ، وحضر الصلاة عليه اصحاب القرى المجاورة ولم ير احد الا باكيا وناويا . وصدق احمد بن حنبل حين قال :

« قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز » .

فالبدعي يموت وربما لا يشعر بموته احد . اما المجاهد في سبيل احياء السنة ، فوته يحدث ضجة في العالم .

وقال ابن القيم سمعت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

« ما يصنع اعدائي بي ؟ انا جنق وبتناني في صدري . اين رحّت فهي معي ، لا تفارقي . انا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة » .

قال ابن القيم : وعلم الله ما رأيت احدا اطيّب عيشا منه ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاف . وهو مع ذلك اطيّب الناس عيشا ، واشرحهم صدرا ، وافسّوهم قلبا ، واسرّم نفسا ، تلوح نظرة النعم على وجهه . وكنا اذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضائق بنا الارض ، اتيناه . فـا هو الا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله ، وينقلب انشراحا ، وقوة ، ويقينا ، وطهانية .

صدق الله العظيم .

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

☆☆☆

اهم المصادر لترجمة ابن تيمية

- ١ - تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٩٦/٤) :
حيدرآباد ١٩٧٠ م .
- ٢ - الوافي بالوفيات للصفدي (١٥/٧ - ٣٣) :
فيسادن ١٩٨٢ م .
- ٣ - فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (٧٤/١ - ٨٠) :
دار صادر / بيروت ١٩٧٣ م .
- ٤ - البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/١٤ - ١٣٩) :
مكتبة المعارف / بيروت ١٩٧٧ م .
- ٥ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٨٧/٢ - ٤٠٨) :
طبعة مصورة من طبعة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ م .
- ٦ - العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام احمد بن تيمية لابن عبد
الهادي الحنبلي :
مطبعة المدني ١٩٨٣ م .
- ٧ - الاعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية للحفاظ ابي
حفص البزار .

تفسير سورة الاخلاص

هذا الكتاب الذي تقدّمه للقراء هو تفسير سورة الاخلاص من ام مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية . وهو خير دليل على سعة علمه . وكثرة اطلاعه ، وتبحره في العلوم النقلية والعقلية ؛ تتجلى فيه خصائصه التي ينفرد بها من كثرة الاستشهاد بالكتاب والسنة ، وتفنيد مزاعم الفلاسفة والمتكلمين بنفس الطرق التي يستدلون بها .

استخلصنا هذا الكتاب من مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، وابنه محمد رحمهما الله تعالى — ويتقدم التفسير ردّ على سؤال يتعلق بفصائل « قل هو الله احد » ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن .

ولشيخ الاسلام رسالة مستقلة في هذا الموضوع سماها جواب اهل العلم والايان في ان « قل هو الله احد » تعدل ثلث القرآن — موجودة في مجموع فتاواه ، وطبعت مستقلة باسم كتاب جواب اهل الايمان بتحقيق ما اخبر به رسول الرحمن من ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن في مطبعة التقدم بمصر في سنة ١٣٢٢هـ من نسخة الشيخ محمود شكري الآلوسي .

بدأ المؤلف تفسيره بالكلام على معنى « الصمد » ونقل الاثار المروية في ذلك من تفسيري ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي . كما استشهد باقوال اللغويين المعروفين . ثم دخل في البحث لاثبات « صمدية » الله تعالى و « احديته » ، وعدم تماثله لاحد من المخلوقات بوجه من الوجوه .

والكتاب وإن كان ألف في تفسير « قل هو الله احد » ، جاء كتابا مستقلا في التوحيد ، وما يجب ان يثبت لله تعالى من الصفات ، وما يجب ان ينزه —

سبحانه وتعالى — عنه . وقد جرى فيه المؤلف على طريقة السلف : وهي ان نطلق على الباري — جلَّ وعزَّ — من الاسماء والصفات ما وصف هو به نفسه او ما ثبت في كلام رسوله المصطفى ﷺ . اما الالفاظ المستحدثة عند الفلاسفة والمتكلمين من « الجوهر » و« العرض » و« الجسم » و« المتحيز » و« المركب » وما الى ذلك مما لم يرد ذكره في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان فنحن في غنى عن اثباته له ، اونفيه عنه . ويؤكد المؤلف أثناء نقاشه ان « سورة الاخلاص » تتضمن من معاني التوحيد ما لا يمكن التعبير عنه بمبارات اخرى . وفصل الكلام في معنى كونه تعالى « احداً » و« صهداً » وكونه « لم يلد ولم يولد » وبين انه يتضمن الرد على جميع انواع الشرك المعروفة لدى الامم .

واستطرد في نقاشه الى بيان خطأ العلماء المسلمين الذين اغرفوا عن المنهج السوي وذهبوا يلتصقون الحق في غير القرآن والحديث ، كما قام بالمهجوم على المبتدعين الذين يرتكبون جريمة الاشراك بالله بالتوسل والاستغاثة بالشيوخ والاولياء . ويبين كيف ان الشيطان يلعب بعقولهم ويغويهم حتى يجرمهم الى الشرك وهم لا يشعرون . ووضح في هذا الصدد الفرق بين المساجد والمشاهد ، حيث ان الاولى مما امر الله تعالى ونبيه ﷺ ان تعظم وتطهر من كل افعال الشرك ولذلك يجب ان لا تتخذ القبور مساجد ولا ان تبني المساجد على القبور ، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك .

اما المشاهد فلم يرد ذكرها في القرآن ولا في السنة ، ولا عرف من الصحابة والتابعين لهم باحسان انهم كانوا يعظمونها ويقدمونها ، ويتوجهون اليها . بل الاسلام يحرم شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجد النبي ﷺ الذي بالمدينة . يقول المؤلف :

« اما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم ، او دعائهم ، او الاقسام بهم على الله ، او ظن ان الدعاء او الصلاة عند قبورهم افضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشك وبدعة باتفاق المسلمين » .

وقد تناول شيخ الاسلام قضية اخرى هامة في هذا الكتاب وهي :-
هل في القرآن آيات لايعلم تفسيرها ومعناها الا الله ، لاالرسول
ولاملائكة ولاصحابة ولاعلماء ؟

وهذا استدرجه الى البحث في معنى « التاويل » ☆ في قوله تعالى:

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
أَتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ . (١٧/٣)

فذكر اختلاف العلماء على وجوب الوقوف على قوله تعالى « إلاالله » . ثم
تناول كلمة « التاويل » بالبحث والتحقيق.

وملخص كلامه ان « التاويل » له معنيان فقط عند السلف .

١:- الحقيقة الموجودة في الخارج التي يؤول اليها الكلام وهي عين الخبر به اذا
وقع . وقد تكررت كلمة « التاويل » في القرآن في هذا المعنى، كقوله تعالى:

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ » . (٥٢/٧٧)

فوقوع هذه الاخبار يوم القيامة هو تاويل ما اخبر به القران من الوعد
والوعيد ، والجنة والنار ، وما يؤول اليه امر هؤلاء .

وتاويل اخبار القران منه ما مضى كأخبار الامم الماضية ، ومنه ما سيأتي
كاحوال القيامة والبحث

٢:- التفسير والبيان .

☆ انظر كتاب «الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التاويل» الدكتور محمد السيد الجليلند . القاهرة ١٩٧٣ م

وهناك معنى ثالث لكلمة « التاويل » يستعملها فيه المتأخرون من الفقهاء والمفسرين والاصوليين، وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المرجوح لقريئة تقتضى ذلك.

ويرد شيخ الاسلام هذا المعنى الاخير لانه لم يكن معروفا لدى السلف ويعتمد على المعنيين الاولين، وينتهي الى القول بأن معنى التاويل في الاية المذكورة هو: حواقب الامور، والحقيقة الموجودة في الخارج من مدلول اللفظ، وهذه لا يعرفها الا الله، ولذلك يجب الوقف على لفظ الجلالة.

اما ما يروي من "ان بعض السلف وقفوا على « الراسخون في العلم » فعلى « التاويل » عندم يكون: التفسير والبيان، لانه من المكابرة الظاهرة ان يقال ان في القران ايات لم يكن جبريل، ولا الرسول ﷺ ولا احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان يعرف معناه. فالرسول ﷺ كانت وظيفته الاساسية التبليغ والبيان، وكيف يبلغ ويبين اذا لم يكن هو نفسه يعرف معاني الايات التي انزلت عليه؟ وهناك دلائل قوية واثار ثابتة تدل على انه ليس في القران آية الا وتعرض السلف لبيان معناها .

هذه بعض اهم مباحث هذا الكتاب القيم، وسيجد القاري فيه امثلة اخرى من البحث النفيس القائم على الاسس الصحيحة.



استخرجنا هذا الكتاب — كما ذكرنا — من مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية وجاء في الجزء السابع عشر منه من ص ٢١٤ - ٥٠٣ وقبله جواب على سؤال يتعلق بفضيلة قل هو الله احد يقع في سبع صفحات من ٢٠٦ الى ٢١٣، احببنا ادراجه في الكتاب لفائدته.

و تفسير سورة الاخلاص طبع مرات - طبع لاول مرة في المطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٢٢٣هـ من نسخة « قرئت على الاستاذ الفاضل مرجع اهل العراق على الاطلاق آلوسي زاده السيد محمود شكرى افندي متع الله بحياته

— وعني بتصحيحه السيد محمد بدرالدين ابوفراس النعساني الحلبي « كما هو مثبت على الغلاف. ثم اعاد الشيخ محمد منير الدمشقي - صاحب ادارة الطباعة المنيرية - طبعه عام ١٣٥٢هـ وجاء على غلافه:

« صححه وراجع اصوله للمرة الاولى سنة ١٣٥٢هـ »

والواقع انه لم يصححه، ولم يراجع اصوله، بل اعتمد على طبعة المطبعة الحسينية المذكورة، واعادها حرفا بحرف، باخطائها وسقطاتها.

وظهرت منه طبعات اخرى متعددة، لم استطع الاطلاع عليها، منها طبعة صدرت باعتناء الشيخ محمد حامد الفتحي رئيس انصار البهنة الحمديدية، بلغني انه تصرف فيها بالاختصار والتهذيب، والله اعلم.

وقد ذكر الشيخ محمد ابوزهره في كتابه عن ابن تيمية الطبعتين المذكورتين فقط.

ولم يكن اخراج هذا الكتاب من براعنا، ولكن الله - جلّ وعلا - اذ حقق رغبات اصحاب الدارالسلفية - الشيخ مختار احمد الندوي السلفي واولاده - حفظهم الله تعالى - في الحصول على احدث الالات الطباعة العربية، و كانوا من قبل يستغيثون الله ان يحقق آمالهم في اخراج الكتب الدينية في صورة انيقة وطباعة جيدة - قرروا، اداءً لواجب الشكر واعترافاً لنعمته تعالى ان يبدأوا العمل بها في طبع كتاب يتعلق بالتوحيد - الركن الاساسي للدين الاسلامي - ووقع الاختيار على تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية - رحمه الله - حيث ان هذه السورة تحتوي على اهم معاني التوحيد ولذلك عدلت بثلاث القران. ومؤلف التفسير شيخ الاسلام ابن تيمية هو رائد الفكرة السلفية وحامل راية الدعوة بالرجوع الى الكتاب والسنة في عصور التقليد والجمود الفكري . فاختيار كتابه للطبع اعلان عن المبدأ الذي تتسم به الدارالسلفية : وهو تحكيم الكتاب والسنة في كافة شئون الحياة دون اتباع للاهواء والاراء الشخصية.

ولما تقرر اختيار الكتاب ولم يكن عندنا الا مجموع الفتاوى، قررنا اخذ التفسير منه، وبعد ان تم اعداده، وصل السيد اكرم مختار - عضو الدارالسلفية -

الطالب بالدراسات العليا بكلية دارالعلوم، جامعة القاهرة بالنسختين المذكورتين، وقابلنا مسؤدتنا بها، ووجدنا ان ما اعدناه اصح و اكل من النسختين المطبوعتين. وبما ان الكتاب كان تم تصفيف حروفه للطباعة، اضطررنا الى اثبات الفروق بين النسخ في استدراكات وتصويبات في اخر الكتاب.

ولانستطيع ان ندعي ان هذه طبعة محققة تحقيقا علميا، لان تحقيق كتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية يحتاج الى وقت طويل لما في مؤلفاته من مناقشات علمية متنوعة، وبحوث متشابكة، ولم يتوفر لنا مثل هذه الفرصة . ولكننا نستطيع ان نقول ان ما تقدمه للقراء هو اصح ما طبع من هذا الكتاب حتى الان. بذلنا اقصى جهودنا في اقامة النص وكانت النسخ المطبوعة تحتوي على اخطاء في الايات القرآنية ايضا، فقمنا بتصحيحها واشرنا الى الاخطاء في الهامش. كما اشرنا الى مواضع الايات ورقها في السورة. ومنهجنا في ذلك ان نذكر السورة ورقها ورق الاية المذكور.

وقنا بتخريج الاحاديث والاثار مع بيان درجتها من الصحة والضعف وترجمة من احتاج الى التعريف من الرواة. ولم نستوعب تخريج الاحاديث النبوية بل اكتفينا - في الغالب - بعزوها الى الصحاح الست ومسند احمد، اذا وجد الحديث فيها او في احدها.

ويلاحظ القاري ان شيخ الاسلام قلما يشير - في كتابه هذا - الى درجة الحديث والاثار، واورد في مواضع احاديث ضعيفة، بل منها ما عده بعض العلماء من الموضوعات. كما انه لم يلتزم الدقة في سرد المتن فيعزو الحديث الى الصحيحين ويميل منها الى مسند الامام احمد فيسرد لفظه. وقد اشرنا الى هذا في تعليقاتنا .

ويجد القاري احيانا كلمة الاصل في التعليقات. والمراد منه « مجموع الفتاوى » الطبعة الاولى الصادرة من الرياض في سنة ١٣٨٢ هـ ، حيث انه هو الاصل الذي اعتمدنا عليه في بداية الامر.

واود ان اشكر كل الاخوة والاصدقاء الذين ساهموا في اعداد الكتاب وطبعه
واخص بالذكر من بينهم السيد اسلم مختار - المدير العام - للدارالسلفية والسيد
خورشيد انور اللذين قاما باعداد الكتاب بالتصنيف على الكمبيوتر، وتصحيح
الاططاء الموجودة في المسودة . فجزاهما الله احسن الجزاء .

وندعوا الله عز وجل ان يقبل عملنا هذا، وينفع به المسلمين، ويجعله خالصا
لوجه الكريم. وآخره دعوانا ان الحمد لله رب العلمين، وصلى الله على النبي الكريم .



كتبه الراجي رحمة ربه .

عبدالعلي عبدالمحيد

مدير

٤ / شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

الموافق ١٥ / ابريل سنة ١٩٨٦م

قسم التحقيق والبحث العلمي

في الدارالسلفية بومبائي الهند

و سئل شيخ الاسلام

ومفق الانام : تقى الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن
تيمية — رضی الله عنه — عن فتيا صورتها :

ما تقول السادة العلماء في تفسير قول النبي ﷺ في سورة الاخلاص : « إنها
تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » فكيف ذلك مع قلة حروفها ، وكثرة حروف القرآن ؟ يَتَّيَنُوا
لنا ذلك بيانا مبسوطا شافيا ، وأفتونا مأجورين — إن شاء الله تعالى —

فأجاب — رضی الله عنه — بما صورته :

الحمد لله ؛ الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ في فضل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ ﴾ وأنها تعدل ثلث القرآن من أصح الأحاديث وأشهرها ، حتى قال طائفة
من الحفاظ كالدارقطني : لم يَصِحَّ عن النبي ﷺ في فضل سورة من القرآن أكثر
مما صحَّ عنه في فضل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وجاءت الأحاديث بالالفاظ
كقوله : ^(١) « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » وقوله ^(٢) : « من قرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) جاء هذا اللفظ من حديث أبي الدرداء عند مسلم في كتاب صلاة المسافرين (٥٥٦/١) وأخرجه أيضا الدارمي
(٨٥٦) والسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٧٠١)

ومن حديث أبي هريرة عند الترمذي في مسائل القرآن (١٦٨/٥) رقم (٢٨٩٩) وابن ماجة (١٢٤٤/٣) رقم (٣٧٨٧) والحاكم
(٥٦٧)

وكذا من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي (١٦٦/٥) رقم (٢٨٩٤) ورواه الحاكم (٥٦٦/١) وروى نحوه عن أبي سعيد
أخرجه البخاري في مسائل القرآن (١٠٥/٦) وفي الأيمان والنذور (٢٢١/٧) وفي التوحيد (١٦٤/٨)

ورواه في مسائل القرآن وفي التوحيد عن أبي سعيد عن قتادة بن النعمان
وحديث أبي سعيد أخرجه أيضا ابوداود (١٥٢/٣) رقم (١٤٦١) والسائي في مسنده (١٧١/٢) وفي عمل اليوم والليلة
(٦٩٨) وعنه عن قتادة (٧٠٠)

وأحد في مسنده (٤٣٠٣٥٠٣٠١٥/٣) ومالك في الموطأ (٢٠٨) .

ومن أبي أيوب أخرجه السائي في المغني (١٧٢/٢) وفي عمل اليوم والليلة (٦٨٦) والدارمي (٨٥٧) وأحمد (٤١٨/٥) -
(٤١٩)

ومن ابن أحرجه ابن ماجة في مسنده (١٢٤٤/٢) رقم (٣٧٨٨)

ومن أبي مسعود الأنصاري أخرجه ابن ماجة رقم (٣٧٨٩) وأحمد في مسنده (١٢٢/٤) والسائي في عمل اليوم والليلة
(٦٩٣)

ومن أم كلثوم بنت عقبة عن أبي معيط أخرجه أحمد (٤٠٤/٦) والسائي في عمل اليوم والليلة (٦٩٥)

(٢) نسخة السيوطي في الدر المنثور (٦٧٧/٨) للحافظ أبي عبد المرحم في مسائل قل هو الله أحد

أَحَدَ مَرَّةً فَكُنَّا قَرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكُنَّا قَرَأَ ثَلَاثِي الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثًا فَكُنَّا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ » وقوله للناس^(٣) : « احْتَشِدُوا حَتَّى أَقْرَأَ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، فَحَشِدُوا حَتَّى قَرَأَ عَلَيْهِمْ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قال : والذي نفسى بيده إنها تعدل ثلث القرآن » .

واما توجيه ذلك : فقد قالت طائفة من أهل العلم : ان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث : ثلث توحيد ، وثلث قصص ، وثلث امر ونهى . و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هى صفة الرحمن ونسبه ، وهى متضمنة لثلاث القرآن : وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى ، والكلام اما انشاء واما إخبار ، فالانشاء هو الامر والنهى ، وما يتبع ذلك كالإباحة ونحوها وهو الاحكام ، والإخبار : اما إخبار عن الخالق ، وإما إخبار عن المخلوق ، فالإخبار عن الخالق هو التوحيد ، وما يتضمنه من اسماء الله وصفاته ، والإخبار عن المخلوق هو القصص ، وهو الخبر عما كان وعما يكون ، ويدخل فيه الخبر عن الانبياء وأممهم ، ومن كذبهم ، والإخبار عن الجنة والنار ، والثواب والعقاب . قالوا : فبهذا الاعتبار تكون ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، لما فيها من التوحيد الذى هو ثلث معانى القرآن .

بقى ان يقال : فاذا كانت تعدل ثلث القرآن مع قلة حروفها كان للرجل ان يكتفى بها عن سائر القرآن .

فيقال فى جواب ذلك : ان النبى ﷺ قال : « انها تعدل ثلث القرآن » وعُدِّلَ الشَّيْءُ — بالفتح — يقال على ما ليس من جنسه ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ أَفْوَ عُدِّلَ ذَلِكَ صَيَّامًا ﴾ فجعل الصيام عدل كفارة ، وهما جنسان . ولا ريب ان الثواب أنواع مختلفة فى الجنة ، فان كل ما ينتفع به العبد ويلتذ به من مأكول ومشروب ومنكوح ومشوم هو من الثواب ، وأعلاه النظر الى وجه الله تعالى ، واذا كانت أحوال الدنيا لاختلاف منافعها يحتاج اليها كلها ، وان كان بعضها يعدل ما هو اكبر منه فى الصورة ، كما أن الف دينار تعدل من الفضة والطعام

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة (٥٥٧/١) وكذا الترمذى (١٦٧/٥) رقم (٢٩٠٠) واحد فى مسنده (٢٢٩/٣) .

(٤) سورة المائدة (٩٥/٥) .

والثياب وغير ذلك ما هو اكبر منها ، ثم من ملك الذهب فقد ملك ما يعدل مقدار ألف دينار من ذلك ، وإن كان لا يستغنى بذلك عن سائر انواع المال التي ينتفع بها ؛ لأن المساواة وقعت في القدر لا في النوع والصفة ، فكذلك ثواب : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وإن كان يعدل ثواب ثلث القرآن في القدر ، فلا يجب ان يكون مثله في النوع والصفة ، وأما سائر القرآن ففيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ما يحتاج اليه العباد ، فلهذا كان الناس محتاجين لسائر القرآن ، ومنتهجين به منفعة لا تغنى عنها هذه السورة ، وإن كانت تعدل ثلث القرآن .

فهذه المسألة مبنية على اصل : وهو ان القرآن هل يتفاضل في نفسه ، فيكون بعضه أفضل من بعض ؟ وهذا فيه للمتأخرين قولان مشهوران ، منهم من قال : لا يتفاضل في نفسه ؛ لأنه كله كلام الله ، وكلام الله صفة له قالوا : وصفة الله لا تتفاضل . لا سيما مع القول بأنه قديم ، فان القديم لا يتفاضل ، كذلك قال هؤلاء في قوله تعالى : ﴿ مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ قالوا فخير انما يعود الى غير الآية ، مثل نفع العباد وثوابهم .

والقول الثاني : ان بعض القرآن أفضل من بعض ، وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف ؛ فان النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح في الفاتحة :^(٦) « انه لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا القرآن مثلاً » فنفي ان يكون لها مثل ، فكيف يجوز ان يقال : انه متاثل ؟ وقد ثبت عنه في الصحيح^(٧) انه قال لأبي بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدرى أى آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فضرب يده في صدره وقال له ليهنك العلم أبا المنذر » فقد بين أن هذه الآية أعظم آية في القرآن ، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض .

المرة (١٠٦/٢)

(٦) أخرجه مالك في الموطأ عن عامر بن كريب (٨٢) وكذا الحاكم (٥٥٧/١) ورواه احمد (١١٤/٥) والشافعي (١٣٩/٢) والحاكم (٥٥٧/١) عن أبي بن كعب وأخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة (١٥٥/٥) رقم (٢٨٧٥)

(٧) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٥٥٧/١) وأبو داود في ابواب الوتر (١٥١/٢) رقم (١٤٦٠) وأحمد (١٤٢/٥) والحاكم (٣٠٤/٣)

وايضاً فان القرآن كلام الله والكلام يشرف بالمتكلم به ، سواء كان خيراً أو أمراً ، فالخير يشرف بشرف الخير ، وبشرف الخير عنه ، والأمر يشرف بشرف الأمر ، وبشرف المأمور به ، فالقرآن وإن كان كله مشتركاً ، فان الله تكلم به ، لكن منه ما أخبر الله به عن نفسه ، ومنه ما أخبر به عن خلقه ، ومنه ما أمرهم به ، فنه ما أمرهم فيه بالايان ، ونهام فيه عن الشرك ، ومنه ما أمرهم به بكتابة الدين ، ونهام فيه عن الربا .

ومعلوم ان ما أخبر به عن نفسه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أعظم مما أخبر به عن خلقه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وما أمرهم فيه بالايان . وما نهى فيه عن الشرك أعظم مما أمرهم فيه بكتابة الدين ونهى فيه عن الربا ، ولهذا كان كلام العبد مشتركاً بالنسبة الى العبد ، وهو كلام لمتكلم واحد ، ثم انه يتفاضل بحسب المتكلم فيه ، فكلام العبد الذى يذكر به ربه ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر أفضل من كلامه الذى يذكر فيه خلقه ، ويأمر فيه بمباح أو محظور ، وانما غلط من قال بالاول ؛ لأنه نظر الى إحدى جهتي الكلام ، وهى جهة المتكلم به ، وأعرض عن الجهة الأخرى وهى جهة المتكلم فيه ، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتائل .

قالوا ومن اعاد التفاضل الى مجرد كثرة الثواب أو قلته من غير ان يكون الكلام فى نفسه أفضل ، كان بمنزلة من جعل عملين متساويين وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر ، مع ان العاملين فى أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية ، بل كدرهم ودرهم تصدق بها رجل واحد فى وقت واحد ومكان واحد على اثنين متساويين فى الاستحقاق ونيتة بها واحدة ، ولم يتميز أحدهما على الآخر بفضيلة ، فكيف يكون ثواب احدهما أضعاف ثواب الآخر ، بل تتفاضل الثواب والعقاب دليل على تفاضل الأعمال فى الخير والشر . وهذا الكلام متصل بالكلام فى اشتغال الأعمال على صفات بها كانت صالحة حسنة ، وبها كانت فاسدة قبيحة . وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

وقول من قال : صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك ؛ قول لا دليل عليه ، بل هو مورد النزاع ، ومن الذى جعل صفته التى هى الرحمة لا تفضل على صفته

التي هي الغضب ، وقد ثبت عن النبي ﷺ :^(٨) « ان الله كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي — وفي رواية — تسبق غضبي » وصفة الموصوف من العلم والارادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين :

أحدهما : أن بعض الصفات أفضل من بعض ، وأدخل في كمال الموصوف بها ، فانا نعلم ان اتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة افضل من اتصافه بضد ذلك ؛ لكن الله تعالى لا يوصف بضد ذلك ، ولا يوصف الا بصفات الكمال ، وله الاسماء الحسنى يدعى بها ، فلا يدعى الا باسمائه الحسنى ، وأماؤه متضمنة لصفاته ، وبعض اسمائه أفضل من بعض ، وأدخل في كمال الموصوف بها ؛ ولهذا في الدعاء المأثور^(٩) : « أسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر » ، و« لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » وأمثال ذلك ، فتفاضل الاسماء والصفات من الأمور البينات .

والثاني : أن الصفة الواحدة قد تتفاضل ، فالأمر بمأمور يكون أكل من الأمر بمأمور آخر ، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عن دونهم ، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم ، وتكلم الله لبعض عباده أكمل من تكلمه لبعض ، وكذلك سائر هذا الباب ، وكما ان اسماء وصفاته متنوعة ، فهي ايضا متفاضلة ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع مع العقل ، وانما شبهة من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها ، وذلك يرجع الى نفى الصفات . كما يقوله الجهمية لما ادعوه من التركيب ، وقد بينا فساد هذا مبسوطا في موضعه .

☆☆☆

(٨) اخرجه الحارثي ومسلم وغيرهما - راجع شعب الايمان

(٩) لم احده - وقد ورد من حديث عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اني اسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي اذا دعيت به اجبت الحديث اخرجه ابن ماجة (١٣٦٨/٢) رقم (٣٨٥٩) وفي اساده مقال

(١٠) جاء من حديث انس اخرجه ابوداود (١٦٧/٢) رقم (١٤٩٥) وابن ماجة (١٣٦٨/٢) رقم (٣٨٥٧) والسائي (٢٥٢/٣) واحمد (٢٦٥٠٢٤٥٠١٥٨١٢٠/٣) والحاكم (٥٠٤) ومن حديث بريدة اخرجه الترمذي (٥١٥/٥) رقم (٣٤٧٥) وابن ماجة رقم (٣٨٥٦) واحمد (٣٥٠٠٣٤٩/٥) والحاكم (٥٠٤/١)

وسئل :

عن يقرأ القرآن . هل يقرأ ﴿سورة الاخلاص﴾ مرة او ثلاثا ؟ وما السنة في ذلك ؟ .

فأجاب : اذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة ، هكذا قال العلماء ؛ لئلا يزداد على ما في المصحف . وأما اذا قرأها وحدها ، او مع بعض القرآن فانه اذا قرأها ثلاث مرات عدلت القرآن . والله اعلم .

☆☆☆

وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ونحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و
من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل فلا هادي له . و
نشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ،
ﷺ تسليما .

فصل

في تفسير ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَ
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

والاسم ﴿ الصَّمَدُ ﴾ فيه للسلة ، أتواء متعددة قد يظن أنها مختلفة ، و
ليست كذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها قولان :

أحدهما : أن الصمد هو الذي لا جوف له .

والثاني . أنه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ، والاول هو قول أكثر

السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة . والثاني

قول طائفة من السلف والخلف ، وجمهور اللغويين ، والآثار^{١٥}

المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة ، وفي

كتب السنة وغير ذلك ، وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا

كثيرا بأسناده فيما تقدم^(١) .

(١) راجع الماوى ١٤٣/١٧

و تفسير ﴿الْقَصْدُ﴾ بأنه الذي لا جوف له معروف عن ابن مسعود (٢) موقوفا ومرفوعا ، وعن ابن عباس (٣) ، والحسن البصري (٤) ، ومجاهد (٥) ، وسعيد بن (٦)

(٢) ابن مسعود ، هو عبد الله بن مسعود بن عافل ، ابو عبد الرحمن الحنظلي ، وكان يسب الى امه احيانا فيقال له ابن ام عبد

من السابقين الاولين ، اسلم قديما وهاجر المحترين ، ولازم النبي ﷺ وهو اول من جهر بالقرآن عكة كان من احفظ الصحابة لكتاب الله . وكان رسول الله ﷺ يحب ان يسمع منه القرآن ، و يحرض غيره على ذلك و هو احد الصحابة الذين روى عنهم قدر كبير من تفسير القرآن . حمل تفسيره اهل الكوفة لوجوده بهم - توفي سنة ٣٢ هـ .
ابن طرحة في التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٨٨٢/١) و راجع الاصابة (٣٦٠-٣٦٢/٢) الاستيعاب (٣٦٦-٣٠٨/٢) طبقات ابن سعد (١٥٠/٣ ، ١٢/٦) سير اعلام النبلاء (٤٦١-٥٠٠) تذكرة الحفاظ (١٦١-١٢/١) حلية الاولياء لابي يعقوب (١٢٤-١٢٩)

ولم احد حديثه المرفوع في تفسير «الصد» . وكذلك قوله اشار اليه ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) ولم يجرحه الطبري ، لاسب اليه ابن الجوزي والقرطبي والحارثي في تفسيرهم

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ الملقب بالحجر والحر وترجم القرآن و كان النبي ﷺ دعاله بالمعنى في الدين وتاويل الكتاب و كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكرمه و يحلسه - مع صهره - مع كبار الصحابة تقدموا لهم معنى الآيات وقال ابن عرفة « ابن عباس اعلم امة محمد عما نزل على محمد »

و كان يرجع في فهم معاني الكلمات العربية التي وردت في القرآن الى الشعر العربي القديم ويستشهد به - قيل انه هو الذي ابداع الطريقة اللغوية في التفسير

وقد وصلت اليها اقواله في التفسير من طرق كثيرة اقرها الى القول طريق معاوية بن صالح عن علي بن طلحة عن ابن عباس

ابن طرحة في التفسير والمفسرون (٦٥/١ - ٨٣)

و راجع طبقات المفسرين للداودي (٣٣٧/١) والاصابة (٣٢٢ - ٣٢٣/٢) الاستيعاب (٣٤٩ - ٣٤٢/٢) طبقات ابن سعد (٣٦٥/٢ - ٣٧٢) سير اعلام النبلاء (٣٣١/٣ - ٣٥٨) التذكرة (٤٠/١ - ٤١) حلية الاولياء (٣١٤/١ - ٣٢٩) تاريخ الثقات لمؤاد سركين (٦٣/١ - ٦٨)

و يذكر المؤلف - رحمه الله - تفسيره و تفاسير غيره فيها بعد ما سبدها

(٤) الحسن بن ابي الحسن يسار المصري ، ابو سعيد

كان من العلماء الربانيين ، فقيها ، ثقة مأمونا ، كبير العلم ، عزيز المعرفة . واسع العلم لمعاني كتاب الله . روى عنه في التفسير شيء كثير - توفي عام ١١٠ هـ

ابن طرحة في التفسير والمفسرون (١٢٤/١) وطبقات الداودي (١٥٠/١) و راجع طبقات ابن سعد (١٥٧/٧ - ١٧٨) السير (٥٦٣/٤ - ٥٨٨) التذكرة (٧١/١) تهذيب التهذيب (٢٦٢/٢ - ٢٧٠) حلية الاولياء لابي يعقوب (١٣١/٢ - ١٦١) تاريخ الثقات العربي (٧٢/١)

(٥) مجاهد بن جبر المكي ، ابو الحجاج

احد الاعلام الاتات ، و اوثق الرواة عن ابن عباس في التفسير ، ولذلك اعتد على تفسيره الحارثي والشافعي وغيرهما . وقيل انه كان يعطى عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو طاهرها بعيدا ، توفي سنة ١٠٤ هـ

ابن طرحة في التفسير والمفسرون (١٠٤/١ - ١٠٧) طبقات الداودي (٣٠٥/٢ - ٣٠٨) طبقات ابن سعد (٤٦٧/٥) والسير (٤٤٩/٤ - ٤٥٧) التذكرة (٩٢/١) حلية الاولياء (٢٧٩/٣ - ٣١٠) تاريخ الثقات (٧٠/١)

(٦) سعيد بن جابر بن هشام ، ابو محمد ،

كان حثي الاصل ، ابيض الحصال وهو من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير ، سمع التفسير من ابن عباس ، و روى عنه الائمة كثيرا توفي سنة ٩٥ هـ . قتله الحجاج صرا

راجع ترجمته في التفسير والمفسرون (١٠٣/١ - ١٠٣) وطبقات الداودي (١٨٨/١) طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦ - ٢٦٧) السير (٣١١/٤ - ٣٤٢) التذكرة (٧٦/١) الحلية (٢٧٢/٤ - ٣٠٩) تاريخ الثقات (٦٩/١)

جبير ، وعكرمة^(٧) ، والضحاك^(٨) ، والسدى^(٩) ، وقتادة^(١٠) ، ويعنى ذلك قال سعيد بن المسيب^(١١) قال : « هو الذي لا حشو له » .

وكذلك قال ابن مسعود : « هو الذي ليست له احشاء » .

(٧) عكرمة البربري ، ابو عبد الله اللدني - مولى ابن عباس .
كان من بحور العلم ، كان ابن عباس يضع الكيل في رجليه لتعليم القرآن و السنن ،
قال الشعبي : ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة . وقد تكلم بعض الائمة في تفسيره و اثموه بانه كان يدعى
معرفة كل شيء في القرآن ، ولكن وثقه غير واحد من كبار الائمة . توفي سنة ١٠٤ هـ .
انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١٠٧/١ - ١١٢) و طبقات الداودي (٢٨٦/١) طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥ - ٢٩٣)
السير (١٢/٥ - ٣٦) الحلية (٣٣٧/٢ - ٢٤٧) .
وقوله اخبره ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٥/٢٠) وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٨/٩) وكذا ابن كثير
(٥٧٠/٤) .

(٨) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ابو القاسم الحراساني .
صاحب التفسير . قال الذهبي : ليس بالجهود لحديثه و هو صدوق في نفسه روى التفسير عن ابن عباس . و كان
شعبة ينكر ان يكون الضحاك لقى ابن عباس قط ، و روى عن عبد الملك بن مسيرة قال : لم يلق الضحاك ابن
عباس . اما لقى سعيد بن جبير بالري فاخذ عنه التفسير .
انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦ - ٣٠٢) السير (٥٩٨/٤ - ٦٠٠) ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢) .

(٩) السدي هو اسامعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة ، ابو محمد الحجازي ثم الكوفي ، و يعرف بالسدي الكبير ، توفي سنة
١٢٧ هـ .

روى التفسير عن ابن عباس ضعفه ابن معين و لينه ابو زرعة ، وقال ابو حاتم : يكتب حديثه ، و وثقه
احد ، و قال المجلي : عالم بتفسير القرآن ، راوية له . راجع ثقات المجلي (ص ٦٦) .
انظر ترجمته في السير (٢٦٤/٥) ميزان الاعتدال (٢٣٦/١) تهذيب الكمال (١٣٢/١ - ١٣٧) تهذيب التهذيب
(٣١٣/١) .

وتفسيره اخرجه البيهقي في الاسماء والصفات (٧٩) وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) وكذا ابن الجوزي
(٣٦٨/٩)

(١٠) قتادة بن دعامة السدوسي ، ابو الخطاب البصري .
كان على مبلغ عظيم من العلم ، قوى الحافظة ، واسع الاطلاع في الشعر العربي مشهورا بمعرفته بالتفسير . وكان
يستعين في فهم نصوص القرآن بالادب العربي القديم . توفي سنة ١١٧ هـ .
راجع التفسير و المفسرون (١٢٥/١ - ١٢٧) طبقات الداودي (٤٧/٢) طبقات ابن سعد (٢٢٩/٧ - ٢٣١) السير
(٢٦٧/٥ - ٢٨٢) التذكرة (١٢٢/١) تهذيب التهذيب (٣٥١/٨ - ٣٥٦) الحلية (٣٣٢/٢ - ٢٤٥) .
ذكر قوله ابن الجوزي في تفسيره (٣٦٨/٩) .

(١١) سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب الخزومي ، ابو محمد .
عالم اهل المدينة ، و سيد التابعين في زمانه ، كان من برز في العلم و العمل ، قال علي بن المديني : لا اعلم في
التابعين احدا اوسع علما من ابن المسيب . قال يحيى بن سعيد : مثل سعيد بن المسيب عن آية ، فقال : لا اقول في
القرآن شيئا .
ولذلك قل ما نقل عنه في التفسير . توفي سنة ٩٤ هـ .
انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١١٩/٥ - ١٤٣) السير (٢١٧/٤ - ٢٤٦) التذكرة (٥٤/١ - ٥٦) تهذيب التهذيب
(٨٨ - ٨٤) الحلية (١٦١/٢ - ١٧٥) .

وكذلك قال الشعبي^(١٦) : « هو الذي لا يأكل ولا يشرب » .

وعن محمد بن كعب القرظي^(١٧) ، وعكرمة : « هو الذي لا يخرج منه شيء »

وعن مسيرة^(١٨) قال : « هو المصت » . قال ابن قتيبة^(١٩) : « كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء ، والمصت من هذا^(٢٠) » .

قلت : لا إبدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر وسنبين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق ، واللغة .

وفي الحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الإمام أحمد في المسند^(٢١) وغيره من حديث أبي سعد الصغاني : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب^(٢٢) : (أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :

(١٢) عامر بن تراحيل التميمي ، أو عمرو الكوفي

تأسي حائل ، كان واحداً رمانه في مومن العلم قال ابن عبيدة علماء الساس ثلاثة ، ابن عباس في رمانه ، والتيمي في رمانه ، والثوري في رمانه ، كان شديد التقدي على من لا يراه أهلاً لتفسير القرآن كافي صالح والسدي توفي سنة ١٠٤هـ

أظهر برجنه في التفسير والمفسرون (١٢١/١ - ١٢٤) طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦ - ٢٥٦) السير (٢٩٤/٤ - ٣١٩) التذكرة (٧٩/١ - ٨٨) حلية الأولياء (٣١٠/٤ - ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٦٥/٥ - ٦٩)

(١٣) محمد بن كعب القرظي ، أبو حمزة ، أو أبو عبد الله المدني

تأسي ، ثقة ، روى عن أبي بن كعب بالواسطة ، واحد عنه التفسير قال ابن عوف ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وأقواله في المفسر مدونة في كتب التفسير ، توفي سنة ١١٨هـ

ترجمته في التفسير والمفسرون (١١٦/١) السير (٦٥/٥ - ٦٨) الحلية (٣١٢/٣ - ٣٢١) تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩ - ٤٢٢)

(١٤) مسيرة هو ابن يعقوب الطهوي صاحب رؤية على رضى الله عنه ، قال ابن حجر في التقرير مقول ، من الثالثة وقوله أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣١١/١) من رواية عطاء عنه ، وهو ابن السائب وكان احتلظ ، ولا حله صعب اللبائي الأثر

(١٥) ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديوري ، أبو محمد

العلامة ، الكاتب ، دواالمسون وصاحب التصانيف السائرة ، كان رأساً في علم اللسان العربي له ، عريب القرآن وعريب الحديث و مشكل القرآن و مشكل الحديث توفي سنة ٢٧٦هـ

أظهر ترجمته في وفيات ابن حنبلان (٤٢/٣ - ٤٤) السير (٢٩٦/١٣ - ٣٠٢) إسهاء الرواة (١٤٢/٢ - ١٤٧) لسان الميراث (٣٥٧/٣ - ٣٥٩)

(١٦) تفسير عريب القرآن (٥٤٢)

(١٧) راجع المسند (١٣٤/٥) وأخرجه الترمذي (٤٥١/٥) و رجع إرساله وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٩٨) بسند حسن و راجع تحريمه هناك ، و سياتي الحديث بعد قليل سياقاً ثم

(١٨) أبي بن كعب بن قيس ، أبو المدر الأصبغ الحنظلي

شهد الفقه وندراً ، وكان سيد القراء قال له النبي ﷺ إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقال أبي الله سأي لك ، قال نعم جعل أبي يمشي

و كان من أعلم الصحابة بكتابت الله . وقد روى عنه قدر كبير من التفسير

أظهر برجنه في التفسير والمفسرون (٩١/١ - ٩٣) وطبقات ابن سعد (٣٤٠/٧ - ٣٤١) السير (٤٩٨/٣ - ٥٠٢) الإصانة (٣٢١ - ٣٢٢) الانتهاج (٣٧/١ - ٣٠) الحلية (٢٥٠/١ - ٢٥٦) السير (٣٨٧/١ - ٤٠٢)

إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الْوَحِيدُ ﴾ إلى آخر السورة
قال : الصمد الذي لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيوت ، ليس
شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله لا يموت ولا يورث .

وأما تفسيره بأنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج فهذا أيضاً مروى عن ابن
عباس^(١٩) موقوفاً ومرفوعاً ، فهو من تفسير الوالي^(٢٠) عن ابن عباس . قال :
﴿ الْوَحِيدُ ﴾ السيد الذي كل في سؤده .

وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلة قال : « هو السيد الذي انتهى
سؤده » .

وعن أبي اسحق الكوفي^(٢١) عن عكرمة^(٢٢) : « الصمد الذي ليس فوقه أحد » . و
يروى هذا عن علي .

و عن كعب الاحبار : « الذي لا يكافئه من خلقه أحد » .

١٩ و سياتي قريباً موقوفاً ، أما المرفوع فذكره ابن الحوزي في تفسيره ان ابن عباس رواه عن رسول الله ﷺ ولم اجد
من خرجه - و ذكره الحافظ الهيثمي في جمع الزوائد موقوفاً في قصة سؤال نافع بن الاررق عبد الله بن عباس عن
معاني كلمات القرآن واستشهاده بأشعار العرب . وقال : رواه الطبراني وفي أسناده جوير وهو متروك . (٢٠٨/٦) .

٢٠ علي بن ربيعة الوالي ، ابو المغيرة الكوفي .
من العلماء الثقات الاثبات . اخرج له الجماعة .
راجع طبقات ابن سعد (٢٢٦/٦) السير (١٨٩/٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠/٧) .

٢١ ابو وائل شقيق بن سلة الاسدي . الكوفي .
عظم من التابعين . أدرك النبي ﷺ وما رآه . تعلم القرآن في شهرين وكان من أعلم أهل الكوفة بحديث ابن
مسعود . و عنه أخذ التفسير توفي سنة ٨٢ هـ .
ترجمته في طبقات ابن سعد (٩٦/٦ - ١٠٢) السير (١٦١/٤ - ١٦٦) الحلية (١٠١/٤ - ١١٢) تهذيب التهذيب (٣٦١/٤ -
٣٦٢) - و سياتي اثره قريباً .

٢٢ لهله ابو اسحاق الشيباني . الكوفي و اسمه سليمان بن أبي سليمان .
او ابو اسحاق السيمى و اسمه عمرو بن عبدالله - و كلاهما يروى عن عكرمة و هما يقتضيان الا ان السيمى
يُدلس . و لم اجد من خرجه هذا الاثر . و قال ابو عبيدة في عجز القرآن (٣١٦/٢) : معنى الصمد : الذي ليس فوقه
أحد . والعرب كذلك تسمى اشرفها .
و قال في لسان العرب : هو من الرجال الذي ليس فوقه أحد .

٢٣ ابو اسحاق كعب بن متاع الجعفي . المعروف بكعب الاحبار .
أدرك الخديجة و اسلم في خلافة ابي بكر . و كان من قبل على دين اليهود . و لقد نقل عنه في التفسير وغيره
ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الاسلامية - وقد طعن فيه بعض العلماء في العصر الحديث .
راجع التفسير والمفسرون (١٨٧/١ - ١٩٤) .
و انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) تهذيب التهذيب (٤٣٨/٨) الحلية (٣٦٤/٥ - ٣٩١ ، ٣٦١ - ٤٨) .
و سياتي هذا التفسير من قول قتادة .

وعن السدي أيضاً : « هو المقصود اليه في الرغائب ، المستفاد به عند المصائب »^(٢٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « هو المستفاد عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد »^(٢٥)

وعن سعيد بن جبير أيضاً : « الكامل في جميع صفاته وأفعاله » .

وعن الربيع : « الذي لاتعتريه الآفات »^(٢٦) .

وعن مقاتل بن حيان : « الذي لا عيب فيه »^(٢٧) .

وعن ابن كيسان : « هو الذي لا يوصف بصفته أحد »^(٢٨) .

(٢٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) .

(٢٥) ذكره القرطبي أيضاً .

(٢٦) الربيع بن انس البكري ، الحراساني .

سمع انس بن مالك و ابا العالية الرياحي و اكثر عنه ، و اخذ عنه التفسير . قال ابو حاتم : صدوق . و هو من رجال السنن - توفي سنة ١٤٠ هـ .

انظر طبقات ابن سعد (٢٦٩/٧) تهذيب التهذيب (٢٣٨/٣) السير (١٦٩/٦) و لم اجد من خرج قوله .

(٢٧) مقاتل بن حيان ، ابو بسطام الحزاز .

يروى عن مجاهد ، و عكرمة ، و الضحاك ، و الشامي - صدوق خرج له الجماعة الا البخاري .

ترجمته في طبقات الداودي (٣٢٩/٢) السير (٢٤٠/٦) تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠ - ٢٧٩) ميراث الاعتدال (١٧١/٤ - ١٧٢) .

و ذكر قوله القرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) .

(٢٨) عبد الرحمن بن كيسان . ابو بكر الاحم .

معتزل ، كان من اخصاص الناس ، و اورعهم و افهمهم . له تفسير . استفاد منه التعلي كثيرا . توفي بعد سنة

٢٠٠ هـ .

راجع تاريخ التراث العربي لغواد سركين (٦١/٤) طبقات الداودي (٢٧٤/١) لسان الميراث (٤٢٧/٢) فهرست لابن

النديم (٢١٤) .

قال ابو بكر الأنباري^(٣٩) : « لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصد إليه الناس في حوائجهم وامورهم » .

وقال الزجاج^(٣٠) : « هو الذي ينتهي إليه السؤدد ، فقد صمد له كل شيء أي قصد قصده » ، وقد أنشدوا في هذا بيتين مشهورين أحدهما :

ألا بكر الناعى بخيرى بن أسد بمرو بن محمود وبالسيد الصمد

وقال الآخر^(٣١) :

علوته بحسامى ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

(٣٩) هو الامام الحافظ اللغوى ابو بكر محمد بن القاسم بن شار ، ابن الانباري . المقرئ ، النحوي ، ذوالفنون ، الف الدواوين الكبار مع الصدق والدين ، وسمة الحفظ . قال ابو امل الغالي : كان شيخنا ابو بكر يحفظ - فما قيل - ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن . قال الذهبي : هذا يبيء في اربعين مجلدا . وقيل : ان من جملة محفوظه عشرين ومائة تفسير باسانيدها . من جملة مؤلفاته كتاب « مشكل القرآن » توفي سنة ٣٣٨ هـ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٨١/٣ - ١٨٦) انباه الرواة للقفطي (٢٠١/٣ - ٢٠٨) وفيات ابن خلكان (٢٤١/٤ - ٣٤٢) تذكرة الحفاظ (٨٤٢/٣ - ٨٤٤) السير (٢٧٤/١٥ - ٢٧٤) تاريخ الادب لبروكلين (٢١٦ - ٢١٤/٢) وذكر قوله ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٨/٩) .

(٣٠) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري ، الزجاج ، البغدادي . امام وقته في النحو واللغة ، صنف كتاب « معاني القرآن » . وله تأليف جمعة . توفي سنة ٣١١ هـ . انظر ترجمته في انباه الرواة (١٥٩/١ - ١٦٦) وفيات ابن خلكان (٤٩/١ - ٥٠) الواقي بالوفيات (٣٤٥/٥ - ٢٥٠) السير (٣٦٠/١٤) تاريخ بغداد (٨٩/١ - ٩٢) تاريخ بروكلين (١٧١/٢ - ١٧٣) . وذكر ابن الجوزي قوله في تفسيره (٢٦٨/٩) .

(٣١) اورده ابن الجوزي في تفسيره وفيه تلقد بكراً . والبيت لسيرة بن عمرو الاسدي . وهو في مجاز القرآن لابي عبيدة (٢١٦/٢) وسمط اللآلئ (١٣٢) و تفسير الطبري (٢٤٧/٣٠) والقرطبي (٢٤٥/٢٠) واللسان « صمد » .

(٣٢) راجع اللسان ، والقرطبي (٢٤٥/٢٠) .

وقال بعض أهل اللغة : « الصمد هو السيد المقصود في الحوائج » ، تقول العرب : صمدت فلاناً أصمده - بكسر الميم - وضمه - بضم الميم - صمداً - بكون الميم - إذا قصدته ، والمصمود صمد كالقبض بمعنى المقبوض ، والنقض بمعنى النقوض ، ويقال بيت مصمود ومصمد إذا قصده الناس في حوائجهم قال طرفة :

وان يلتقى الحي الجميع تلاقى السى ذروة البيت الرفيع المصمد

وقال الجوهري : « صمده يصمده صمداً إذا قصده » ، والصمد بالتحريك السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج ، ويقال بيت مصمد بالتشديد أى مقصود .

وقال الخطابي : « أصح الوجوه انه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له » ، فان أصل الضم القصود ، يقال : اصمد صمداً فلان أى اقصد قصده ، فالصمد السيد الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .

وقال قتادة : « الصمد الباقي بعد خلقه » .

(٣٣) أبو نصر اسحاق بن حماد الترمي ، الجوهري .
امام اللغة ، صنف « الصحاح » في اللغة ، قال الذهبي : وفي الصحاح اوامام قد عمل عليها جواش . وهو مطبوع .

راجع انباه الرواة (١١٤/١ - ١١٨) معجم الادباء لياقوت (١٥١/١ - ١٦٥) السير (٨٠/١٧ - ٨٢) لسان الميزان (٤٠٠/١ - ٤٠٢) تاريخ بروكلمن (٢٥٧/٢ - ٢٦٢) . وراجع لقوله لسان العرب .

(٣٤) أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب ، النيسابوري ، الخطابي .
الامام ، العلامة ، الحافظ ، اللغوي ، صاحب التصانيف الجليلة . منها « غريب الحديث » و « معالم السنن » في شرح سنن أبي داود و « شرح الاسماء الحسنی » وغير ذلك . توفي سنة ٢٨٨ هـ .

انظر ترجمته في يتيه الدهر (٣٣٤/٤ - ٣٣٦) معجم لياقوت (٢٤٦/٤ - ٢٦٠) ، انباه الرواة (١٢٥/١) وفيات ابن خلکان (٢١٤/٢ - ٢١٦) السير (٣١٦ - ٣٢/١٧) تذكرة الحفاظ (١٠١٨/٣) تاريخ الفرائد (٤٣٧/١ - ٤٣٩) .

وقتل عنه قوله ابن الجوزي في تفسيره (٣٨٨/١) والبيهقي في الاسماء والصفات (ص ٨٠) .
وقال الراضب الاصماني في معجماته (٣٩٤) .

« الصمد » : السيد الذي يصمد اليه في الامر . و صَمَدٌ مَصَدٌ : قصْدٌ معتدٌ عليه فَعَصَدَهُ .
وقيل : « الصمد » : الذي ليس باجوف . والذي ليس باجوف شيان :
احدهما لكونه احد من الانسان كالجنادات ؛
والثاني اعلى منه ، وهو الباري والملائكة .

والقصود بقوله « الله الصمد » تنبيه انه بخلاف من اثبتوا له الالهية .

(٣٥) وسياق قريباً .

وقال مجاهد ، ومعمار : « هو الدائم » .^(٣٦)

(٣٨)

وقد جعل الخطابي وأبو الفرج ابن الجوزي الاقوال فيه اربعة : هذين
واللذين تقدما . وسنبين ان شاء الله أن بقاءه ودوامه من تمام الصدية . وعن
مرة الحمداي « هو الذي لا يبلى ولا يفتى » . وعنه أيضاً قال : « هو الذي يحكم
ما يريد ، ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه » .^(٤٠)

وقال ابن عطاء : « هو المتعالي عن الكون والفساد » .^(٤١)

(٣٦) معمّر بن راشد ، أبو عروة الأزدي .
مؤرخ ، محدث ، مفسر ، كان من اوعية العلم مع الصدوق والتهري ، والورع والجلالة وحسن التصنيف .
اخذ عنه عبد الرزاق التفسير والحديث ، توفي سنة ١٥٤هـ .
راجع طبقات ابن سعد (٥٤٧/٥) السير (٥٨/٧) - (١٨ - ٥٨) التذكرة (١٩٠/١ - ١٩١) تاريخ التراث (٩١/٢ - ٩٣) .
ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٢/١) من الحسن وقال الاباساني سنده ضعيف للاقطاع بين معمّر
والحسن . و رجاله ثقات .

(٣٧) عبد الرحمن بن علي بن محمد ، أبو الفرج ابن الجوزي .
الامام العلامة ، حافظ المراق ، واضع الاقاي ، صاحب التصانيف المشهورة في انواع العلوم من التفسير ،
والحديث ، والفقه ، والوحد ، والزهد ، والتاريخ وغيرها .
له تفسير « زاد السير في علم التفسير » و كتب اخرى في علوم القرآن . وقد اعتمد عليه المؤلف في التفسير .
توفي سنة ٥٩٧هـ .
انظر طبقات الداودي (٢٧٥/١ - ٢٨٠) التذكرة (١٣٤٢/٤) وفيات ابن خلكان (١٤٠/٣) السير (٣٦٥/٢١ - ٣٨٤)
معجم المؤلفين للكمال (١٥٧/٥ - ١٥٨) .

(٣٨) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٣٨/٩) .
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) .
قال الحافظ ابو القاسم الطبراني في « كتاب السنة » له بعد ابراهه كثيرا من هذه الاقوال في تفسير
﴿ الصمد ﴾ .
« وكل هذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل ، وهو الذي يُصد اليه في الخواصج ، وهو الذي قد
انتهى سؤده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا ياكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه » .
وقال البيهقي نحو ذلك .

(٣٩) مرة بن شراحيل ، الحمداي ، ابو اسعيل . الكوفي .
كان يلقب بمزة الطيب ، ومرة الفير ، لمبادته ، وشدة ورعه ، وكثرة صلاحه . اخذ التفسير من ابن
سعود ، وتوفي سنة ٧٦هـ .
ترجمته في التفسير والمفسرون (١٢١/١) طبقات الداودي (٣١٧/٢) طبقات ابن سعد (١١٦/٦) السير (٧٤/٤)
التذكرة (٦٧/١) الحلية (١٦١/٤ - ١٧١) .

(٤٠) ذكره القرطبي في تفسيره عن الحسين بن الفضل (٢٤٥/٢٠) .

(٤١) واصل بن عطاء المعتزلي ، أبو حذيفة ، المعروف بالفرزال .
متكلم ، اديب ، بليغ ، درس على الحسن البصري ثم اعتزل عنه ، وعمل على نشر مذهبه الاعتزال . وكُن
فرقة تسمى الواصلية . من آثاره « معاني القرآن » توفي سنة ١٣١هـ .
راجع وفيات ابن خلكان (٧/٦ - ١١) السير (٤٦٤/٥) معجم ياقوت (٢٤٢/١٩) لسان الميزان (٢١٤/٦)
تاريخ التراث (١٨/٤ - ١٩) .

وعنه أيضاً قال : « الصمد الذي لم يتبين عليه اثر فيما اظهر » ، يريد قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُثُوبٍ ﴾ (ق ٣٨/٥٠)

وقال الحسين بن الفضل : « هو الأزلي بلا ابتداء » .

وقال محمد بن علي الحكيم الترمذي : « هو الاول بلا عدد والباقي بلا أمد ، والقائم بلا عمد » .

وقال أيضاً « الصمد الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه الافكار ، ولا تبلغه الاقطار ، وكل شيء عنده بمقدار » .

وقيل : « هو الذي جل عن شبه المصورين » .

وقيل : « هو بمعنى نفى التجزي والتأليف عن ذاته » وهذا قول كثير من أهل الكلام .

وقيل : « هو الذي أيسر العقول من الاطلاع على كنهه » .

وكذلك قيل : « هو الذي لا تدرك حقيقة نعوته وصفاته ، فلا يتسع له اللسان ، ولا يشير إليه البنان » .

وقيل : « هو الذي لم يحط خلقه من معرفته إلا الاسم والصفة » .

وعن الجنيد قال : « الذي لم يجعل لاعدائه سبيلاً إلى معرفته » .

(٤٢) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، الكوفي ، أبو علي النيسابوري .

المفسر ، الأديب ، إمام عصره في معاني القرآن . توفي سنة ٢٨٢ هـ .

انظر طبقات الداودي (١٥٧/١) السير (٤١٤/١٢ - ٤١٦) لسان الميزان (٣٠٧/٣ - ٣٠٨) .

(٤٣) أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الحكيم الترمذي .

متصوف معروف ، درس في شبابه التفسير ، والحديث ، والفقه ، ثم مال إلى التصوف . وكان ذا رحلة و

معرفة وله مصنفات كثيرة من أشهرها « غم الأولياء » و « نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول » .

انظر تاريخ التراث (١٤٣/٤ - ١٥٤) الحلية (٣٣٣/١٠ - ٣٣٥) السير (٤٣٧/١٢ - ٤٤٢) التذكرة (٦٤٥/٣) لسان

الميزان (٣٠٨/٥ - ٣١٠) .

(٤٤) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الحنيد الحزاز ، القواريري .

صوفي مشهور ، كان ابن أخت أبي الحسن الرضا السقطي وتلميذه ، كما تتلمذ في التصوف على الحارث

الهاشمي ، وأبي يزيد البطامي . وكان يلقب « سيّد الطائفة » و « طاووس العلماء » . وله مشاركة في علم

الكلام . توفي سنة ٢٩٨ هـ .

راجع تاريخ بغداد (٢٤١/٧ - ٢٤٩) وفيات ابن عثمان (٣٧٣/١ - ٣٧٥) الحلية (٢٥٥/١٠ - ٢٨٧) السير (٦٦/١٤)

- ٧٠ - تاريخ التراث (١٣١/٤ - ١٣٥) .

(٤٥)

ونحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدھا . فروى ابن أبي حاتم في تفسيره قال : « ثنا أبي ، ثنا محمد بن موسى بن نقيع الحرشي ^(٤٦) ، ثنا عبد الله بن عيسى يعني أبا خلف الحزاز ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ الصَّدَّ ﴾ قال : « الصد الذي تصد إليه الاشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء » .

(٤٧)

حدثنا أبو زرعة ، ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن ابراهيم ، قال : « الصد الذي يصد العباد إليه في حوائجهم » .

(٤٨)

حدثنا أبي ، ثنا عبد الرحمن بن الضحاك ، ثنا سويد بن عبد العزيز ، ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، قال : « الصد الحي القيوم الذي لا زوال له » .

١٠

(٤٥) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن النضر ، التميمي ، الحنظلي ، الرازي . كان عالماً بالقرامات والتفسير والحديث ، له معرفة واسعة بعلل الحديث وخبره في معرفة الرجال . كان احد مشاهير القراء في عصره . صنف « الجرح والتعديل » وله « تفسير » ينقل منه ابن كثير كثيراً . توفي سنة ٣٢٧ھ .

راجع طبقات الداودي (٢٨٥/١ - ٢٨٧) التذكرة (٨٢٩/٢ - ٨٣٢) السم (٢٦٣/١٢ - ٢٦٨) لسان الميزان (٤٣٢/٣ - ٤٣٣) تاريخ التراث (٣٥٢/١ - ٣٥٤)

وابوه أبو حاتم احد الائمة الحفاظ الاثبات ، كان مشهوراً بالعلم والحدیث . مذكوراً بالفضل توفي سنة ٣٧٧ھ .

ترجمته في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٤٩ - ٣٧٢) التذكرة (٥٦٧/٢ - ٥٦٩) تاريخ بغداد (٧٣/٢ - ٧٧) تاريخ التراث (٢٩٨/١) .

(٤٦) محمد بن موسى بن نقيع الحرشي (يفتح المهملة والراء ثم شين معجمة) و ورد في الاصل « الجرشي » بالجيم ، وهو خطأ .

قال الحفاظ في الترتيب : لَين .

وشیخه أبو خلف عبد الله بن عيسى الحزاز ، ضعيف .

فالآثر ضعيف . و نقله ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) وراجع القرطبي (٢٤٥/٢٠) .

(٤٧) أبو زرعة هو الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو ، الامام الثقة .

والآثر سنده حسن ، محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي صدوق . وسعيد بن أبي عروبة ثقة ، كثير التدليس و كان اختلط ، وقد عنعن ، ولكن أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٢/١) عن محمد بن سواء عن أبي معشر - بدون ذكر سعيد بن أبي عروبة . وقال الألباني : اسناده جيد .

(٤٨) اسناده ضعيف .

عبد الرحمن بن الضحاك - قال أبو حاتم : عمله الصدق .

اما شیخه سويد بن عبد العزيز فلهن الحديث .

حدثنا أبي ، ثنا نصر بن علي ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : « الصد الباقي بعد خلقه » وهو قول قتادة .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن غير ، عن الأعمش ، عن شقيق في قوله : ﴿ أَلَصَّدُ ﴾ ^(٥٠) قال : « السيد الذي قد انتهى سؤده » .

حدثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة .
عن ابن عباس في قوله : ﴿ أَلَصَّدُ ﴾ قال : السيد الذي قد كل في سؤده ،
والشريف الذي قد كل في شرفه ، والعظيم الذي قد كل في عظمته ، والحليم
الذي قد كل في حلمه ، والعليم الذي قد كل في علمه ، والحكيم الذي قد كل في
حكيمته ، وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسؤد ، هو الله سبحانه وتعالى
هذه صفته لا تنبغي لأحد إلا له ليس له كفؤ ، وليس كمثل شيء سبحانه الله
الواحد القهار ^(٥١) .

حدثنا كثير بن شهاب المذحجي القزويني ، ثنا محمد بن سعيد بن سابق ،
ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ أَلَصَّدُ ﴾ ^(٥٢) قال : الذي لم
يلد ولم يولد . حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن علي ، عن أبي رجاء ، عن ^(٥٣)
سعيد هو ابن أبي عروبة وهو أثبت الناس في قتادة .

وقد أخرجه ابن أبي حاتم في السنة (٣٠١/١) عن نصر بن علي به .
وقال الألباني إسناده صحيح .

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٧٩) من وجه آخر عن يزيد بن زريع به . وذكره ابن الجوزي ، و
ابن كثير في تفسيرهما .

ذكره البخاري في صحيحه من قول أبي وائل تعليقا . وقال الحافظ ابن حجر : وصله الغريبان من طريق
الأعمش عنه . وجاء أيضا من طريق عاصم عن أبي وائل بذكر ابن مسعود فيه . (فتح الباري ٧٤٠/٨) .
قلت : كنا أخرجه ابن أبي حاتم في السنة (٢٩٧/١) وقال الألباني إسناده حسن ، وأخرجه أيضا من قول
أبي وائل من رواية ابن غير عن وكيع ، وابن إدريس عن الأعمش عنه . ورجال إسناده رجال الصحيحين . و
أخرجه الطبري (٢٤٧٣٠) البيهقي في الأسماء والصفات من وجه آخر عن الأعمش عنه (٧٩) ورجالها أيضا
ثقات .

وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٧٣٠) عن علي بن داود القنطري ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٨) من
طريق عثمان بن سعيد الدامري كلاهما عن أبي صالح به ، وسنده لأبى به .
وذكره ابن كثير في تفسيره بدون سند (٥٧٠/٤) .

أبو جعفر الرازي هو عيسى بن أبي عيسى ماهان الرازي ، صدوق سيء الحفظ .
وأخرجه الطبري (٢٤٧٣٠) بنحوه عن الربيع عن أبي العالية .

ابن علي = إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، ثقة .
وأبو رجاء هو البصري ، محمد بن سيف الأزدي الحفائي . قال الحافظ في التتريب ، ثقة . وأخرجه ابن أبي
حاتم في السنة عن أبي بكر عن ابن علي عن أبي رجاء عن عكرمة ، ومن طرق أخرى عن أبي رجاء عن عكرمة
ومضمه الألباني فقال إن أبا رجاء - اسمه مطر بن طهمان - فيه ضعف من قبل حفظه . (٢٩٧/١) .

حدثنا أبي و ابو زرعة قالوا ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن ميسر — يعني أباسعد — الصغاني — ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْوَلَدُ ﴾ قال : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْوَلَدُ ﴾ الذي لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شيء يلد إلا يموت ، وليس شيء يموت الا يورث ، و إن الله لا يموت ، ولا يورث ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قال لم يكن له شبه ولا عدل ، وليس كمنله شيء .^(١١)

حدثنا علي بن الحسين ، ثنا محمود بن خدش ، ثنا أبو سعد الصغاني . ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب : « إن المشركين قالوا : إنسب لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة » .^(١٢)

حدثنا ابو زرعة ثنا العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع عن سميد عن قتادة ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قال : إن الله لا يكافئه من خلقه احد .^(١٣)

حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو عبد الله الحرثي ، ثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « إن اليهود جاءت الى النبي ﷺ منهم كعب بن الاشرف ، وحيي بن اخطب ، وجدي بن اخطب ، فقالوا : يا محمد ! صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ اَلَمْ يَلِدْ ﴾ فيخرج منه الولد ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فيخرج من شيء » .^(١٤)

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره^(١٥) : حدثنا احمد بن منيع المروزي . و محمود بن خدش الطالقاني فذكر مثل اسناد ابن ابي حاتم عن أبي بن كعب سؤال المشركين للنبي ﷺ « إنسب لنا ربك فانزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ » .^(١٦) وقد مر برواية احمد ، واخرجه البيهقي في شعب الايمان (٩٨) وانظر ترجمته هناك .

(١٢) ضعيف ، أبو سعد الصغاني ، واسمه محمد بن ميسر ، ضعيف ، و ابو جعفر الرازي ، صدوق ، سيء الحفظ ، وقد مر .
(١٣) أخرجه الواحدى في اسباب النزول عن احمد بن منيع عن أبي سعد الصغاني به .
(١٤) وساقى برواية ابن جرير الطبري - و أخرجه الذهبي في الميزان (٥٢/٤) في ترجمة ابي جعفر .

(١٦) اسناده صحيح .

(١٧) سند ضعيف ، ابو عبد الله الحرثي واسمه محمد بن موسى بن نعيم ، لين ، وقد مر . و ابو خلف عبد الله بن عيسى ضعيف .

(١٨) راجع تفسير الطبري (٢٠/٢٤٢) .

حدثنا ابن حديد ، ثنا يحيى بن واضح ، ثنا الحسين بن يزيد ، عن عكرمة
ان المشركين قالوا : لرسول الله ﷺ «أخبرنا عن صفة ربك ما هو ؟ ومن أى
شيء هو ؟ » فأنزل الله هذه السورة^(٦٦).

ورواه ايضا عن ابى العالية وعن جابر بن عبدالله حدثنا سريج ، ثنا
اسماعيل بن مجالد عن مجالد : عن الشعبي ، عن جابر فذكره قال : وقيل : هو
من سؤال اليهود .

حدثنا ابن حديد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن اسحق ، عن محمد بن سعيد قال : « ألقى
رهب من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟
فغضب النبي ﷺ حتى انتفخ لونه ثم ساورم غضباً لربه فجاءه جبريل فسكنه ،
وقال اخفض عليك جناحك يا محمد ، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه
قال : يقول الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الى آخرها فلما تلاها عليهم النبي ﷺ
قالوا له : صف لنا ربك كيف خلقه كيف عضده ؟ كيف ساعده ؟ وكيف
ذراعه ؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الاول ، وساورم فأتاه جبريل فقال
له : مثل مقالته الاولى وأتاه بجواب ما سأله فانزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٦٧) .

(٦٦) راجع الطبري (٣٠٢/٣٠٢ - ٣٤٢) .

وسنده ضعيف ، شيخ الطبري محمد بن حديد الرازي ، ضعفه غير واحد .

(٦٧) الطبري ايضا (٣٠ - ٣٤٢) وسنده ضعيف ايضا .

(٦٨) جاء في الاصل « حدثنا سريج ، ثنا اسماعيل بن مجاهد عن الشعبي » والتصحيح من تفسير الطبري .
فقد رواه عن محمد بن عوف حدثني سريج قال ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر به .
وسريج تصحيح من سريج (بالمهمله و آخره حم) وهو ابن يونس ، ثقة . واسماعيل بن مجالد صدوق ،
مخطيء وابوه مجالد بن سعيد ليس بالقوى .
فالحديث ضعيف .

وأخرجه ابو يعلى والطبراني في الاوسط راجع الزوائد (١٤٦/٧) كما أخرجه ابونعيم في الحلية (٣٣٥/٤) .
حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سريج ، ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي . عن جابر فذكره .
قال وقيل هو من سؤال اليهود ..

(٦٩) سورة الزمر (٦٧/٣٩) .

والحديث ضعف - لضعف ابن حديد ، وكون محمد بن اسحاق مدلسا ، وقد روى بص ، و شيخه هو محمد بن
ابى محمد ، مولى زيد بن ثابت مدني قال الذهبي في الميزان (٣٦/٤) لا يعرف .
وفي الاصل « عن محمد بن سعيد » وصحناه من تفسير الطبري .
راجع (٣٤٢/٣) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦٧/٨) الى ابن المنذر ايضا .

و روى الحكم بن مبيد في كتاب الرد على الجهمية قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا يحيى بن عبد الله ، ثنا ضرار ، عن أبان ، عن انس ، قال : « أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، وآدم من حمأ مسنون ، وإبليس من لهب النار ، والسماء من دخان ، والارض من زبد الماء ، فاخبرنا عن ربك ؟ قال : فلم يجبهم النبي ﷺ فأتاه جبريل فقال يا محمد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس له عروق يتشعب إليها . ﴿ الصَّمَدُ ﴾ ليس بأجوف ولا ياكل ولا يشرب ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ليس له ولد ولا والد ينسب إليه ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس شيء من خلقه يعدل مكانه يسلك السموات والارض ان تزولا » الحديث .

وقال ابن جرير : ثنا عبد الرحمن بن الاسود ، ثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور ، عن عطية عن ابن عباس قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي ليس بأجوف . حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان عن منصور ، عن مجاهد ﴿ الصَّمَدُ ﴾ المصمت الذي لا جوف له .

حدثنا أبو كريب ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور مثله سواه .

حدثنا الحارث ، ثنا الحسن ، ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ، حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا الربيع بن مسلم عن الحسن قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له .

(٧٠) الحكم بن مبيد بن أحد بن عبيد الخزاعي ، أبو عبد الله .

فقيه ، محدث ، أديب من أهل أصفهان ، كان من كبار الحنفية وثقاتهم توفي سنة ٢٩٥ هـ . راجع شذرات (٢١٨/٢) أخبار أصفهان لأبي نعم (٢٩٨/١) الجواهر المضية (٢٢٢/١) .

(٧١) سنده ضعيف ، يحيى بن عبد الله السابلي ضعيف ، وإبان ، الراوى عن انس - اذا كان ابن أبي عيش فهو ضعيف أيضا ، ولم أعرف ضرار . وأحدث نسب السيوطي في الدر المنثور (٦٧٠/٨) إلى أبي الشيخ في العظمة وإبي بكر المرقندي في فضائل « قل هو الله أحد » .

(٧٢) سنده ضعيف لأجل سلمة بن سابور وشيخه عطية وهوا بن سعد بن جنادة الموق .

و راجع تفسير الطبري (٣٤٤/٣٠) . وأخرجه أيضا ابن أبي عامر في السنة (٣٠١/١) والبيهقي في الاسماء والصفات (٧٨) .

(٧٣) سنده صحيح ، وقد مر برواية ابن أبي حاتم وهو عند الطبري في تفسيره (٣٤٤/٣٠) .

(٧٤) سنده صحيح ، وهو في تفسير الطبري (٣٤٥/٣٠) وأخرجه ابن أبي عامر بسند صحيح أيضا (٣٠١/١) .

و بهذا الاسناد عن إبراهيم بن ميسرة قال : « أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبير أسأله عن ﴿ أَلَصَّدَ ﴾ فقال : الذي لا جوف له » .^(٧٥)

حدثنا ابن بشار ، ثنا يحيى ، ثنا اسمعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : ﴿ أَلَصَّدَ ﴾ الذي لا يطعم الطعام » .^(٧٦)

ورواه يعقوب عن هشيم عن إسماعيل عنه قال : « لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب » .

حدثنا ابن بشار و زيد بن أوزم قالوا : ثنا ابن داود عن المستقيم بن عبد الملك ، عن سعيد بن المسيب قال : ﴿ أَلَصَّدَ ﴾ الذي لا حشوله .^(٧٧)

حدثنا الحسين ، ثنا أبو معاذ ، ثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول : ﴿ أَلَصَّدَ ﴾ الذي لا جوف له .^(٧٨)

و روى عن ابن بريدة فيه حديثاً مرفوعاً لكنه ضعيف .^(٧٩)

قال : وقال آخرون هو الذي لا يخرج منه شيء .

حدثنا يعقوب بن أبي عليّة ، عن أبي رجاء ، سمعت عكرمة قال في قوله : ﴿ أَلَصَّدَ ﴾ لم يخرج منه شيء : لم يلد ولم يولد ،^(٨٠)

(٧٥) أساده صحيح ، و راجع الطبري (٢٤٥/٣٠) و أخرجه ابن أبي عاصم عن إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبير ، و قال الألباني سنده صحيح (٢٠٢/١)

(٧٦) صحيح الاسناد - و هو في تيسير الطبري (٢٤٥/٣٠) و قد مرّ رواية ابن أبي حاتم

(٧٧) سنده فيه ضعف المستقيم بن عبد الملك و اسمه عثمان ، لئى الحديث و ابن داود هو عبد الله بن داود الحريبي . ثقة عائد

و الحديث عند الطبري (٢٤٥/٣٠) و أخرجه ابن أبي عاصم (٣٠١/١)

(٧٨) ضعيف ، الحسين بن المرح الحياط ، ضعيف ، كدبه ابن معي - و هو لس من تبجح الطبري بل يروى عنه بواسطة عدنان بن محمد المروزي ، و كثيراً ما يقطعه فيقول ، حَدَّثْتُ « عن الحسين - كما جاء في تيسير الطبري في هذا الخبر راجع (٢٤٥/٣٠)

و أبو معاذ هو العصل بن خالد البجلي ، ذكره ابن أبي حاتم في كتابه و لم يذكر فيه حرجاً و لا تمديلاً و عبيد هو ابن سليمان الباهلي - لا بأس به - و أخرجه ابن أبي عاصم لمسانيد حيد (٣٠٢/١)

(٧٩) و هو راجع الطبري (٢٤٥/٣٠) و قد مرّ رواية ابن أبي حاتم

(٨٠) راجع الطبري (٢٤٥/٣٠) و راجع مسلم (٢٠١٦/٣)

حدثنا ابن بشار ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي رجاء محمد بن^(٨١)
يوسف ، عن عكرمة قال : ﴿ أَلْصَدُّ ﴾ الذي لا يخرج منه شيء .

وقال آخرون لم يلد ولم يولد ، وذكر حديث أبي بن كعب الذي رواه^(٨٢)
ابن أبي حاتم ، والذي فيه : أنه سبحانه لا يموت ولا يورث .

قال : وقال آخرون : هو السيد الذي انتهى في سؤده .

قال : وثنا أبو السائب ، ثنا أبو معاوية ، عن الاعشى ، عن شقيق ،
قال : ﴿ أَلْصَدُّ ﴾ هو السيد الذي انتهى في سؤده .^(٨٣)

حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى قالوا : ثنا وكيع عن
الاعشى عن أبي وائل قال : ﴿ أَلْصَدُّ ﴾ السيد الذي انتهى في سؤده .

حدثنا ابن حميد ، ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الاعشى ، عن أبي وائل^{١٠}
مثله حدثنا أبو صالح ، ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله :
﴿ أَلْصَدُّ ﴾ قال السيد الذي قد كل في سؤده ، وذكر مثل الحديث الذي
رواه ابن أبي حاتم كما تقدم .

قلت : الاشتقاق يشهد للقولين جميعاً قول من قال : ان ﴿ أَلْصَدُّ ﴾ الذي^{١٥}
لا جوف له ، وقول من قال انه السيد ، وهو على الاول ادل ؛ فان الاول
أصل للثاني ، ولفظ ﴿ أَلْصَدُّ ﴾ يقال على ما لا جوف له في اللغة .

قال يحيى بن أبي كثير : الملائكة صمد والادميون جوف .^(٨٤)

وفي حديث آدم . ان ابليس قال عنه انه أجوف ليس بصمد .^(٨٥)

^(٨١) كذا في تفسير الطبري وصحته ، محمد بن سيف ، و هكذا ورد اسمه في تهذيب التهذيب فيمن روى عنهم شعبة . و
راجع الكافي للدولابي (١٧٣/١) .

^(٨٢) انظر تفسير الطبري (٣٤٦/٣٠) .

^(٨٣) راجع المصدر المذكور (٣٤٦/٣٠) وقد مر برواية ابن أبي حاتم .

^(٨٤) يحيى بن أبي كثير ، أبو نصر الطائي .

من صفار التابعين ، أحد الأعلام الحفاظ . قال أحمد : هو من اثبت الناس انما يعد مع الزهري ويحيى بن
سعيد . توفي سنة ١٢٩ هـ .

انظر طبقات ابن سعد (٥٥٥/٥) السير (٣٧/٦ - ٣٠) الخلية (٦٦/٣ - ٧٥) التذكرة (١٢٧/١) .

^(٨٥) جاء في حديث طويل أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٣/١) والبيهقي في الاسماء والصفات (٤٥٧) عن ابن مسعود
وابن عباس - وسنده ضعيف .

وقال الجوهري : المصد لغة في المصت وهو الذي لا جوف له ، قال
والصاد غفاص القارورة ، وقال : الصمد المكان المرتفع الغليظ قال أبو النجم^(٨٧) :

« يغادر الصمد كظهر الاجزل »

و اصل هذه المادة الجمع والقوة ، ومنه يقال يصد المال : أي يجمعه ، و
كذلك « السيد » أصله سيود اجتمعت ياء و واو و سبقت احدهما بالسكون
فقلبت الواو ياء و ادغمت . كما قيل ميت واصله ميوت . والمادة في السواد و
السود تدل على الجمع ، و اللون الاسود هو الجامع للبصر . وقد قال تعالى :
﴿ وَ سَيِّدًا وَ حَصُونًا ﴾ .

قال اكثر السلف ﴿ سَيِّدًا ﴾ حلياً ، و كذلك يروى عن الحسن ، و سعيد
بن جبير ، و عكرمة و عطاء ، و أبي الشمشاء والربيع بن أنس ، و مقاتل ، و
قال : أبو روق عن الضحاك انه الحسن الخلق . و روى سالم عن سعيد بن جبير
انه التقى^(٨٨) ، و لا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً .

(٨٦) راجع اللسان « صمد » .

(٨٧) ابو النجم الرجاز و اسمه الفضل بن قدامة المجل .
من اكابر الرجاز ، و من احسن الناس انشادا للشعر . توفي سنة ١٢٠ هـ .
انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٤٠٠ - ٤٠٤) الاغاني (الدار) (١٠/١٥٠) .
و شطره في اللسان (صمد) .

(٨٨) آل عمران (٣٩/٣) .

(٨٩) كنا جاء حلياً (باللام) و هو الصواب . و ذكر ابن الجوزي (٣٨٢/١) ثمانية اقوال في معنى السيد منها الحكم
التقى . روى عن ابن عباس و قال به الضحاك .
و منها الحكم (بالكاف) و نسبة للحسن ، و سعيد بن جبير ، و عكرمة . و عطاء ، و ابى الشمشاء ،
والربيع و مقاتل ، و يبدو هذا تحريفاً ، فلم يذكر الطبري في تفسيره عن احد انه فر السيد بالحكم و لا نقل
السيوطي ذلك عن احد .
راجع الطبري (٢٥٤/٣) و الدر المنثور (١٨٧/٣) و ابن كثير (٣٦١/١) و اللسان « سود » .

(٩٠) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣٨٢/١) و اخرجه احمد في الزهد (٩٠) و الحرائطي في مكارم الاخلاق قاله
السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٣) .
و سنده لا بأس به . ابو روق هو عطية بن الحارث الهمداني ، الكوفي ، قال الحافظ في التوقيف : صدوق .

(٩١) اخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥٤/٣) بسند ضعيف .

وقال عبد الله بن عمر : ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية !
 فقيل له : ولا أبو بكر ، ولا عمر ، قال : كان أبو بكر وعمر خيراً منه ، وما
 رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية^(٩٧) ! قال أحمد بن حنبل : يعني به
 الحليم ، أو قال : الكريم ولهذا قيل :

٥ إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة فبالحلم سد لا بالتسرع والشم^(٩٨)
 ولهذا فسر طائفة من السلف السيد بأنه سيد قومه في الدين ، وقال ابن
 زيد : هو الشريف ، وقال الزجاج : الذي يفوق قومه في الخير . وقال ابن
 الأنباري : السيد هنا الرئيس ، والامام في الخير ، وعن ابن عباس ومجاهد :
 هو الكريم على ربه ، وعن سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقد تقدم أنهم
 يقولون لعفاس القارورة : صا ، قال الجوهري : العفاس جلد يلبسه رأس
 القارورة ، وأما الذي يدخل في فيه فهو الصمام وقد عفست القارورة شددت
 عليها العفاس .

(قلت) : وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في اللقطة : « ثم اعراف عفاصها
 وكاءها » والمراد بالعفاص^(٩٩) : ما يكون فيه الدرهم كالحرقعة التي تربط فيها
 الدرهم ، والكاء : مثل الحيط الذي يربط به ، وهذا من جنس عفاص^(١٠٠)

(٩٢) ذكره ابن الأثير في النهاية (٤١٨/٢) وقال قيل أراد اسحق وأعطى للمال وقيل احلم منه

(٩٣) نقل هذه الأقوال ابن المحرور في تفسيره (٢٨٢/١) وراجع اللسان « سود »

(٩٤) أخرجه ابن جرير في مصيره (٢٥٤/٣)

(٩٥) أخرجه ابن جرير وفي أساده بنية وفيه كلام

(٩٦) أخرجه البخاري في اللقطة (٩٢/٢ - ٩٥) وفي العلم (٢١/١) وفي الترتيب والمساقاة (٧٧/٣) وفي الطلاق (١٧٤/٨) وفي
 في الأدب (٩٨/٧)

وسلم في اللقطة (١٣٤٦/٢ - ١٣٤٩) من حديث زيد بن خالد الجهني وهو عبد الله بن داود في اللقطة (٣٣١/٣)
 والترمذي في الأحكام (٢٩٥/٢ - ٢٩٦) نسخة وابن ماجة في اللقطة (٨٣٦/٢) رقمه ٢٥٠٤ ٨٢٨٠ رقمه ٢٥٠٧
 وأخرجه مالك في الموطأ (٧٥٧) .

وأحمد في مسنده (١١٦٤ - ١١٧٠ - ١١٧٢/١)

(٩٧) ذكره ابن جرير في التاج (٢٦٧/٣) بعض الوعا - التي تكون فيه العفة من حلد أو حرقعة أو غير ذلك من
 بعض ، هو حي وعطش ، و به سمي الحلد الذي يجعل على رأس القارورة عفاصها
 و رجع عن بعض

(٩٨) رجع لسان « وفي

القارورة . و لفظ العفص والسد والصد والجمع والسؤدد معانيها متشابهة ، فيها الجمع والقوة ، و يقال طعام عفص، وفيه عفوصة ؛ أى تقبض ، ومنه العفص الذي يتخذ منه الحجر .

وقد قال الجوهري : هو مولد ليس من كلام أهل البادية ، وهذا لا يضر ؛ لأنه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم ، لكن التسمية به جارية على أصول كلام العرب ، و كذلك تسميتهم لما يدخل في فها صام ، فان هذه المادة فيها معنى الجمع والسد .

قال الجوهري : صام القارورة سدادها ، والحجر الأصم: الصلب المصمت ، و الرجل الأصم: هو الذي لا يسمع ، لانسداد سمعه ، والرجل الصمة: الشجاع ، و الصمة: الذكر من الحيات ، و صميم الشيء: خالصة ، حيث لم يدخل اليه ما يفرقه ١٠ و يضعفه ، يقال صميم الحر ، و صميم البرد ، و فلان من صميم قومه ؛ و الصمصام : الصارم القاطع ، الذي لا ينثنى ، و صمم في السير وغيره أى مضى ، و رجل صمصم : اى غليظ .

و منه في الاشتقاق الأكبر الصوم ، فان الصوم هو الامساك .

قال ابو عبيدة^(٩٩) : كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم ، لأن ١٥ الامساك فيه اجتماع ، والصائم لا يدخل جوفه شيء ، و يقال صام الفرس إذا قام في غير اعتلاف . قال النابغة^(١٠٠) :

خيل صيام وخيل غير صائفة تحت العجاج، وأخرى تملك اللججا

و كذلك السد والسداد والسؤدد والسواد ، و كذلك لفظ الصد فيه الجمع ، والجمع فيه القوة ، فان الشيء كلما اجتمع بعضه إلى بعض ، و لم يكن فيه خلل ٢٠ كان أقوى مما إذا كان فيه خلل ، ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع : صمد ،

(٩٩) ابو عبيدة معمر بن المنذر التيمي .

من أمثلة اللغة ، العلامة ، النحوى ، صاحب التصانيف الكثيرة منها « معارج القرآن » و « غريب الحديث » توفي سنة ٢٠٩ هـ .

انظر تاريخ بغداد (٢٥٢/١٣) معجم ياقوت (١٥٤/٩) اسام الرواة (٢٧٦/٢) تاريخ الادب العربى لبروكلمان (١٤٢/٢ - ١٤٥) وفيات ابن حلكان (٢٣٥/٥) السير (٤٤٥/٩) طبقات الداودى (٣٣٦/٢) .

راجع معارج القرآن لآبى محمد (٢٠٦) ولسان احكام ص ١١٠ .

لقوته وتماسكه ، واجتماع أجزائه ، والرجل الصمد هو السيد المصود ، أى المقصود ، يقال قصدته ، وقصدت له ، وقصدت إليه ، وكذلك هو مصود ، ومصود له وإليه ، والناس إنما يقصدون فى حوائجهم من يقوم بها ، وإنما يقوم بها من يكون فى نفسه مجتمعا قويا ثابتا ، وهو السيد الكريم ، بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق و يقلق و يتزق من كثرة حوائجهم و ثقلها ، فان هذا ليس بسيد صمد يصدون إليه فى حوائجهم .

فهم إنما سمو السيد من الناس صمدا ؛ لما فيه من المعنى الذى لأجله يقصده الناس فى حوائجهم ، فليس معنى السيد فى لغتهم معنى اضافى فقط — كلفظ القرب والبعد — بل هو معنى قائم بالسيد ؛ لأجله يقصده الناس ، والسيد من السؤدد والسواد ، وهذا من جنس السداد فى الاشتقاق الأكبر فإن العرب تعاقب بين حرف العلة ، والحرف المضاعف ، كما يقولون : تقضى البازى ، و تقضض . والساد هو الذى يسد غيره ، فلا يبقى فيه خلو ، ومنه سداد القارورة ، و سداد الثغر بالكسر فيها ، وهو ما يسد ذلك ، ومنه السداد بالفتح ؛ وهو الصواب ، ومنه القول السديد . قال الله تعالى : ﴿ اِتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

قالوا قصدا حقا . وعن ابن عباس: صوابا . وعن قتادة ومقاتل، عدلا . و عن السدى: مستقيما . وكل هذه الأقوال^(١٠٦) صحيح ، فان القول السديد هو المطابق للموافق . فان كان خبرا كان صدقا مطابقا لخبره ، لا يزيد ولا ينقص ، وان كان أمرا كان أمرا بالعدل الذى لا يزيد ولا ينقص ، ولهذا يفسرون السداد بالقصد ، والقصد بالعدل .

قال الجوهري : التسديد التوفيق للسداد ، وهو الصواب ، والقصد فى القول والعمل ، و رجل مسدد إذا كان يعمل بالسداد ، والقصد، والمسدد: المقوم ،

(١٠٠) راجع للسان " سدد " .

(١٠٢) الآخر — (٧٠ ٣٣)

(١٠٣) ذكر هذه الأقوال ابن الجوزى فى تفسيره (٤٢٧/١) .

وقول ابن عباس نسيه السيوطى فى الدر المنثور (٦٦٧/١) الى الطبق فى مسائله .

وقول قتادة أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٥٢/٢٢) ونسيه السيوطى فى الدر (٦٦٨/١) .

الى عبد بن حيد وابن ابي حاتم ايضا .

وسدد رطله ، وأمر سديد وأسد أى قاصد ، وقد استد الشيء استقام . قال الشاعر^(١٠٤) :

أهله الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماي

- وقال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء ، وتعبيرهم عن السداد بالقصد يدل على أن لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة ، والقصد العدل كما أنه السداد ، والصواب ، وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص ، وهذا هو الجامع المطابق . ومنه قوله تعالى^(١٠٥) : ﴿ وَ عَلَى اللَّهِ قَضَاءُ السَّبِيلِ ﴾ أى السبيل القصد . وهو السبيل العدل : أى إليه تنتهى السبيل العادلة ، كما قال تعالى^(١٠٦) : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أى الهدى اليها هذا اصح الأقوال فى الآيتين . وكذلك قوله تعالى^(١٠٧) : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ومنه فى الاشتقاق الاوسط : الصدق ، فان حروفه حروف القصد ، فنه الصدق فى الحديث لمطابقتها مخبره ، كما قيل فى السداد . والصدق بالفتح الصلب من الرماح و يقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل ولا عوج ، و الصندوق واحد الصناديق ، فانه يجمع ما يوضع فيه .

- وما ينبغى أن يعرف فى باب الاشتقاق انه إذا قيل هذا مشتق من هذا فله معنيان :

- أحدهما : ان بين القولين تناسبا فى اللفظ والمعنى ، سواء كان أهل اللغة تكلموا بهذا بعد هذا او بهذا بعد هذا ، وعلى هذا فكل من القولين مشتق من الآخر ، فان المقصود انه مناسب له لفظا ومعنى كما يقال : هذا الماء من هذا الماء ، وهذا الكلام من هذا الكلام ، وعلى هذا فاذا قيل : ان الفعل مشتق من المصدر ، او المصدر مشتق من الفعل ، كان كلا القولين صحيحا ، وهذا هو الاشتقاق الذى يقوم عليه دليل التصريف .

(١٠٤) الس فى السال سدد و حلت الأقوال فى وثله

(١٠٥) سورة البحل (٩/١٦)

(١٠٦) الليل (١٢/٩٢) .

(١٠٧) الحجر (٤١/١٥) .

(١٠٨) راجع السان صدقه وفيه الصدق (بالفتح) الصلب من الرماح وغيرها و رمح صدق : متو ، وكذلك سيف صدق .

و أما المعنى الثاني فى الاشتقاق وهو أن يكون أحدهما أصلا للآخر، فهذا إذا
عنى به أن أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يقم على هذا دليل فى أكثر المواضع ، و
ان عنى به أن أحدهما متقدم على الآخر فى العقل لكون هذا مفردا و هذا مركبا
فالفعل مشتق من المصدر .

و الاشتقاق الأصغر اتفاق القولين فى الحروف و ترتيبها ، والأوسط اتفاقها فى
الحروف لا فى الترتيب ، والأكبر اتفاقها فى أعيان بعض الحروف ، و فى الجنس
فى الباقي ، كاتفاقها فى كونها من حروف الحلق ، إذا قيل حزر وعزر وأزر ،
فان الجميع فيه معنى القوة والشدة وقد اشتركت مع الراء والزأى والحاء ، فى
ان الثلاثة حروف حلقية ، و على هذا فاذا قيل : الصد بمعنى المصت ، و انه
مشتق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح ، فان الدال أخت التاء ؛ فان الصت
السكوت ، و هو إمساك ، و إطباق اللغف عن الكلام .

قال ابو عبيد^(١٠٩) : المصت الذى لا جوف له ، و قد أصحته أنا ، و باب مصت
قد أهم اغلاقه ، و المصت من الخيل ؛ البهم أى لو كان لا يخالط لونه لون آخر ، و
منه قول ابن عباس^(١١٠) : انما حرم من الحرير المصت ، فالمصد والمصت متفقان فى
الاشتقاق الأكبر ، وليست الدال متقلبة عن التاء ، بل الدال أقوى ، والمصد
أكل فى معناه من المصت ، وكلما قوى الحرف كان معناه أقوى ، فان لغة
العرب فى غاية الاحكام والتناسب ، ولهذا كان الصت امساكاً عن الكلام مع
امكانه ، والانسان أجوف يخرج الكلام من فيه لكنه قد يصت بخلاف الصد
فانه إنما استعمل فيما لا تفرق فيه ، كالصد والسيد والصد من الارض و صناد
القارورة ، و نحو ذلك . فليس فى هذه الألفاظ المتناسبة أكمل من ألفاظ
الصد ، فان فيه الصاد والميم والدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لها مزية على
ما يناسبها من الحروف ، والمعاني المدلول عليها بثل هذه الحروف أكمل .

(١٠٩) راجع اللسان مصته .

(١١٠) أخرجه ابو داود فى اللباس (٣٢٩/٤) و احدى فى مسنده (٢١٨/١) ، ٢١٢ ، ٢٢١

ومما يناسب هذه المعاني (الصبر) فان الصبر فيه جمع وامساك ، ولهذا قيل : الصبر حبس النفس عن الجزع ، يقال صبر وصبرته أنا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ وكذلك معنى السيد الصد خلاف معنى الجزوع النوع ، ومنه الصبرة من الطعام فانها مجتمعة مكومة ، والصبرة الحجارة ، وصبر الشيء غلظه ، وضده (الجزع) ، وفيه معنى التقطع والتفرق ، يقال جزع له جزءة من المال أي قطع له قطعة ، والجزوعة القطعة من الغنم ، واجتزعت من الشجر عوداً أي اقتطعته ، واكسرتة ، وجزعت الوادى إذا قطعتة عرضاً ، و الجزع منعطف الوادى ، ومنه الجزع وهو الخرز الهانى الذي فيه بياض و سواد ، وكذلك جزع البسر تجزيعاً إذا أرطب نصفه (أو) ثلثاه ، وهو خلاف قولهم مصمت للون الواحد لما في ذلك من الاجتماع ، وفي هذا من التفرق .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ .

قال الجوهري : الهلع : أفحش الجزع ، وقال غيره : هو في اللغة أشد الحرص ، وأساء الجزع ، ومنه قول النبي ﷺ : « شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ شَعْرٌ هَالِعٌ وَجَبْنِ خَالِعٌ » .

وناقة هلواع ، إذا كانت سريعة السير خفيفة ، وذئب هلع بلع ، والهلع من الحرص ، والبلع من الابتلاع ، ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني ، فروى عن ابن عباس قال : هو الذي إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً .

(١١١) راجع تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤٧) وانظر اللسان «صبره» .

(١١٢) سورة الكهف (٢٨/١٨) .

(١١٣) راجع اللسان «جزع» .

(١١٤) المعارج (١٩/٦٠ - ٢١) .

(١١٥) وقال الطبري في تفسيره : الهلع : شدة الجزع مع شدة الحرص والضرر (٧٨/٢٩) .
و راجع اللسان «هلع» .

(١١٦) رواه ابو داود و احمد و البيهقي في شعب الايمان — وانظر تخريجه فيه .

(١١٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٨/٢٩) .

و روى عنه انه قال : هو الحريص على ما لا يحل له .^(١١٨)

و عن سعيد بن جبير^(١١٩) : شحيا . و عن عكرمة : ضجورا . و عن جعفر : حريصا ، و عن الحسن والضحاك : بخيلا ، و عن مجاهد : شرها ، و عن الضحاك أيضا : الهلوع الذى لا يشبع ، و عن مقاتل : ضيق القلب ، و عن عطاء : عجولا .

و هذه المعاني كلها تنافى الثبات و القوة و الاجتماع ، و الامساك و الصبر ، و قد قال تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

و هذا و إن كان قد قيل ان المراد به أنها تنصدع فيوتون ، فانه كما قيل : ١٠ في مثل ذلك ، قد انصدع قلبه ، و قد تفرق قلبي ، و قد تشتت قلبي ، و قد تقسم قلبي ، و منه يقال للخوف : قد فرق قلبه و يقال : بازاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب ، مجموع القلب .



(١١٨) و نقل في اللسان «هلوع» عن المبرد رجلا هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منها غير الحق .

(١١٩) راجع الطبري (٧٨/٢٩) و في سنده يحيى بن يمان و هو صدوق يخطئ كثيرا و اشعث بن اسحاق صدوق و جعفر بن ابي مغيرة صدوق بهم .
و انظر هذه الاقوال في تفسير ابن الجوزي و الدر المنثور (٢٨٤/٨) و راجع القرطبي (٢٨٩ / ١٨ - ٢٩٠) .

(١٢٠) سورة براءة (١١٠/٩)

فصل

- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ فادخل اللام في الصمد ، ولم يدخلها في أحد ؛ لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الاثبات مفرداً غير مضاف إلا الله تعالى ؛ بخلاف النفي وما في معناه : كالشرط والاستفهام فانه يقال : هل عندك أحد ؟ وان جاءني أحد من جهتك أكرمته ، و إنما استعمل في العدد المطلق ، يقال : أحد ، اثنان . و يقال : احد عشر . و في اول الأيام يقال : يوم الأحد ، فان فيه — على أصح القولين — ابتداء الله خلق السموات والارض ، وما بينهما . كما دل عليه القرآن والاحاديث الصحيحة ، فان القرآن أخبر في غير موضع : أنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته : (أن آخر المخلوقات كان آدم ، خلق يوم الجمعة) ^(١١) . وإذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة .

(١٢١) حديث أن آدم كان آخر الخلق جاء في رواية مسلم الذي قال المؤلف انه معلول واما حديث أن ادم خلق يوم الجمعة فقد رواه مسلم (٥٨٥/١) و أبو داود (٦٣٤/١) و الترمذی (٣٥٩/١) والنسائي (٩٠/٢) ومالك في الموطأ (١٠٨) و أحد في مسنده (٥٠٤٤١٨/٣ ، ٥١٢ ، ٥٤٠) عن أبي هريرة و روى عن غيره من الصحابة .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله : « خلق الله التربة يوم السبت » فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخارى وغيره ، قال البخارى : الصحيح انه موقوف على كعب ، وقد ذكر تعليقه البيهقي أيضاً ، وبينوا انه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، وهو ما أنكر الحذاق على مسلم إخراجهم إياه ، كما أنكروا عليه إخراج أشياء يسيرة ، وقد بسط هذا في مواضع أخر ، .

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ قال ابن عباس : (١٢٥) خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين ، وبه قال عبد الله بن سلام والضحاك ومجاهد وابن جريج والسدي والاكثرون ، وقال مقاتل في يوم الثلاثاء والاربعاء .

وقال : وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة « خلق الله التربة يوم السبت » . قال : وهذا الحديث مخالف لما تقدم ، وهو أصح فصح هذا لظنه صحة الحديث ، إذ رواه مسلم ، ولكن هذا له نظائر روى مسلم أحاديث قد عرف أنها غلط ، مثل قول أبي سفيان لما أسلم : أريد أن أزوجه أم حبيبة ، ولا خلاف بين الناس أنه تزوجها قبل إسلام أبي سفيان ، ولكن هذا قليل جداً ، ومثل

(١٢٢) ولفظه « خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيها بين المصير إلى الليل

أخرجه مسلم في المشافقين (٢١٥٠/٢١٤٩) والبيهقي في الإساءة والصفات (٤٨٦ - ٤٨٧) وقال : زعم بعض أهل العلم بالحديث انه غير محفوظ مخالفته ما عليه أهل التفسير وأهل التواريخ . وأخرجه أيضاً الدلاوي في الكنى (١٧٥/١) وابن منده في كتاب التوحيد (١٨٣ ر٥٨٣) . وصححه الألباني وتكلم عليه في الصحيحة (١٨٣٢) .

(١٢٣) راجع تفسير ابن كثير (٩٤/٤) .

(١٢٤) راجع تيسيره (٢٤٣/٧) .

(١٢٥) أخرجه الحاكم وصححه و تعقبه الذهبي (٥٤٢/٢) وابن جرير في تفسيره (٩٤/٢٤) .

(١٢٦) نسب السيوطي في الدر المنثور (٣١٥/٧) إلى ابن المنذر .

(١٢٧) راجع تفسير الطبري (٢٠٥/٨) .

(١٢٨) أخرجه ابن جرير (٩٤/٢٤) .

(١٢٩) أخرجه في فضائل أبي سفيان من كتاب فضائل الصحابة (١٩٤٥/٢) . و راجع تعليق النووي على هذا الحديث (٦٢/١٦) .

ما روى في بعض طرق حديث صلاة الكسوف انه صلاها بثلاث ركوعات و أربع^(١٣٠)؛ والصواب انه لم يصلها الا مرة واحدة بركوعين ، ولهذا لم يخرج البخاري إلا هذا ، وكذلك الشافعي ، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، و غيرها ، و البخاري سلم من مثل هذا ؛ فانه اذا وقع في بعض الروايات غلط ذكر الروايات المحفوظة التي تبين غلط الضالط ، فانه كان أعرف بالحديث و علله ، وأفقه في معانيه من مسلم و نحوه .

و ذكر ابن الجوزي في موضع آخر أن هذا قول ابن اسحاق قال : و قال ابن الانباري : و هذا إجماع أهل العلم .

و ذكر قولاً ثالثاً في ابتداء الخلق : أنه يوم الاثنين . وقال: قاله ابن اسحاق، و هذا تناقض . و ذكر أن هذا قول أهل الانجيل ، والابتداء بيوم الأحد قول أهل التوراة ، و هذا النقل غلط على أهل الانجيل . كما غلط من جعل الأول إجماع أهل العلم من المسلمين . و كأن هؤلاء ظنوا ان كل أمة تجعل اجتماعها في اليوم السابع من الايام السبعة التي خلق الله فيها العالم ، و هذا غلط ؛ فان المسلمين انما اجتماعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم ، و هو يوم الجمعة ، كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة .

والمقصود هنا : أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الاعيان الا الله وحده ، و انما يستعمل في غير الله في النفي ، قال اهل اللغة : تقول لا احد في الدار ، ولا تقول فيها أحد . ولهذا لم يبيء في القرآن إلا في غير الموجب ، كقوله تعالى^(١٣١) ﴿ قَمَّا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ .

و كقوله^(١٣٢) ﴿ لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

و قوله^(١٣٣) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ .

و في الاضافة كقوله^(١٣٤) ﴿ قَابِضُوا أَحَدَكُمْ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾^(١٣٥) .

(١٣٠) حديث ثلاث ركوعات في ركعة أخرجه عن عبيد بن عمار عن عائشة (١٣٠/١ - ١٣١) و عن جابر (١٣٢/١) و حديث أربع ركوعات أخرجه من حديث جابر (١٣٢/١) و من حديث ابن عباس (١٣٧/١) و راجع النوى (١٩٨/١ - ١٩٩) .

(١٣١) راجع تفسيره (٢١١/٣) (١٣٢) عس العنبر (١٣٣) سورة المدح (٤٧-٧٠) (١٣٤) الاحزاب (٣٢-٣٣) (١٣٥) سورة (٦٠/٩) . (١٣٦) الكهف (١٩/٨) . (١٣٧) الكهف (١٨/٨) .

وَأَمَّا اسْمُ ﴿الصَّمدِ﴾ فَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَهْلُ اللِّسَةِ فِي حَقِّ المَخْلُوقِينَ . كَمَا
تَقْدِمُ . فَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ صمد ، بَلْ قَالَ : ﴿اللَّهُ الصَّمدُ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ ؛ لِأَنِّ
يَكُونُ هُوَ الصمد دُونَ مَا سِوَاهُ ، فَانَّهُ الْمُسْتَوْجِبُ لِفَايَتِهِ عَلَى الْكَمَالِ ، وَالمَخْلُوقِ
أَن كَانَ صمداً مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ ؛ فَانَّ حَقِيقَةَ الصمدية مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ ؛ فَانَّهُ يَقْبَلُ
التَّفَرُّقَ وَالتَّجَزُّؤَ ، وَهُوَ أَيْضاً عَمَّا حَاجَ إِلَى غَيْرِهِ ، فَانَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ عَمَّا حَاجَ
إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَصمد إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَلا يَصمد هُوَ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَلا يَسْأَلُ فِي المَخْلُوقاتِ إِلَّا مَا يَقْبَلُ أَنْ يَتَجَزَّأَ ، وَ يَتَفَرَّقَ ، وَ
يَتَقَسَّمُ ، وَ يَنْفَصِلُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الصمد الَّذِي لا يَجُوزُ عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ حَقِيقَةُ الصمدية وَكَمَالُهَا لَهُ وَحْدَهُ وَاجِبَةٌ لَازِمَةٌ لا يُمْكِنُ عَدَمُ
صمدِيَّتِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، كَمَا لا يُمْكِنُ تَنْشِئَةُ أَحَدِيَّتِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، فَهُوَ أَحَدٌ
لا يَمِثُّهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، كَمَا قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ : ﴿وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ اسْتَعْمَلَهَا هُنَا فِي النِّفْيِ أَيَّ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَفُوا
لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّهُ أَحَدٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَنْتَ سَيِّدُنَا فَقَالَ : ﴿السَّيِّدُ اللَّهُ﴾ .
وَدَلُّ قَوْلِهِ . (الْاِحْدُ ، الصمد) ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كَفُوًا أَحَدٌ ؛ فَانَّ الصمد هُوَ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ وَلا أَحْشَاءَ ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ
شَيْءٌ ، فَلَا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا قَالَ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ
وَلِيًّا قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلا يُطْعَمُ﴾ .

وَفِي قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِ وَلا يُطْعَمُ بِالْفَتْحِ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ
مَنْ رِزْقِي وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ .

وَمِنْ خَلْقَاتِهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ صمد لا يَأْكُلُونَ وَلا يَشْرَبُونَ ، فَالْخَالِقُ لَهُمْ
جَلَّ جَلَالُهُ أَحَقُّ بِكُلِّ غَفَى وَكُلِّ جَعْلَةٍ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَلِهَذَا فَسَّرَ بَعْضُ
السُّلَفِ الصمدَ بِأَنَّهُ الَّذِي لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ ، وَالصمدُ : المصمد الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ ،
فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ عَيْنٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَا يَلِدُ .

(١٣٨) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ مِنْ سَنَتِهِ (١٥٤/٥) وَاحِدٌ فِي مُسْنَدِهِ (٢٤/٤ - ٢٥) وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
(٢٩) وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ .

(١٣٩) حَوَاطِرُ الْأَعْلَمِ (١٤٢/٦) (١٤٢٠) رَاجِعٌ غَيْرُ أَبِي الْحَوَرِيِّ (١٩٦/٣) (١٤٢١) الْإِدْرَاكِاتِ (٥٦١ - ٥٦٩) (٥٩)

ولذلك قال من قال من السلف : هو الذي لا يخرج منه شيء ، ليس مرادهم انه لا يتكلم ، وان كان يقال في الكلام إنه خرج منه ، كما قال في الحديث : (ما تقرب العباد الى الله بشيء أفضل مما خرج منه) ^(١٤٧) يعني القرآن .

• وقال ابو بكر الصديق لما سمع قرآن مسيلة : ان هذا لم يخرج من إل ^(١٤٨)

فخرج الكلام من المتكلم هو بمعنى أنه يتكلم به فيسمع منه ، و يبلغ الى غيره ليس بمخلوق في غيره ، كما يقول الجهمية : ليس بمعنى أن شيئاً من الاشياء القائمة به يفارقه ، و ينتقل عنه الى غيره ، فان هذا ممتنع في صفات المخلوقين ان تفارق الصفة محلها ، و تنتقل الى غير محلها ، فكيف بصفات الخالق جل جلاله . وقد قال تعالى في كلام المخلوقين : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾ ^(١٤٩)

• وتلك الكلمة هي قائمة بالتكلم وسمعت منه ، ليس خروجها من فيه ، أن ما قام بذاته من الكلام فارق ذاته ، وانتقل الى غيره ، فخرج كل شيء بحسبه ، و من شأن العلم و الكلام اذا استفيد من العالم و المتكلم ان لا ينقص من محله ، ولهذا شبه بالنور الذي يقتبس منه كل أحد الضوء ، و هو باق على حاله لم ينقص ، فقول من قال من السلف : الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء كلام صحيح ، بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه .

(١٤٢) رواه الترمذي عن ابي امامة مرفوعاً ولطفه ما ادنى الله لصمد في شيء اصل من ركعتين يصلحها ، و ان الرُّ ليدز على راس الصمد ما دام في صلاته ، و ما تقرب العباد الى الله مثل ما حرج منه . يعني القرآن و في رواية احمد «ماصل مما حرج منه المسد (٣١٨/٥) وقال الترمذي هذا حديث عريب لا يعرفه الا من هذا الوجه و تكسر حيس قد تكلم ابن المبارك و تركه في آخر امره ، و قد روى هذا الحديث عن ريد بن اريطاة عن حير بن عمار عن النبي ﷺ ، و هو مرسل... ثم ذكره و لطفه «انكم ان ترحموا الى الله ماصل مما حرج منه يعني القرآن» (١٣٧ - ١٣٨) و احمد في الزهد (٢٥) و وصله الحاكم مقال عن حير بن عمار عن ابي در عن النبي ﷺ (٥٥٥/١) وصححه و اقره الذهبي و ذكر الالباني الحديثين في صحيح الجامع الصغير (٤١٩٥، ٤١٩٦)

(١٤٣) ذكره ابو عبيد في عريب الحديث (٢٢٩/٣ - ٢٣٠) و راجع النهاية لاس الاثير (١١/١) واللسان «آله

(١٤٤) اتباع حهم بن صوان (١٢٨هـ) قال بالاحاسر والاصطرار الى الاعمال و انكر الاستطاعات كلها و رم ان الحجة و الباري تيدان و تميان و قال لا محوران يوصف الساري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيها

راجع الفرق بين الفرق للمدادي (١٩٩) وائل والحل للشهرستاني (١٠٩/١)

(١٤٥) سورة الكهف (٥/١٨)

ولهذا امتنع عليه ان يلد وان يولد ، وذلك ان الولادة والتولد وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين ، وما كان من المتولد عنها قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها ، وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به ، فالاول نفاه بقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ ، فان الاحد هو الذي لا كفو له ولا نظير^(١٤٦) ، فيمتنع ان تكون له صاحبة ، والتولد إنما يكون بين شيئين ، قال تعالى : ﴿ أُنْثَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَدُ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فنفي سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، وبانه خالق كل شيء ، وكل ما سواه مخلوق له ، ليس فيه شيء مولود له .

والثاني : نفاه بكونه سبحانه الصمد ، وهذا المتولد من أصلين يكون مجزئين ينفصلان من الأصلين ، كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالثني الذي ينفصل من أبيه وأمه ، فهذا التولد يفتقر الى اصل آخر ، والى ان يخرج منها شيء ، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى ، فانه احد فليس له كفو يكون صاحبة ونظيراً ، وهو صمد لا يخرج منه شيء ، فكل واحد من كونه احداً ، ومن كونه صمداً يمنع ان يكون والداً ، و يمنع ان يكون مولوداً بطريق الأولى والاحرى .

وكا ان التوالد في الحيوان لا يكون الا من اصلين — سواء كان الأصلان من جنس الولد ، وهو الحيوان المتوالد او من غير جنسه ، وهو المتولد — فكذلك في غير الحيوان كالنار المتولدة من الزندين ، سواء كانا خشبتين ، او كانا حجراً وحديداً ، أو غير ذلك قال الله تعالى ﴿ قَالُوا مَوَدَّاتٍ قَدْ خُلِيقًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَقْرَأْكَ الْيَوْمَ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَتَعَالَى الْمُتَقَوِّينَ ﴾ .

(١٤٦) سورة الاسعاص (١٠٢/٦) .

(١٤٧) سورة المعاديات (٢/١٠٠) .

(١٤٨) سورة الواقعة (٥٦/٧١ - ٧٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

- قال غير واحد من المفسرين^(١٥٠) هما شجرتان يقال لإحدهما : المرخ ، والاخرى: العفار . فمن اراد منها النار قطع منها غصنين مثل السواكين ، وهما خضراوان يقطر منها الماء ، فيسحق المرخ — وهو ذكر — على العفار — و هو أنثى — فتخرج منها النار باذن الله تعالى ، وتقول العرب: في كل شجر نار ، واستجد المرخ والعفار . وقال بعض الناس في كل شجرة نار الا العناب ، ﴿ فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾^(١٥١) فذلك زنادهم .

وقد قال أهل اللغة: الجوهري وغيره : الزند العود الذي يقدح به النار ، و هو الأعلى . والزنده السفلى فيها ثقب ، وهي الأنثى ، فاذا اجتمعا قيل زندان .

- وقال اهل الخبرة بهذا : انهم يَسْحَقُونَ الثقب الذي في الأنثى بالاعلى كما يفعل ذكر الحيوان في أنثاه ، فبذلك السحق والحك يخرج منها اجزاء ناعمة تنقدح منها النار ، فتتولد النار من مادة الذكر والانثى كما يتولد الولد من مادة الرجل والمرأة ، وسحق الانثى بالذكر وقدحها به يقتضي حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تنقدح منها النار كما ان ايلاج ذكر الحيوان في انثاه بقدح وحك فرجها بفرجه ، فتقوى حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تمتزج بالاخري ، و يتولد منها الولد ، و يقال : علقت النار في المهل الذي يقدح عليه ، الذي هو كالرحم للولد ، وهو الحراق والصوفان ، ونحو ذلك مما يكون اسرع قبولا للنار من غيره ، كما علقت المرأة من الرجل ، وقد

(١٤٩) سورة يس (٧٨/٣٦) - (٨٠) .

(١٥٠) راجع ابن الجوزي (٤٢/٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣١٨) تفسير ابن كثير (٥٨٢/٣) القرطبي (٥٩/١٥ - ٦٠) .

(١٥١) سورة يس (٨٠/٣٦) .

(١٥٢) راجع اللسان - زند .

لا تعلق النار كما قد لا تعلق المرأة ، وقد لا تنفدح نار كما لا ينزل مني ، والنار ليست من جنس الزنادين ، بل تولد النار منها كتولد حيوان من الماء والطين ، فان الحيوان نوعان متوالد كالانسان و بهيمة الانعام ، وغير ذلك مما يخلق من ابوين ، ومتولد كالذي يتولد من الفاكهة والحل ، وكالقمل الذي يتولد من وسخ جلد الانسان ، وكالفار والبراغيث وغير ذلك مما يخلق من الماء والقراب .

وقد تنازع الناس فيما يخلقه الله من الحيوان والنبات والمعدن والمطر والنار التي تورى بالزناد وغير ذلك هل تحدث اعيان هذه الاجسام فيقلب هذا الجنس الى جنس آخر . كما يقلب المني علقة ثم مضفة ، أولا تحدث الا اعراض و اما الاعيان التي هي الجواهر فهي باقية بغير صفاتها بما يحدثه فيها من الاكوان الاربعة : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون ؟ على قولين :

فالقائلون بأن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، التي لا تقبل التجزي كما يقوله كثير من أهل الكلام ، و إما من جواهر لانهاية لها كما يحكى عن النظام ^(١٥٣) .

فالقائلون بان الأجسام مركبة من الجواهر يقولون : ان الله لا يحدث شيئا قائماً بنفسه ، و إنما يحدث الأعراض التي هي الاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون وغير ذلك من الأعراض .

ثم من قال منهم بان الجواهر محدثة قال : إن الله أحدثها ابتداء ، ثم جميع ما يحدثه انما هو احداث اعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر ، وهذا قول اكثر المعتزلة والجهمية و الأشعرية و نحوهم ، و من أكابر هؤلاء من يظن ان هذا مذهب المسلمين ، و يذكر اجماع المسلمين عليه ، و هو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة ، و لاجهوار الأمة ؛ بل جمهور الأمة حق من طوائف أهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد ، و تتركب الأجسام من الجواهر ، و ابن كلاب ^(١٥٤) امام

(١٥٣) أبو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام و يعرف اتباعه بالنظامية .

من كبار المعتزلة ائقرد عنهم باشياء . توفي ما بين ٢٢٠ - ٢٣٠ هـ .

راجع لمعرفة آرائه الفرق بين الفرق (١١٢) الملل والنحل للشمري (١٣٧/١) وانظر تاريخ التراث لفواد سركين (٦٨/٤ - ٧٠) .

(١٥٤) هو ابو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب (بضم الكاف و تشديد اللام) القطان البصري .

كان متكلماً و يعد من معارضى المعتزلة و مع ذلك فليس هناك اتفاق على انه من اهل السنة توفي حوالي سنة ٢٤٠ هـ .

راجع الاعلام للزركلي (٩٠/٤) تاريخ التراث (٢٨/٤) السير (١٧٤/١١) لسان الميزان (٢٩٠/٣) .

اتباعه هو من ينكر الجوهر الفرد وقد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك^(١٥٥) في مصنفه الذي صنفه في مقالات ابن كلاب، وما بينه وبين الأشعري^(١٥٦) من الخلاف، و هكذا نفى الجوهر الفرد قول المشامية والضاررية، وكثير من الكرامية والتجارية أيضاً^(١٦٠).

- هـ وهؤلاء القائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة : المشهور عنهم ؛ بأن الجواهر متاثلة ؛ بل ويقولون أو أكثرهم : أن الأجسام متاثلة ؛ لأنها مركبة من الجواهر المتاثلة وإنما اختلفت باختلاف الاعراض ، وتلك صفات عارضة لها ليست لازمة ، فلا تنفي التاثل ، فإن حد المثلي أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه . وهم يقولون : إن الجواهر متاثلة ، فيجوز على كل واحد ما جاز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه .

(١٥٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني . كان فيلسوفاً ولغوياً ومفسراً وقصياً ، اهتم بعلم الكلام وبحث في الحديث والقرآن ومنهجه النظر الكلامية . له مؤلفات كثيرة منها كتاب «مشكل الحديث» توفي في عام ٤٠٦ هـ . انظر انباء الرواة (١١٠/٣) وفيات ابن خلكان (٣٧٢/٤) الوافي بالوفيات (٣٤٤/٢) السير (٢١٤/١٧ - ٢١٦) تاريخ التراث (٥١/٤ - ٥٤) .

(١٥٦) أبو الحسن علي بن إسحاق بن إسحاق الأشعري . امام للتكليف . كان تلميذاً للجبائي المعتزلي ، ثم تحول إلى مذهب أهل السنة ورجع إلى المعتزلة وعلو الطوائف الأخرى له تصانيف جمّة . قال الفقيه أبو بكر الصيرفي : كانت للمعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى بشا الأشعري فحجروا في أقاصع السم . توفي سنة ٣٢٤ هـ . راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٣٤٦/١١ - ٣٤٧) وفيات ابن خلكان (٢٨٤/٣ - ٢٨٦) السير (٨٥/١٥ - ٩٠) الملل والنحل للشهرستاني (١١٩/١ - ١٣٧) تاريخ التراث (٣٩ - ٤٥) .

(١٥٧) المشامية من اتباع هشام بن عمرو القوطي . قال الشهرستاني ومبالاته في القدر اشد وأكثر من مبالغة اصحابه وكان يمتنع من إطلاق اضافات افعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل . راجع التفصيل في الملل والنحل (٩١/١ - ٩٤) والفرق بين الفرق (١٤٥ - ١٥٠) .

(١٥٨) اتباع ضرار بن عمرو من كبار المعتزلة ، اختلف معهم فكفروه وطردوه . قال البغدادي : وافق اصحابنا في أن افعال المباد مخلوقة لله تعالى واكتساب المباد وفي ابطال القول بالتولد ، وافق المعتزلة في أن الاستطاعة قبل الفعل . توفي في سنة ١٩٠ هـ . راجع الفرق بين الفرق (٢٠١ - ٢٠٢) والملل والنحل (١١٤/١ - ١١٦) وانظر تاريخ التراث (٦١/٤) .

(١٥٩) اصحاب محمد بن كرام السني كان يقول بسان الله مستقر على العرش وأنه جوهري . وذهب إلى التجسيم والتشبيه . توفي سنة ٣٢٥ هـ . انظر الفرق بين الفرق (٢٠٢ - ٢١٤) للملّس والنحل (١٤٤/١) وانظر الاعلام (١٤/٧) ومجمع المؤلفين لكحالة (١٦١/١١) لسان الميزان (٢٥٢/٥) السير (٥٣٢/١١) الوافي (٣٧٥/٤) .

(١٦٠) التجارية اتباع الحسين بن محمد التجار من متكلمي المعتزلة وله مع النظام مناظرات وله تصانيف يوافق أهل السنة في بعض المسائل ويوافق المعتزلة في نفي الصفات والروية وخلق القرآن . توفي سنة ٢٢٠ هـ . راجع الملل والنحل (١١٢/١ - ١١٤) الفرق بين الفرق (١٩٥ - ١٩٨) والنظر الاعلام (٣٣٥/٢) .

وكذلك الاجسام المؤلفة من الجواهر ؛ ولهذا اذا أثبتوا حكما لجسم قالوا : هذا ثابت لجميع الأجسام ، بناء على التماثل ، وأكثر العقلاء ينكرون هذا ، وحقاقتهم قد أبطلوا الحجج التي احتجوا بها على التماثل ، كما ذكر ذلك الرازي^(١١١) والآمدي^(١١٢) وغيرهما . وقد بسط الكلام على هذا في مواضع . والأشعري في (كتاب الابانة) جعل القول بتماثل الأجسام من اقوال المعتزلة التي انكرها .

وهؤلاء يقولون : ان الله يخص أحد الجسمين المتماثلين بأعراض دون الآخر بمجرد المشيئة ، على أصل الجهمية ، أو لمعنى آخر كما تقوله القدرية^(١١٣) ، ويقولون يتمتع انقلاب الاجناس ، فلا ينقلب الجسم عرضاً ، ولا جنس من الاعراض الى جنس آخر ، فلو قالوا : إن الاجسام مخلوقة ، وإن المخلوق ينقلب من جنس الى جنس آخر ، لزم انقلاب الاجناس . فهؤلاء يقولون : ان التولد الحاصل في الرحم ، والثر الحاصل في الشجر ، والنار الحاصلة في الزناد هي جواهر كانت في المادة التي خلق ذلك منها ، وهي باقية ؛ لكن غيرت صفتها بالاجتماع والافتراق والحركة والسكون .

ولهذا لما ذكر أبو عبد الله الرازي أدلة « اثبات الصانع » ذكر أربعة طرق :
امكان الذوات وحدوثها ، وامكان الصفات وحدوثها والطرق الثلاثة الاولى ضعيفة ؛ بل باطلة ؛ فان الذوات التي ادعوا حدوثها أو إمكانها أو امكان صفاتها ذكروها بالفاظ مجملة لا يميز فيها الخالق عن المخلوق ، ولم يقيموا على ما ادعوه دليلاً صحيحاً .

(١١١) محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين الرازي ، العلامة ، ذوالفنون ، الاسام المفسر ، للتكم ، اوحده زمانه في النقول والمقول ، له تصانيف كثيرة . توفي سنة ٦٠٦ هـ .
انظر ترجمته في وفيات ابن خلكان (٢٤٨/٤ - ٢٥٢) السوافي (٢٤٨/٤ - ٢٥٩) السير (٥٠٠/٢١) الاعلام (٣١٢/٨) معجم المؤلفين (٣٧/١١) .

(١١٢) علي بن ابي علي بن محمد بن سالم التنفلي ، سيف الدين الحنبلي ثم الشافعي .
فقيه ، اصولي ، متكلم ، لم يكن في زمانه من يجار به في الاصلين و علم الكلام ، سافر الى القاهرة و درس هناك الفلسفة و مصر ، و صنف التصانيف ، فقام عليه بعض الفقهاء حسدا و رموه بفساد العقيدة و التطفيل والاخلال . توفي سنة ٦٣١ هـ .
ترجمته في وفيات ابن خلكان (٢٩٢/٢ - ٢٩٤) البداية والنهاية (١٤٠/١٢ - ١٤١) السير (٣٦٤/٢٢ - ٣٦٧) الاعلام (٣٣٢/٤) معجم المؤلفين (١٥٥/٧) .

(١١٣) القدرية اسم يطلقه اهل السنة على المعتزلة القائلين بان العبد قادر على خلق افعاله ، و يطلق المعتزلة هذا الاسم على اهل السنة بناء على انهم يقولون ان العبد مجبور لا قدرة له ، والاعتقاد كلها بيد الله .

وأما « الطريق الرابع » وهو الحدوث لما يعلم حدوثه فهو طريق صحيح ، وهو طريق القرآن ، لكن قصروا فيه غاية التقصير ؛ فانهم على أصلهم لم يشهدوا حدوث شيء من الذوات ، بل حدوث الصفات ، وطريقة القرآن تبين ان كل ماسوى الله مخلوق ، وأنه آية الله ، وقد بسط الكلام على ما في القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل اليها هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة ، وان كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع .

والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول باثبات الجوهر الفرد — كان أصلهم في المعاد مبنيًا عليه فصاروا على قولين :

منهم من يقول تعدم الجواهر ثم تعاد . ومنهم من قال : تتفرق الأجزاء ثم تجتمع فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله انسان آخر ، فان أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الانسان يتحلل دائماً فما الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل : بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ما جاءت به النصوص ، وان كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض . فادعي بعضهم أن في الانسان أجزاء أصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ، ليس فيه شيء باق ، فصار مذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الابدان وأجب ان صار طائفة من النظر الى ان الله يخلق بدنا آخر تعود الروح اليه .

والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة باعادة هذا البدن ، وهو المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب امثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول ، الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق ، والبعث والمبدأ ، والمعاد ، وكلا الطريقتين فاسد . إذ بنوه على مقدمات فاسدة ، والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء من أن الاجسام تنقلب من حال الى حال ، انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء ؛ وهذا القول — وهو القول في خلق الله

للأجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحيلها من جسم الى جسم - هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة ، والجمهور .

ولهذا يقول الفقهاء في النجاسة هل تطهر بالاستحالة أم لا ؟ كما تستحيل العذرة رماداً ، والخنزير وغيره ملحاً ، ونحو ذلك ، والمني الذي في الرحم يقلبه الله علقه ، ثم مضغه ، وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته ، وكذلك الحبة يفلقها وتنقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة وغير ذلك ، وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى . كما خلق آدم من الطين ، فقلب حقيقة الطين فجعلها عظماً ولحماً وغير ذلك من أجزاء البدن ، وكذلك المضغة يقلبها عظاماً ، وغير عظام . قال الله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ ^(١٦١) .

وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ ^(١٦٥)

فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا ، كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا ، ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا ؛ بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة الى هذا ، وبما ضمه الى هذا من مواد آخر ، وكذلك الاعادة يعيده

(١٦١) سورة مومن (٢٣ - ١٢ - ١٦)

(١٦٢) سورة م - ٣١ - ١٢

بعد أن يبلى كله الا عجب الذنب ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب . منه خلق ابن آدم ، ومنه يركب) .

وهو إذا أعاد الانسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة ماثلة لهذه ، فان هذه كائنة فاسدة ، وتلك كائنة لافاسدة ، بل باقية دائمة ، وليس لاهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال : (أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يمتخطون وانما هو رشح كرشح المسك) .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال : (يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾) .

فهم يعدون غلغا لا عتوين .

(١٦٦) رواه البخارى فى التفسير (٢٤٤/١ - ٣٩) ومسلم فى الفتن (٢٣٧/٣) ولفظه فى رواية : كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب .

واتفقا على لفظ ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عجا واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة .

والحديث أخرجه أيضا ابوداود فى السنة (١٠٨/٥) والنسائى فى الجنائز (١١١/٤) وابن ماجه فى الزهد (١٤٢٥/٢) ومالك فى الموطأ (٢٣٩) وأحد فى مسنده (٤٩٩٠٤٢٨٠٣٢٢٠٣١٥/٢) .

(١٦٧) أخرجه مسلم فى صفة اهل الجنة (٢١٨٠/٢ - ٢١٨١) عن جابر عن النبي ﷺ ولفظه : أن اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتغلبون ، ولا يبولون ، ولا يتخطون . قالوا : فما بال الطعام ؟

قال : جشاء و رشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ،

وأخرجه الدارمى (٧٣٦) وأحد فى مسنده (٣٨٤١٣٦٤٠٢٥٤٠٣٤٩٠٣٦٦/٣) .

وله شاهد من حديث ابن هريرة أخرجه البخارى فى الانبياء (١٠٢/٤) وفى بدء الخلق (٨٧/٤) ومسلم فى صفة الجنة (٢١٧٧/٣) والترمذى فى صفة الجنة (١٦٨/٤) وابن ماجه فى الزهد (١٤٤٧/٢) والرقاق (٤٣٣٢) وأحد فى مسنده (٢١٦٠٢٥٢٠٢٣٦/٢) .

(١٦٨) سورة الانبياء (١٠٤/٢١) .

واحدىث فى الصحيحين ليس بهذا اللفظ بل لفظيا : انكم محشورون الى الله .

أخرجه البخارى فى الانبياء (١١٠/٤ - ١٤٢) وفى التفسير (١٩١/٥ - ٢٤٠) وفى الرقاق (١١٥/٧) .

ومسلم فى صفة الجنة (٢١٩٤/٣) من حديث ابن عباس .

وله شاهد من حديث عائشة أخرجه البخارى (١٩٥/٧) ومسلم (٢١٩٤/٣) والنسائى (١١٥/٤) وابن ماجه (٤٣٣٧/٢) وأحد (٥٢/١ - ٩٠) .

وحديث ابن عباس أخرجه الترمذى (٦١٥/٤) والنسائى (١١٤/٤) وأحد (٢١٢/١ - ٢٢٩) وابن جرير (١٠١/١٧) بلفظ يحشر الناس .

كما أخرجه الترمذى (٤٣٢/٥) والدارمى (٧٢٢) وأحد (٢٢٥/١ - ٢٥٣) بلفظ آخر .

وقال الحسن البصري^(١٦٨) وعجاهد^(١٦٩) كما بدام ، فخلقكم في الدنيا ولم تدونوا شيئا ، كذلك تمودون يوم القيامة أحياء ، وقال قتادة : بدام من التراب ، وإلى التراب يعودون ، كما قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ قَارَةَ أُخْرَى ﴾ .^(١٧٠)

وقال : ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .^(١٧١)

وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الأخرى بأحياء الأرض بعد موتها في غير موضع . كقوله : ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا لَقَالَا سَحَابٌ لَبِئْسَ مَا كُنَّا فِيهِ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٧٢)

وقال : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾^(١٧٣) الى قوله : ﴿ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ .

وقال تعالى :^(١٧٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبَيِّنَ لَكُمْ وَ نَقِيرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يُعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخْرِجُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(١٦٨) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥٧/٨) و راجع تفسير ابن الجوزي (١٨٧/٤) .

(١٧٠) راجع المصدر للذكور (١٥٨/٨) .

(١٧١) سورة طه (٥٥/٢٠) .

(١٧٢) سورة الاعراف (٢٥/٧) .

(١٧٣) نفس السورة (٥٧/٧) .

(١٧٤) سورة ق (٧/٥٠ - ١١) .

(١٧٥) سورة الحج (٦/٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ .^(١٧٧)

وهو سبحانه مع إخباره انه يعيد الخلق ، وأنه يحيي العظام وهي رميم ، وأنه يخرج الناس من الارض تارة أخرى ، هو يخبر أن المعاد هو المبدأ . كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ .^(١٧٧)

ويخبر ان الثاني مثل الاول ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَمَازَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، أَوْ لَمْ يَرَوْآ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَلَّ لَهُمْ أَجَلًا لَّارِيبَ فِيهِ ﴾ .^(١٧٨)

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَمَازَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ، يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .^(١٧٩)

وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ .^(١٨٠)

وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْآ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ لَمْ يَغْنِيْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .^(١٨١)

(١٧٦) سورة فاطر (١/٢٥)

(١٧٧) سورة الروم (٢٧/٣٠) .

(١٧٨) سورة الاسراء (١٧/٩٨ - ٩٩) .

(١٧٩) نفس السورة (١٧/٤٩ - ٥٢) .

(١٨٠) سورة يس (٣٦/٨١) .

(١٨١) سورة الاحقاف (٤٦/٣٣)

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُؤْتِيَكُمْ فِيهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٨٢)

والمراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على اعادتهم ، كما اخبر بذلك في قوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّرْ بَخْلَفِيهِمْ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .^(١٨٣)

فان القوم ماكانوا ينازعون في ان الله يخلق في هذه الدار ناسا امثالهم ، فان هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن ، يخلق الولد من الوالدين ، وهذه هي النشأة الاولى ، وقد علموها ، وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .^(١٨٤)

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ .^(١٨٥)

ولمذا قال : ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُؤْتِيَكُمْ فِيهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .^(١٨٦)

(١٨٢) سورة الواقعة (٥٦/٥٨ - ٦٢) .

(١٨٣) سورة الاحقاف (١٦/٣٢) .

(١٨٤) سورة الواقعة (٥٦/٦٢) .

(١٨٥) سورة يس (٣٦/٧٨ - ٧٩) .

(١٨٦) سورة الحج (٢٢/٦) .

(١٨٧) سورة الواقعة (٥٦/٦١) .

قال الحسين^(١٨٨) بن الفضل البجلي : الذي عندي في هذه الآية : ﴿ وَ نُفِثْكُمْ فِيهَا لَا تَغْلَمُونَ ، وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ .^(١٨٩)

أى اخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لاتعلمون ، كيف شئت ، وذلك أنكم علمت النشأة الاولى ، كيف كانت في بطون الامهات ، وليست الاخرى كذلك .

- ومعلوم أن النشأة الاولى كان الانسان نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة مخلقة ، ثم ينفخ فيه الروح ، وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة ، وهو يفذه بدم الطمث الذي يرى الله به الجنين في ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، والنشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة ، ولا يغذون بدم ، ولا يكون أحدم نطفة رجل وامرأة ، ثم يصير علقه بل ينشئون نشأة اخرى ، وتكون المادة من التراب ، كما قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ قَارَةَ أُخْرَى ﴾ .^(١٩٠)
- وقال تعالى : ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ .^(١٩١)
- وقال : ﴿ وَاللَّهُ أُنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ .^(١٩٢)

١٥

وفي الحديث : (ان الارض تطلع مطرًا كفي الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات) .^(١٩٣)

كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ .^(١٩٤)

﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ .^(١٩٥)

﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٩٦)

(١٨٨) في الاصل الحسين والصواب الحسين بن فضل البجلي من ائمة المفسرين اللغويين وقد مر .
راجع تعليق رقم (٤٢) .

(١٨٩) سورة الواقعة (٦١/٥٦ - ٦٢) . (١٩٣) أخرجه الحاكم في المستدرک موقوفاً على ابن مسعود (٤١٧/٤ - ٥٩٨) .

(١٩٠) طه (٥٥/٢٠) . (١٩٤) سورة ق (١١/٥٠) .

(١٩١) الاعراف (٢٥/٧) . (١٩٥) فاطر (١٧/٣٥) .

(١٩٢) سورة نوح (١٧/٧١ - ١٨) . (١٩٦) الاعراف (٥٧/٧) .

فعل أن الناشئين نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر . ولهذا جعل المعاد هو المبدأ ، وجعل مثله أيضا فباعتراف اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار ما بين الناشئين من الفرق فهو مثله . وهكذا كل ما أعيد . فلفظ الاعادة يقتضي المبدأ والمعاد ، سواء في ذلك اعادة الاجسام والاعراض كاعادة الصلاة وغيرها ، فان النبي ﷺ مر برجل يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة .^(١٩٧)

ويقال للرجل : أعد كلامك ، وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ، ويعيد الدرس . فالكلام هو الكلام وإن كان صوت الشافى غير صوت الاول وحركته ، ولا يطلق القول عليه انه مثله ، بل قال تعالى : ﴿ قُلْ لَّيْسَ اجْتِمَاعُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ .^(١٩٨) وكان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا .^(١٩٩)

وان كان يسمى مثلاً مقيداً حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان ، أي مثل هذا قال ، ويقال فعل هذا عودا على بدء ، إذا فعله مرة ثانية بعد اولى ، ومنه البئر البدي ،^(٢٠٠) والبئر العادي ، فالبدي التي ابتدئت ، والعادي التي أعيدت ، وليست بنسبة الى عاد . كما قيل . ويقال استعدته^(٢٠١) الشيء فاعاده إذا سأله أن يفعله مرة ثانية ، ومنه سميت العادة ، يقال : عادته وأعتاده وتعوده أي صار عادة له : وعود كلبه الصيد فتعوده ، وهو من المعاودة ، والمعاودة الرجوع الى الأمر الأول ، ويقال الشجاع معاود ؛ لأنه لا يمل المراس . وعادوته الحمى وعادوه بالمسألة أي سأله مرة بعد مرة ، وتعاود القوم في الحرب وغيرها اذا عاد كل فريق إلى صاحبه ، والعواد بالضم ما أعيد من الطعام ، بعد ما أكل منه مرة أخرى ، وعَوَاد بمعنى عُد مثل نزال بمعنى انزل .

(١٩٧) أخرجه ابنودود (٤٣٧/١) والترمذي (٤٤٥/١) وابن ماجه (٣٢١/١) رقم (١٠٠٤) والدارمي (٢٩٥) و واحد (٢٢٨/٤) و قال الترمذي حسن . وفي الباب عن علي بن شهبان وابن عباس .

(١٩٨) سورة الاسراء (٨٨/١٧) .

(١٩٩) رواه البخاري في العلم (٣٢/١) والترمذي في الاستئذان (٣٢/٥) و واحد في للسند (٢١٢/٣ - ٢٢١) من حديث انس بن مالك .

(٢٠٠) راجع اللسان «بده» .

(٢٠١) اللسان «عود» .

- ففى جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة فى المرة الثانية هى الاولى ، وان تعدد الشخص ، ولهذا يقال : هو مثله ، ويقال : هذا هو هذا ، وكلاهما صحيح واعنى بالحقيقة الامر الذى يختص بذلك الشخص ، ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين ، فان من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده ، وانما يقال حاكاه وشابه ، بخلاف ما اذا أعاد فعلا ثانيا
- مثل ما فعل أولا فانه يقال اعاد فعله ، وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ، ولا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده ، ويقال قرئ على هذا ، واعاد على هذا ، وهذا يقرأ أى يدرس ، وهذا يعيد ، ولو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد ، وكذلك من كسر خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان ويقال لمن هدم دارا: أعدها كما كانت ، بخلاف من أنشأ أخرى مثلها ، فان هذا لا يسمى معيدا ، والمعاد يقال فيه هذا هو الاول بعينه ، ويقال هذا مثل الاول من كل وجه ، ونحو ذلك من العبارات الدالة على انه هو هو من وجه وهو مثله من وجه .

- وهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع ، كقول من قال : الاعادة لا تكون الا مع اعادة ذلك الزمان ونحو ذلك مما يمنع اعادته فى صريح العقل ، وانما يعاد بالاتيان بثله ، وان قال بعض المتكلمين انه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه .

- والاعادة التى اخبر الله بها هى الاعادة المعقولة فى هذا الخطاب ، وهى الاعادة التى فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ ، وهى التى يدل عليها لفظ الاعادة ، والمعاد هو الاول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ، ولوازم البداية فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثانى مبينا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ، ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم وكما انه سبحانه خلق الانسان ، ولم يكن شيئا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا وعلى هذا فالانسان الذى صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات اكله انسان آخر ، وهلم جرا ، والانسان الذى أكله انسان او حيوان ، وأكل ذلك الحيوان انسانا آخر ، ففى هذا كله قد عدم هذا الانسان وهذا الانسان ، وصار كل منهما ترابا ، كما كان قبل ان يخلق ، ثم يعاد

هذا ويعاد هذا من التراب ، وإنما يبقى حجب الذنب ، منه خلق ، ومنه
يركب .

وأما سائرہ فعدم ، فيعاد من المادة التي استحال اليها ، فاذا استحال في القبر
الواحد ألف ميت ، وصاروا كلهم ترابا ، فانهم يعادون ويقومون من ذلك
القبر ، وينشئهم الله تعالى بعد ان كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولا بعد ان كانوا
عدما محضا ، واذا صار ألف انسان ترابا في قبر ، أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من
غير أن يحتاج ان يخلقهم كما خلقهم في النشأة الاولى التي خلقهم منها من نطفة ،
ثم من علقه ، ثم من مضغه ، وجعل نشأتهم بما يستحيل الى أبدانهم من الطعام
والشراب ، كما يستحيل الى بدن أحدهم ما ياكله من نبات وحيوان ، وكذلك لو
أكل انسانا ، أو أكل حيوانا قد أكل انسانا : فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل
هذه الاستحالة ، بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة الى علقه الى
مضغة ، ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر
ما ياكله من الطعام والشراب ، فن ظن أن الاعادة تحتاج الى اعادة الاغذية
التي استحالت الى أبدانهم فقد غلط .

و حينئذ فاذا أكل انسان انسانا فانما صار غذاء له كسائر الأغذية وهو لا
يحتاج إلى إعادة الأغذية ، و معلوم ان الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما وشرابا ، ثم
يصير كيلوسا كالثرثرة ثم كيوسا كالحريره ، ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في
البدن كله ، و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه ، فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك
الجزء: العظم عظما ، و اللحم لحما ، و العرق عرقا ، و هذا في الرزق كاستحالتهم
في مبدأ الخلق نطفة ثم علقه ، ثم مضغة . وكما انه سبحانه لا يحتاج في الاعادة
الى ان يحيل احدهم نطفة ، ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خبزا و
فاكهة ولحما ثم يجعلها كيلوسا و كيوسا ، ثم دما ، ثم عظما ولحما وعروقا ، بل
يعيد هذا البدن على صفة أخرى ، لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة ، كما
قال : ﴿ وَنُنْشِئُكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

(٢٠٢) في الاصل «كوسا» والكيلوس صير الاطعمة للأكولة . و هي اول مراحل المعيشة ، و بعدها يستحيل الطعام
كيلوسا .

(٢٠٣) سورة الواقعة (٥٦/٦٧) .

ولا يحتاج مع ذلك الى شيء من هذه الاستحالات التي كانت في النشأة الاولى .

وهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائماً في التحلل ، فان تحلل البدن ليس بأعجب من انقلاب النطفة علقه ، والعلقة مضغة ، وحقيقة كل منها خلاف حقيقة الاخرى .

وأما البدن المتحلل فالاجزاء الثانية تشابه الأولى وتمثلها ، و إذا كان في الاعادة لا يحتاج الى انقلابه من حقيقة الى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب التحلل ؟! و معلوم ان من رأى شخصا وهو شاب ثم رآه وهو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الاستحالة ، وكذلك سائر الحيوان والنبات ، كن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الاولى مع ان التحلل والاستحالة ثابت في سائر الحيوان والنبات ، كما هو في بدن الانسان . ولا يحتاج عاقل في اعتقاده أن هذه الشجرة هي الاولى ، وان هذه الفرس هي التي كانت عنده من سنين ، و لا أن هذا الانسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل ، ولا يخطر هذا ببال احد ، ولا يقتصر العقلاء في قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التي لا تعرف ولا تميز عن غيرها ، بل إنما يشيرون إلى جملة الشجرة والفرس والانسان ، مع انه قد يكون كان صغيرا فكبير ، ولا يقال إنما كان هو ذاك باعتبار ان النفس الناطقة واحدة كما زعمه من ادعى ان البدن الثاني ليس هو ذاك الاول ، ولكن المقصود جزاء النفس بنعم أو عذاب ، ففي أي بدن كانت حصل المقصود ، فان هذا أيضاً باطل مخالف للكتاب والسنة و اجماع السلف ، مخالف للمعقول من الاعادة .

فانا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون : هذا الفرس هو ذاك ، وهذه الشجرة هي تلك التي كانت من سنين ، مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه وتقوم بذاتها ، وكذلك يقولون مثل هذا في الحيوان ، وفي الانسان ، مع انه لم يخطر بقلوبهم ان المشار اليه بهذا وذاك نفس مفارقة ؛ بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم ، فدل على ان العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذاك ، مع وجود الاستحالة ، وعلم بذلك أن ما ذكر من الاستحالة لا يناق أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن ، ولهذا يشهد البدن

المعاد بما عل في الدنيا . كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَاجَأَ وَهَاشَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَ قَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

ومعلوم ان الانسان لو قال قولا ، أو فعل فعلا ، أو رأى غيره يفعل ، أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثين سنة شهد على نفسه بما قال أو فعل ، وهو الاقرار الذي يؤخذ بموجبه ، أو شهد على غيره بما قبضه من الاموال ، وأقربه من الحقوق ، لكنت الشهادة على عين ذلك المشهود عليه مقبولة ، مع استحالة بدنه في هذه المدة الطويلة ، ولا يقول عاقل من العقلاء : إن هذه الشهادة على مثله أو على غيره . ولو قدر أن المعين حيوان أو نبات ، وشهد ان هذا الحيوان قبضه هذا من هذا ، وان هذا الشجر سلمه هذا إلى هذا : كان كلاما معقولا مع الاستحالة ، وإذا كانت الاستحالة غير مؤثرة ، فقول القائل : يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سجنه أو هزاله أو غير ذلك جهل منه فان صفة تلك النشأة الثانية ليست ماثلة لصفة هذه النشأة ، حتى يقال : ان الصفات هي المغيرة ؛ إذ ليس هناك استحالة ، ولا استفراغ ، ولا امتلاء ، ولا سمن ، ولا هزال ، ولا سماء أهل الجنة إذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة أبيهم آدم : طول أحدهم ستون ذراعا ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ^(٢٠٧) وروى أن عرضه سبعة أذرع ، وهم لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ، ولا يتمخطون .

(٢٠٤) سورة يس (٦٥/٦٦) .

(٢٠٥) سورة حم سجدة (٢٠/٤١ - ٢١) .

(٢٠٦) راجع البخاري في الانبياء (١٠٢/٤) وفي الاستثنان (١٢٥/٧) ومسلم في الجنة (٢١٨٤/٣) ورواه احمد في مسنده (٣١٥/٢) .

(٢٠٧) رواه احمد (٥٢٥/٢) وفي مسنده علي بن زيد بن جدعان وضعفه غير واحد .

(٢٠٨) قد مر آنفا .

ولست تلك النشأة من اخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها بعضاً ،
كما في هذه النشأة ، ولاطعامهم مستحيلاً ، ولاشرابهم مستحيلاً من التراب و
الماء والهواء ، كما هي أطعماتهم في هذه النشأة ، ولهذا أبقي الله طعام^(٢٠٩) الذي مر
على قرية وشرابه مائة عام لم يتغير ، ودلنا سبحانه بهذا على قدرته ، فاذا كان
في دار الكون والفساد يبقى الطعام الذي هو رطب وعنب أو نحو ذلك ، و
الشراب الذي هو ماء أو ما فيه ماء مائة عام لم يتغير ، فقدوته سبحانه وتعالى
على أن يجعل الطعام والشراب في النشأة الاخرى لا يتغير بطريق الأولى
والاخرى ، وهذه الامور لبسطها موضع آخر .

☆ ☆ ☆

(٢٠٩) راجع القصة في سورة البقرة (٢٥٩/٢) .

فصل

والمقصود هنا : أن التولد لا بد له من أصلين ، وإن ظن ظان أن نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل ناراً بسخوته من غير مادة تخرج منها تنقلب ناراً فقد غلط ، وذلك لأنه لا تخرج نار إن لم يخرج منها مادة بالحك ، و لا تخرج النار بمجرد الحك .

و ايضاً فانهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان والحراق فتزل النار عليه ، وإنما ينزل الثقيل ، فلولا أن هناك جزءاً ثقيلاً من الزناد الحديد والحجر لما نزلت النار ، ولو كان الهواء وحده انقلب ناراً لم ينزل ، لأن الهواء طبعه الصعود لا الهبوط ، لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة ناراً قد ينقلب الهواء القريب منها ناراً : أما دخانها وإما لهيباً .

والمقصود أن المتولدات خلقت من اصلين ، كما خلق آدم من التراب والماء ، وإلا فالتراب المحض الذي لم يخلط به ماء لا يخلق منه شيء ، لحيوان ولانبات . والنبات جميعه إنما يتولد من أصلين أيضاً ، والمسيح خلق من مريم ونفخة جبريل . كما قال تعالى : ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ۖ ﴾ .

وقال : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ۖ ﴾ .

(٢١١) الانبياء (٩١/٢١) .

(٢١٠) سورة التحريم (١٢/١٦) .

وقال^(٢١١) ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ ۝

وقد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها . والجيب هو الطوق الذي في العنق ، ليس هو ما يسميه بعض العامة جيبا ، وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدرهم ونحوها ، وموسى لما أمره الله أن يدخل يده في جيبه : هو ذلك الجيب المعروف في اللغة .

وذكر أبو الفرج^(٢١٢) وغيره قولين : هل كانت النفخة في جيب الدرع ؟ أو في الفرج ؟ فإن من قال بالاول ، قال : في فرج درعها ، وإن من قال هو مخرج الولد قال أنها كناية عن غير مذكور ، لأنه إما نفخ في درعها ، لا في فرجها . وهذا ليس بشيء ، بل هو عدول عن صريح القرآن . وهذا النقل إن كان ثابتا لم يناقض القرآن ، وإن لم يكن ثابتا لم يلتفت اليه ، فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع ، فراه أنه ﷺ لم يكشف بدنها ، وكذلك جبريل كان إذا أتى النبي ﷺ وعائشة متجردة لم ينظر إليها متجردة ، فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها .

والمقصود إما هو النفخ في الفرج ، كما أخبر الله به في آيتين ، وإلا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن ، مع أنه لا تأثير له في حصول الولد ، ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف .

والمقصود هنا أن المسيح خلق من أضلين : من نفخ جبريل ومن أمه مريم ، وهذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر والجنين مضفة ؛ فإن ذلك نفخ في بدن قد خلق ، وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ، ولا كانت مريم حملت ، وإما حملت به بعد النفخ بدليل قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ ۝ فَعَمَلَتْهُ فَانْتَبَنتُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۖ ۝ ﴾^(٢١٤)

فلما نفخ فيها جبريل حملت به ، ولهذا قيل في المسيح ﴿ رُوحٌ مِنْهُ ﴾^(٢١٥) ، باعتبار هذا النفخ . وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه ، وهو

انظر تفسيره (٢٨٥/٥) وانظر تفسير الطبري (١٧٢/٢٨)

(٢١٢)

مريم (١٩ - ١٧/١٩)

(٢١٢)

سورة النساء (١٧٧/٤)

(٢١٥)

سورة مريم (١٩ - ١٧/١٩)

(٢١٤)

جبريل ، هو الروح الذي خاطبها ، وقال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فقلوه ﴿ فَنَقْضُهَا فِيهَا ﴾ (٢١٦) او ﴿ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ (٢١٧) أى من هذا الروح الذي هو جبريل ، وعيسى روح من هذا الروح ، فهو روح من الله ، بهذا الاعتبار ، ومن لا ابتداء الغاية .

والمقصود هنا : أنه قد يكون الشيء من أصلين باقلاّب المادة التى بينهما إذا التقيا كان بينهما مادة فتتقلب ، وذلك لقوة حرك أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها ، وهذا مثل تولد النار بين الزنادين إذا قدح الحجر بالحديد ، او الشجر بالشجر ، كالمرخ والغفار ، فانه بقوة الحركة الحاصلة من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائها ، و يسخن الهواء الذي بينهما فيصير ناراً ، و الزندان كلما قدح أحدهما بالآخر نقصت أجزاؤها بقوة الحرك ، فهذه النار استحالت عن الهواء و تلك الأجزاء بسبب قدح أحد الزنديين بالآخر .

و كذلك النور الذي يحصل بسبب انعكاس الشعاع على ما يقابل المضيء ، كالشمس والنار ، فان لفظ النور والضوء يقال تارة على الجسم القائم بنفسه : كالنار التى فى رأس المصباح ، وهذه لا تحصل إلا بمادة تنقلب ناراً كالحطب و الدهن ، و يستحيل الهواء أيضا ناراً ، و لا يتقلب الهواء أيضا ناراً إلا بنقص المادة التى اشتعلت ، او نقص الزنديين ، و تارة يراد بلفظ النور والضوء و الشعاع : الشعاع الذي يكون على الارض والمحيطان من الشمس ، او من النار ، فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه ، لا بد له من محل يقوم به يكون قابلاً له ، فلا بد فى الشعاع من جسم مضيء ، و لا بد من شيء يقابله حتى ينعكس عليه الشعاع .

و كذلك النار الحاصلة فى ذبالة المصباح اذا وضعت فى النار ، او وضع فيها حطب ، فان النار تحيل أولاً المادة التى هي الدهن او الحطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب ناراً ، و إنما ينقلب بعد نقص المادة ، و كذلك الريح التى تحرك النار مثل ما تهب الريح فتشتمل النار فى الحطب ، و مثل ما ينفخ فى

(٢١٦) سورة الانبياء (٩١/٢١) .

(٢١٧) التحريم (١٢/٦٦) .

الكثير وغيره تبقى الريح المنفوخة تضرع النار لما في محل النار كالخشب و الفحم من الاستمداد لانقلابه نارا ، وما في حركة الريح القوية من تحريك النار الى المحل القابل له ، وقد ينقلب أيضا الهواء القريب من النار ؛ فان اللهب هو الهواء انقلب نارا ، مثل ما في ذبالة الصباح ، ولهذا إذا طفت صار دخانا ، و هو هواء مختلط بنار كالبخار ، و هو هواء مختلط بماء ، و القبار هواء مختلط بتراب .

وقد يسمى البخار دخانا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ .^(٢١٨)

قال المفسرون : بخار الماء ، كما جاءت الآثار : (ان الله خلق السموات من بخار الماء)^(٢١٩)

و هو الدخان . فان الدخان الهواء المختلط بشيء حار ، ثم قد لا يكون فيه ماء ، و هو الدخان الصرف ، وقد يكون فيه ماء ، فهو دخان ، و هو بخار كبخار القدر . وقد يسمى الدخان بخارا ، فيقال لمن استجمر بالطيب : تبخر ، و ان كان لا رطوبة هنا ، بل دخان الطيب سمي بخارا .

قال الجوهري : بخار الماء^(٢٢٠) : ما يرتفع منه كالدخان ، و البخور — بالفتح — ما يتبخّر به ؛ لكن انما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التي انقلبت نارا ، كالخشب والدهن ، فلم تتولد النار الا من مادة ، كما لم يتولد الحيوان الا من مادة .



(٢١٨) سورة حم سجدة ١١ : ١١

(٢١٩) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٤٥/٧) واخرجه الطبري عن ابن اسحاق من قوله (١٩٢/١) و روى عن ابن عباس و ابن مسعود موقوفًا بنحوه (١٩٤/١) و راجع الاسماء و الصفات لليهقي (٤٨٢) و سنده ضعيف .

(٢٢٠) راجع نفس الحر

فصل

والمقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من الاعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصلين ، ومن انفصال جزء من الاصل . واذا قيل في الشيع والري : إنه متولد ، أو في زهوق الروح ونحو ذلك من الاعراض : أنه متولد ، فلا بد في جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من أصلين ، لكن العرض يحتاج الى محل ، لا يحتاج الى مادة تنقلب عرضا ؛ بخلاف الأجسام فانها انما تخلق من مواد تنقلب أجساما ، كما تنقلب الى نوع آخر ، كاتقلاب المني علقه ، ثم مضغه ، وغير ذلك من خلق الحيوان والنبات .

وأما ما كان من أصل واحد : كخلق حواء من الضلع القصرى لآدم ، وهو وان كان مخلوقا من مادة أخذت من آدم ، فلا يسمى هذا تولدا ؛ ولهذا لا يقال : ان آدم ولد حواء ، ولا يقال انه أبو حواء ، بل خلق الله حواء من آدم ، كما خلق آدم من الطين .

وأما المسيح فيقال : انه ولدته مريم ، و يقال : المسيح بن مريم فكان المسيح جزءا من مريم ، وخلق بعد نفخ الروح في فرج مريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَاهُ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِينِ ﴾ (٣٣) وفي الأخرى : ﴿ فَتَمَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣٣)

وأما حواء فخلقها الله من مادة أخذت من آدم ، كما خلق آدم من المادة الأرضية ، وهي الماء والتراب والريح الذي أبيضه حتى صار صلصالا ، فلهذا لا يقال إن آدم ولد حواء ، ولا آدم ولده التراب ، و يقال في المسيح : ولدته مريم فانه كان من اصلين من مريم ومن النفخ الذي نفخ فيها جبريل . قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا ، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ ٢٢٣ ۝ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١

فصل

وهذا مما يبين ان ما نزه الله نفسه ونفاه عنه بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾^(٢٢٤) وبقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٢٢٥) وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہٗ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ، بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ سَاجِدَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢٢٦)

يمع جميع الانواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الأمم ، كما ان ما نفاه من اتخاذ الولد يمع أيضا جميع أنواع الاتخاذات الاصطفائية كما قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُہٗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَفْعِلْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٢٢٧)

قال السدي : قالوا : ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ، ثم ينادى مناد اخرجوا كل غثون من بني اسرائيل .

(٢٢٤) سورة الصافات (٢٧/١٥١ - ١٥٢)

(٢٢٥) سورة الانعام (٦/١٠٠ - ١٠١)

(٢٢٦) سورة المائدة (٥/١٨)

(٢٢٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢/٢١٨) والخبر في القرطبي (٦/١٢٠) وابن كثير (٢/٣٥) ونسبه لابن حاتم وابن جرير و راجع تفسير الطبري (١/١٦٤) .

وقد قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ (٢٢٨)
 وقال : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
 الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ ﴾ (٢٢٩)

وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
 نَذِيرًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٢٣٠)

وقال : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا مَبْهَاتٌ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْطُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
 مُشْفِقُونَ ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٣١)

وقال : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
 فَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾
 الى قوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ الى قوله : ﴿ وَ
 يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢٣٢)

وقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا
 مَذْحُورًا ، أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ
 لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا
 يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ، قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا
 إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٢٣٣)

(٢٢٨) سورة المومنون (٩١/٢٢) .

(٢٢٩) سورة الاسراء (١١١/١٧) .

(٢٣٠) سورة الفرقان (٢٥/١ - ٢) .

(٢٣١) سورة الانبياء (٢١/٣٦ - ٢٩) .

(٢٣٢) سورة النحل (١٦/٥١ - ٥٧) .

(٢٣٣) سورة الاسراء (١٧/٣٩ - ٤٢) .

وقال: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ، وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنْهُمْ لَكَاذِبُونَ ، أَصْطَفَى الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ، فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ، فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝ .
 وقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ مِمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْبُكُورِ وَأَصْنَافٍ مِّنْ أَنفُسٍ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَتَزَلُ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ۝ . الى قوله :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ۝ .
 وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۝ ﴾^(٢٣٧)

قال بعض المفسرين : ﴿ جزءا ﴾ اي نصيبا و بعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله نصيبا من الولد . وعن قتادة^(٢٣٨) ومقاتل : عدلا . وكلا القولين صحيح ، فانهم يجعلون له ولدا . والولد يشبه ابيه ، ولهذا قال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۝ اي البنات .

كما قال في الآية الاخرى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ۝ ﴾^(٢٤٠) .
 فقد جعلوها للرحمن مثلا ، وجعلوا له من عباده جزءا ، فان الولد جزء من الوالد ، كما تقدم ،

(٢٣٤) سورة الصافات (١٤٩/٣٧ - ١٦٣) .

(٢٣٥) سورة البقر (١٨/٥٢) .

(٢٣٦) نفس السورة (٢٧/٥٢) .

(٢٣٧) سورة الزخرف (١٥/٤٢) .

(٢٣٨) راجع الطبري (٥٦/٢٥) و انظر الدر المنثور (٣٦٩/٧) .

(٢٣٩) الرحمن (١٧/٢) .

(٢٤٠) سورة البقر (٥٨/١٦) .

- قال **عليه السلام** : ^(٢٤١) « انما فاطمة بضعة مني » .
- وقوله : ^(٢٤٢) ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ، وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِقَبْرِ عَلِيمٍ ﴾ .
- قال الكلبي : ^(٢٤٣) نزلت في الزنادقة قالوا : ان الله وابليس شريكان ، فאלله خالق النور والناس والدواب والانعام . وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب .
- واما قوله : ^(٢٤٤) ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَبَاً ﴾ فقيل هو قولهم : ^(٢٤٥) الملائكة بنات الله ، وسمي الملائكة جنسا لاجتنانهم عن الابصار . وهو قول مجاهد وقتادة .
- وقيل ^(٢٤٦) قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجنة ، ومنهم ابليس وهم بنات الله ، وقال الكلبي ^(٢٤٧) قالوا — لعنهم الله — ، بل تزوج من الجن فخرج من بينها الملائكة .

- (٢٤١) جزء من حديث أخرجه البخارى في فضائل الصحابة (٢١٩٠، ٢١٢، ٢١٠/٤) وفي النكاح (١٥٨٦) ومسلم في فضائل الصحابة (١٩٠٣/٢) عن السور من غمرة .
- وأخرجه ابوداود (٥٥٨/٢) والترمذى (٦٩٨/٥) وابن ماجه (٦٤٤/١) رقم (١٩٩٩) واحمد (٢٣٦٧/٤) وأخرجه الترمذى (٦٩٩/٥) واحمد (٥/٤) من حديث عبد الله بن الزبير .
- (٢٤٢) سورة الانعام (١٠٠/٨) .
- (٢٤٣) راجع اسباب النزول للواحدي (٢١٦) وراجع ابن الجوزى (٩٦/٣) والقرطبي (٥٢/٧) والبيهقي (١٦٦/٢) .
- (٢٤٤) سورة الصافات (١٥٨/٣٧) .
- (٢٤٥) راجع تفسير ابن الجوزى (٩٦/٣) وانظر تفسير الطبرى (١٠٨/٣٣) .
- (٢٤٦) راجع تفسير ابن الجوزى (٩٦/٧) .
- (٢٤٧) نفس المرجع (٩٦/٧) رواه الطبرى عن قتادة (١٠٨/٣٣) ونسبه ابن الجوزى لقتادة وللكلبي . وفي النسختين المطبوعتين « بل يذور تخرج منها الملائكة » وهو خطأ .

وقوله: ^(٢٤٨) ﴿ وَخَرَقُوا لَهٗ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ قال بعض
المفسرين — كالثعلبي: ^(٢٤٩) وم كفار العرب قالوا: الملائكة والاصنام
بنات الله ، واليهود قالوا: عزيز ابن الله ، والنصارى قالوا، المسيح ابن
الله .



(٢٤٨) سورة الانعام (١٠٠/٦) .

(٢٤٩) هو ابو اسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري .
كان اوحده في زمانه في علم التفسير ، ييصرا بالعربية ، طويل الباع في الوعظ ، صنف التفسير الكبير
وسماه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » فيه من الفرائب شئ كثير ، وانتقده لذلك ابن تيمية . توفي سنة
٤٢٧ هـ .
انظر التفسير والمفسرون (٢٢٧/١ - ٢٢٤) ومعجم ياقوت (٣٦/٥ - ٣٩) انباه الرواة (١١٦/١) وفيها ابن خلك
(٧٩/١) الواقي (٣٠٧/٧) طبقات الداودي (٦٦/١) السير (٤٣٥/١٧ - ٤٣٧) .
وهذا القول ذكره البغوي في تفسيره (١٦٦/٢) واخرجه الطبري عن السدي وابن زيد (٢٩٧/٧) ورام
تفسير ابن الجوزي (٩٧/٣) .

فصل

وأما الذين كانوا يقولون من العرب : ان الملائكة بنات الله ، ومانقل عنهم من انه صاهر الجن ، فولدت له الملائكة فقد نفاه الله عنه بامتناع صاحبة ، و بامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد ، وقوله : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ (٢٥٠)

وهذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء في ذلك تولد الاعيان التي تسمى الجواهر ، وتولد الاعراض والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد ، فاذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا كلهم ان لا صاحبة له لا من الملائكة ، ولا من الجن ، ولا من الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة ، فلهذا احتج بذلك عليهم ، وما حكى عن بعض كفار العرب انه صاهر الجن ، فهذا فيه نظر ، و ذلك ان كان قد قيل : فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قالته النصارى : من أن المسيح ابن الله ، وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله ، فانه قد نفاه سبحانه بهذا وهذا .

فان قيل : أما عوام النصارى فلا تنضبط أقوالهم ، واما الموجود في كلام علمائهم وكتبهم فانهم يقولون : ان أقنوم الكلمة ، و يسمونها الابن تدرع المسيح ، أى اتخذ درعا ، كما يتدرع الانسان قيصه ، فاللاهوت تدرع الناسوت ، و يقولون : باسم الاب والابن و روح القدس إله واحد .

قيل قصدهم ان الرب موجود حي علم ، فالموجود هو الاب ، والعلم هو الابن ، والحياة هو روح القدس ، هذا قول كثير منهم ، ومنهم من يقول بل موجود عالم قادر ، و يقول العلم هو الكلمة ، وهو المتدرع ، والقدرة هي روح القدس ، فهم مشتركون في ان المتدرع هو أقنوم الكلمة وهي الابن .

ثم اختلفوا في التدرع واختلفوا هل هما جوهران أو جوهران ؟ وهل لها مشيئة أو مشيئتان ؟ ولهم في الحلول والاتحاد ، كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه . فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فان قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل ، ولا نبى مرسل ، ولا هو موافق لعقول العقلاء ، فقالت اليعقوبية : صار جوهرًا واحدًا ، وطبيعة واحدة ، وأقنوماً واحداً ، كالماء في اللبن .

وقالت النسطورية : بل هما جوهران ، وطبيعتان ، ومشيتان ؛ لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف .

وقالت الملكية : بل هما جوهر واحد ، له مشيئتان ، وطبيعتان ، أو فعلان ، كالنار في الحديد .

وقد ذهب بعض الناس الى أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾^(٢٥٤) : هم اليعقوبية .
وفي قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(٢٥٥) : هم الملكية .

(٢٥١) فرقة من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة - راجع فيهم الفصل لابن حزم (٤٧/١) والمثل والنحل للشهرستاني (٦٧/٣) .

(٢٥٢) فرقة اخرى من النصارى ، نسبة الى نسطور الذي قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة .

راجع الفصل (٤٧/١) للمثل والنحل (٦٤/٢) .

(٢٥٣) فرقة ثالثة و يقال لهم الملكائية ايضاً قالوا : ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح و تدرعت بناسوته . راجع الفصل (٤٨/١) والمثل والنحل (٦٢/٣) .

(٢٥٤) سورة المائدة (٧٢/٥) .

(٢٥٥) سورة التوبة (٣٠/٩) .

وقوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٢٥٦) بم
النسبورية .

وليس بشيء ، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكاها الله عزوجل عن
النصارى ، فكلهم يقولون : إنه الله و يقولون : إنه ابن الله ، و كذلك في
أمانتهم التي هم متفقون عليها ، يقولون اله حق من اله حق ، و أما قوله :
﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ فانه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَمْسِكُوا إِلْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ مَبْحَأُكُمَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾ ^(٢٥٧)

قال ابو الفرج ابن الجوزى في قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . قال المفسرون : معنى الآية أن النصارى قالوا بأن الالهية
مشتركة بين الله وعيسى ومريم ، كل واحد منهم اله .
و ذكر عن الزجاج ^(٢٥٨) : الغلو : مجاوزة القدر في الظلم ، و غلو النصارى في
عيسى قول بعضهم : هو الله ، و قول بعضهم : هو ابن الله ، و قول بعضهم : هو ثالث
ثلاثة . فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة
هى الابن ، و الفرق الثلاثة متفقة على ذلك ، و فساد قولهم معلوم بصريح
العقل من وجوه :

أحدها : انه ليس في شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابناً ، لا كلامه
ولا غيره فتسميتهم صفة الله ابناً تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، و ما
تقلوه عن المسيح من قوله : عبدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ، لم
يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ، و لا بروح القدس حياته ، فانه لا يوجد
في كلام الأنبياء ارادة هذا المعنى ، كما قد بسط هذا في الرد على النصارى .

(٢٥٦) سورة المائدة (٧٣/٥) .

(٢٥٧) نفس السورة (١١٦/٥) .

(٢٥٨) راجع تفسيره (٤٠٢/٢) .

(٢٥٩) نفس المرجع (٢٦٠/٢) و قال ابو حبيدة في معنى الغلو : كل شيء زاد حق مجاوز الحد من نبات او طعم او
شباب . مجاز القرآن (١٤٢/١) و انظر الطبري (٣٤/١ - ٣٥) واللسان مقلا .

الوجه الثاني : أن هذه الكلمة التي هي الابن أهي صفة الله قائمة به ، أم هي جوهر قائم بنفسه ؟ فإن كانت صفة بطل مذهبهم من وجوه :

أحدها : أن الصفة لا تكون لها يخلق و يرزق و يحيى و يميت ، والمسيح عندهم اله يخلق و يرزق ، و يحيى و يميت ، فإذا كان الذي تدرعه ليس باله فهو أولى أن لا يكون إلها .

الثاني : أن الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه ، وإن قالوا : نزل عليه كلام الله أو قالوا : انه الكلمة أو غير ذلك ، فهذا قدر مشترك بينه وبين سائر الانبياء .

الثالث : أن الصفة لا تتحد ، و تتدرع شيئا الا مع الموصوف ، فيكون الأب نفسه هو المسيح ، و النصارى متفقون على أنه ليس هو الأب ، فإن قولهم متناقض : ينقض بعضه بعضا ، يعملونه إلها يخلق و يرزق ، و لا يعملونه الأب الذي هو الاله ، و يقولون : إله واحد ، و قد شبه بعض متكلميهم - كيهي^(٣٠) بن عدى - بالرجل الموصوف بأنه طبيب و حاسب و كاتب ، وله بكل صفة حكم ، فيقال : هذا حق ، لكن قولهم ليس نظير هذا ، فإذا قلتم أن الرب موجود حي عالم ، وله بكل صفة حكم ، فمعلوم أن التحد أن كان هو الذات المتصفة فالصفات كلها تابعة لها فانه إذا تدرع زيد الطبيب الحاسب الكاتب درعا كانت الصفات كلها قائمة به ، وإن كان التدرع صفة دون صفة عاد المحذور . وإن قالوا : التدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين ، وهذا ممتنع ؛ فإن الصفات القائمة بموصوف واحد و هي لازمة له لا تفترق ، و صفات المخلوقين قد يمكن عدم بعضها مع بقاء الباقي ، بخلاف صفات الرب تبارك و تعالى .

الرابع : أن المسيح نفسه ليس هو كلمات الله ، ولا شيئا من صفاته ، بل هو مخلوق بكلمة الله ، و سمي كلمة لأنه خلق بكُنْ من غير الحبل المتعاد ، كما

(٣٠) ابو زكريا يحيى بن عدى بن حديد بن زكريا . فيلسوف حكم ، انتهت اليه الرئاسة في علم المنطق في عصره . كان اوجدهم و مذهبهم من مذاهب النصارى اليعقوبية . ترجم عن السريانية كلها الى العربية . توفي سنة ٣١٤ هـ .

انظر الفهرست لابن النديم (٣٢٢) والاعلام (١٥٧٨) و مسجم للؤلئين (٢١١/١٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢١١)

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢١٢)

- ولو قدر أنه نفسه كلام الله كالنوراة والانجيل وسائر كلام الله لم يكن كلام الله ، ولا شيء من صفاته خالفا ولا ربا ولا إلها . فالنصارى إذا قالوا : ان المسيح هو الخالق ، كانوا ضالين من جهة جعل الصفة خالقة ، ومن جهة جعله هو نفس الصفة ، وإنما هو مخلوق بالكلمة ، ثم قولهم بالتثليث وان الصفات ثلاث باطل ، وقولهم أيضا : بالحللول والاتحاد باطل . فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها .

فلو قالوا : ان الرب له صفات قائمة به ، ولم يذكروا اتحادا ولا حلولا ، كان هذا قول جماهير المسلمين المثبتين للصفات . وان قالوا : إن الصفات اعيان قائمة بنفسها ، فهذا مكابرة ، فهم يجمعون بين المتناقضين .

- وأيا فاجعلهم عدد الصفات ثلاثة باطل ، فان صفات الرب أكثر من ذلك فهو سبحانه موجود حي عليم قدير . والأقانيم عندهم التي جعلوها الصفات ليست إلا ثلاثة ؛ ولهذا تارة يفسرونها بالوجود والحياة والعلم ، وتارة يفسرونها بالوجود والقدرة والعلم ، واضطرابهم كثير . فان قولهم في نفسه باطل ، ولا يضبطه عقل عاقل ، ولهذا يقال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً .

وايضا فكلمات الله كثيرة لا نهاية لها . كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (٢١٣)

(٢١١) سورة آل عمران (٩٥/٣) .

(٢١٢) سورة مريم (٢٤/١٩ - ٢٥) .

(٢١٣) سورة الكهف (١٠٧/١٨) .

وهذا قول جماهير الناس من المسلمين ، وغير المسلمين ، وهذا مذهب سلف
الامة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلماً بمشيئته . وقول من قال : انه لم
يزل قادراً على الكلام لكن تكلم بمشيئته كلاماً قائماً بذاته حادثاً ، وقول من
قال كلامه مخلوق في غيره .

٥ وأما من قال : كلامه شيء واحد قديم العين ، فهؤلاء منهم من يقول : انه
امور لا نهاية لها مع ذلك . ومنهم من يقول : بل هو معنى واحد ، ولكن
العبارات عنه متعددة ، وهؤلاء يمتنع عندهم أن يكون ذلك المعنى قائماً بغير
الله ، وإنما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ، و يمتنع أن يكون المسيح
شيئاً من تلك العبارات ، فإذا امتنع أن يكون المسيح غير كلام الله على قول
١٠ هؤلاء فعلى قول الجمهور أشد امتناعاً ؛ لان كلمات الله كثيرة ، والمسيح ليس هو
جميعها ، بل ولا مخلوقاً بجميعها ، وإنما خلق بكلمة منها ، وليس هو عين تلك
الكلمة : فان الكلمة صفة من الصفات ، والمسيح عين قائم بنفسه .

ثم يقال لهم : تسميتكم العلم والكلمة ولداً وابناً تسمية باطلة باتفاق العلماء و
العقلاء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الانبياء ، قالوا لأن الذات يتولد عنها
١٥ العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها ، فيتولد من ذاته العلم
والحكمة والكلام ، فلماذا سميت الكلمة ابناً .

فيل هذا باطل من وجوه :

أحدها : ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعللنا ونظرنا وفكرنا و
استدلالنا ، وأما كلمة الرب وعلمه فهو قديم لازم لذاته ، فيمتنع أن يوصف
٢٠ بالتولد ، الا أن يدعي المدعى ان كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه ، وهي
ابن له ، ومعلوم أن هذا من ابطال الأمور في العقول واللغات ، فان حياة
الانسان ونطقه وغير ذلك من صفاته اللازمة له لا يقال انها متولدة عنه ، و
انها ابن له ، وايضا فيلزم ان تكون حياة الرب ايضاً ابنه ومتولدة ، وكذلك
قدرته ، وإلا فافرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من
٢٥ الصفات :

وثانيها : ان هذا ان كان من باب تولد الجواهر والاعيان القائمة بنفسها

فلا بد له من اصلين ، ولا بد ان يخرج من الاصل جزء ، وأما علمنا وقولنا فليس عينا قائما بنفسه ، وان كان صفة قائمة بوصف وعرضا قائما في محل كعلمنا وكلامنا فذاك ايضا لا يتولدالا عن اصلين ، ولا بد له من محل يتولد فيه ، والواحد منا لا يحدث له العلم والكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك ، و تكون اصلاً للفروع و يحصل العلم والكلام في محل لم يكن حاصلًا فيه قبل ذلك .

فان قلتم : ان علم الرب كذلك لزم ان يصير عالما بالاشياء بعد ان لم يكن عالما بها ، وان تصير ذاته متكلمة بعد ان لم يكن متكلمًا ، وهذا مع انه كفر عند جماهير الامم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل ، فان الذات التي لا تكون عالمة يمتنع ان تجعل نفسها عالمة بلا احد يعلمها ، والله تعالى يمتنع عليه ان يكون متعلما من خلقه ، وكذلك الذات التي تكون عاجزة عن الكلام ، يمتنع ان تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة ، والواحد منها لا يولد جميع علومه ، بل ثمَّ علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها ، فاذا نظر فيها حصلت له علوم اخرى . فلا يقول احد من بنى آدم : ان الانسان يولد علومه كلها ، ولا يقول احد : انه يجعل نفسه متكلمة بعد ان لم تكن متكلمة ، بل الذي يقدره على النطق هو الذي انطق كل شيء .

فان قالوا : ان الرب يولد بعض علمه ، وبعض كلامه دون بعض بطل تسمية العلم - الذي هو الكلمة مطلقا - الابن ، وصار لفظ الابن انما يسمى به بعض علمه ، او بعض كلامه ، وهم يدعون ان المسيح هو الكلمة ، وهو اقنوم العلم مطلقا ، وذلك ليس متولدا عنه كله ، ولا يسمى كله ابنا باتفاق العقلاء .

وثالثها : ان يقال : تسمية علم العالم وكلامه ولدا له لا يعرف في شيء من اللغات المشهورة ، وهو باطل بالعقل ، فان علمه وكلامه كقدرته وعلمه ، فان جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات عنه له ، و تسميتها ابناءه ، ومن قال من اهل الكلام القدريّة : ان العلم الحاصل بالنظر متولد عنه ، فهو كقوله ان الشيع والري متولد عن الاكل والشرب ، لا يقول ان العلم ابنه و ولده ، كما لا يقول ان الشيع والري ابنه ولا ولده ، لان هذا من

باب تولد الاعراض والملفات القائمة بالانسان ، وتلك لا يقال انها اولاده و
ابناؤه . ومن استعار فقال بَنِيَّات فكره ، فهو كما يقال بَنِيَّات الطريق ، و
يقال ابن السبيل ، و يقال لطير الماء: ابن ماء ، وهذه تسمية مقيدة ، قد عرفت
انها ليس المراد بها ما هو المعقول من الاب والابن والوالد والولد ، وايضا
فكلام الانبياء ليس في شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابناً ، فن حمل شيئاً
من كلام الانبياء على ذلك فقد كذب عليهم ، وهذا مما يقربه علماء النصارى ،
وما وجد عندهم من لفظ الابن في حق المسيح واسرائيل وغيرها ، فهو اسم
للمخلوق لا لشيء من صفات الخالق ، والمراد به انه مكرم معظم .

ورابعها : ان يقال فاذا قدر ان الامر كذلك فالذى حصل للمسيح ان كان
هو ما علمه الله إياه من علمه وكلامه فهذا موجود لسائر النبيين ، فلا معنى
لتخصيصه بكونه ابن الله ، وان كان هو ان العلم والكلام اله اتحد به فيكون
العلم والكلام جوهرًا قائمًا بنفسه ، فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب ،
وان كان العلم والكلام جوهرًا آخر ، فيكون الهان قائمان بأنفسهما ، فتبين فساد
ما قالوه بكل وجه .

وخامسها : أن يقال : من المعلوم عند الخاصة والعامة ان المعنى الذى خص
به المسيح انما هو ان خلق من غير اب ، فلما لم يكن له أب من البشر جعل
النصارى الرب أباه ، وبهذا ناظرَ نصارى نجران النبي ﷺ وقالوا : ان لم يكن
هو ابن الله . فقل لنا من ابوه ؟ فلم ان النصارى انما ادعوا فيه البُنُوَّة الحقيقية ،
وان ما ذكر من كلام علمائهم هو تاويل منهم للمذهب ، ليزيلوا به الشناعة
التي لا يبلغها عاقل ، والا فليس في جملة ابن الله وجه يختص به معقول ، فلم
ان النصارى جعلوه ابن الله ، وان الله أحبلَ مريم ، والله هو ابوه ، وذلك لا
يكون الا بانزال جزء منه فيها ، وهو سبحانه الصمد ، و يلزمهم ان تكون مريم
ساحبة و زوجة له ، ولهذا يتألمونها كما اخبر الله عنهم . وأى معنى ذكروه في
بُنُوَّة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى وبين غيره ، ولا صار فيه
معنى البنوة ، بل قالوا : كما قال بعض مشركى العرب انه صاهر الجن فولدت له
الملائكة ، و اذا قالوا : اتخذه ابنا على سبيل الاصطفاء ، فهذا هو المعنى الفعلى ،
وسياق ان شاء الله تعالى ابطاله .

(١٦٤) انظر القصة في تفسير ابن جرير الطبري (١١٢/٢ - ١١٢) و اسباب النزول للواحدي (١١٩/١) .

وقوله تعالى^(٣٦٥) ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ليس فيه ان بعض الله صار في عيسى ، بل من لابتداء الغاية كما قال : ﴿ وَتَخَرَّ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾^(٣٦٦)
وقال ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٣٦٧)
وما اضيف الى الله او قيل هو منه فعلى وجهين ،

ان كان عينا قائمة بنفسها فهو مملوك له ، ومن لابتداء الغاية كما قال تعالى :
﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾^(٣٦٨)
وقال في المسيح : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾^(٣٦٩)

وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له ، كما يقال كلام الله وعلم الله ، وكما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٣٧٠)
وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٣٧١)

والفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا ، والمقدور قدرة ، والمرحوم به رحمة ، والخلق بالكلمة كلمة . فاذا قيل في المسيح : انه كلمة الله ، فالمراد به انه خلق بكلمة قوله كن ، ولم يخلق على الوجه المعتاد من البشر ، والا فميسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للتكلم يقوم به ، وكذلك اذا قيل عن المخلوق : انه امر الله . فالمراد ان الله كونه بامره ، كقوله :
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(٣٧٢)

(٣٦٥) سورة النساء (١٧١/٤) .

(٣٦٦) سورة الجاثية (١٣/٤٥) .

(٣٦٧) سورة النحل (٥٣/١٦) .

(٣٦٨) سورة مريم (١٧/١٩) .

(٣٦٩) النساء (١٧١/٤) .

(٣٧٠) النحل (١٠٢/١٦) .

(٣٧١) الانعام (١١٤/٦) .

(٣٧٢) الفل (١/١٦) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّنْ سَاجِدٍ ۝ (٧٣) ١٠

فالرب تعالى أحد صمد ، لا يجوز ان يتبعض و يتجزء ، فيصير بعضه في
غيره ، سواء سمي ذلك روحا أو غيره ، فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا
له ، وتبين انه عبد من عباد الله .

وقد قيل : منشأ ضلال القوم انه كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب
بالاب ، و بالابن عن العبد المربي الذي يربه الله و يربيه ، فقال المسيح :
عبدوا الناس باسم الأب و الابن ، و روح القدس ، فامرهم أن يؤمنوا بالله و
يؤمنوا بعبيده و رسوله المسيح ، و يؤمنوا بروح القدس جبريل ، فكانت هذه
الاسماء لله ، و لرسوله الملكى ، و رسوله البشرى ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ
يُصَلِّىٰ مِنَ اللَّيْلِ رُكْعًا وَرُكْعًا ۚ وَهُوَ غَافِلٌ عَنِ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
بِغَيْبِ الْقُلُوبِ بِشَهِيدٍ ۝ (٧٤) ١٠

و قد اخبر تعالى : في غير آية انه أيد المسيح بروح القدس ، و هو جبريل
عند جمهور المفسرين ، كقوله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ
قَمِيصًا مِّنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ ۝ (٧٥) ١٠

فمئذ جمهور المفسرين ان روح القدس هو جبريل ؛ بل هذا قول ابن عباس^(٧٦)
و قتادة والضحاك والسدى وغيرهم ، و دليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَ إِذَا
بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ - قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ،
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدًى وَ بَشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ۝ (٧٦) ٢٠

(٧٣) هود (٨٢/١) .

(٧٤) الحج (٧٥/٢٢) .

(٧٥) البقرة (٨٧/٢) .

(٧٦) راجع تفسير ابن الجوزى (١١٢/١) وأخرج الطبرى اقوال قتادة والسدى والضحاك . و روى عن شهر بن
حوشب مرفوعا بسند ضعيف (٤٠٤/١) قال ابن كثير في تفسيره و الدليل على ان روح القدس هو جبريل ما
رواه البخارى تعليقا قال لسان «اللهم أئد حسان بروح القدس كا نافع عن نبيك . و أخرجه ابو داود
والترمذى ، و فى الصحيحين ان حسان قال لاني هريرة انشدك الله اسمعت رسول الله ﷺ يقول «أجب عنى
اللهم أئد بروح القدس» ، فقال اللهم نعم و فى بعض الروايات ان رسول الله ﷺ قال لسان . «اهجهم و
جبريل ملكه انتهى ملخصا من تفسير ابن كثير (١١٢/١) .

و روى الضحاك عن ابن عباس^(٢٧٧) انه الاسم الذي كان يحيى به الموقى .
وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم^(٢٧٨) انه الانجيل .

وقال تعالى : ﴿أَوَّلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ^(٢٧٩)

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ^(٢٨٠)

وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٢٨١)

فما ينزله الله في قلوب أنبيائه مما تحيا به قلوبهم من الايمان الخالص يسميه روحا ، وهو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمرسلين منهم ؟ !
والمسيح عليه السلام من اولى العزم ، فهو أحق بهذا من جمهور الرسل والانبياء .
وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ^(٢٨٢)
وقد ذكر الزجّاج في تأييده بروح القدس ثلاثة اوجه : ^(٢٨٣)

أحدها : انه أيده به لاطهار أمره ودينه .

الثاني : لدفع بني اسرائيل عنه اذ أرادوا قتله .

الثالث : انه أيده به في جميع أحواله .

(٢٧٧) تفسير ابن الجوزي (١١٢/١) .
و أخرجه الطبري (٤٠١/١) وذكره ابن كثير برواية ابن أبي حاتم (٤٠٥/١) و به ضربه ابو عبيدة في مجاز القرآن (٣٨٧/١) .

(٢٧٨) ابن الجوزي (١١٢/١) و أخرجه الطبري (٤٠١/١) وذكره ابن كثير بروايته (٤٠٥/١) .

(٢٧٩) سورة المجادلة (٢٢/٥٨) .

(٢٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٢٨١) سورة النحل (٢/١٦) .

(٢٨٢) سورة البقرة (٢٥٢/٢) .

(٢٨٣) راجع تفسير ابن الجوزي (١١٢/١ - ١١٣) .

و مما يبين ذلك ان لفظ الابن في لغتهم ليس مختصا بالمسيح ، بل عندهم ان الله تعالى قال في التوراة لاسرائيل : أنت ابني بكرى ، والمسيح كان يقول أبني و أبوكم فيجمله أبا للجميع ، و يسمى غيره ابنا له ، فعلم انه لا اختصاص للمسيح بذلك ، ولكن النصارى يقولون : هو ابنه بالطبع ، و غيره ابنه بالوضع ، فيفترون فرقا لا دليل عليه ، ثم قولهم هو ابنه بالطبع يلزم عليه من المحالات غلطا و سمعا ما يبين بطلانه .

☆ ☆ ☆

فصل

و اما ما يقوله الفلاسفة القائلون بان العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته ،
وانه صدر عنه عقل ، ثم عقل ، ثم عقل ، الى تمام عشرة عقول ، وتسعة
انفس . وقد يعملون العقل بمنزلة الذكر ، والنفس بمنزلة الانثى فهؤلاء قولهم
افسد من قول مشركى العرب و اهل الكتاب عقلا و شرعا ، ودلالة القران على
فساده ابلغ ، وذلك من وجوه .

احدها : أن هؤلاء يقولون : بقدم الافلاك ، و قدم هذه الروحانيات التي
يثبتونها ، و يسمونها المجدرات والمفارقات ، و الجواهر العقلية ، وأن ذلك لم
يزل قديما ازليا ، و ما كان قديما ازليا امتنع ان يكون مفعولا بوجه من
الوجوه ، و لا يكون مفعولا الا ما كان حادثا ، و هذه قضية بدئية عند جماهير
العقلاء ، و عليها الاولون و الآخرون من الفلاسفة ، و سائر الامم ، ولهذا كان
جماهير الامم يقولون كل ممكن ان يوجد ، و ان لا يوجد فلا يكون إلا حادثا ، و
انما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين : كابن سينا ، و من
وافقه : زعموا ان الفلك قديم معلول لعله قديمة . و اما الفلاسفة القدماء فن كان
منهم يقول بحديث الفلك ، و هم جمهورهم ، و من كان قبل ارسطو ، فهؤلاء
موافقون لاهل الملل ، و من قال بقدم الفلك كارسطو و شيعته ، فانما يثبتون له
علة غائية يتشبه الفلك بها ، لا يثبتون له علة فاعلة ، و ما يثبتونه من العقول
و النفوس فهو من جنس الفلك ، كل ذلك قديم واجب بنفسه ، و ان كان له
علة غائية ، و هؤلاء أكثر من هؤلاء المتأخرين ، لكن الغرض ان يعرفوا ان
قول هؤلاء ليس قول اولئك .

الثاني : أن هؤلاء يقولون : إن الرب واحد ، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، ويعنون بكونه واحدا أنه ليس له صفة ثبوتية أصلا ، ولا يعقل فيه معان متعددة ؛ لأن ذلك عندهم تركيب ، ولهذا يقولون : لا يكون فاعلا وقابلا لأن جهة الفعل غير جهة القبول ، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ، ومع هذا يقولون : أنه عاقل ومعقول وعقل ، وعاشق وممشوق وعشق ، ولذيذ وملذذ ولذة ، الى غير ذلك من المعاني المتعددة ، ويقولون : ان كل واحدة من هذه الصفات هي الصفة الاخرى ، والصفة هي الموصوف ، والعلم هو القدرة ، وهو الارادة والعلم هو العالم وهو القادر .

ومن المتأخرين منهم من قال : العلم هو المعلوم ، فاذا تصور العاقل أقوالهم ١٠ حق التصور تبين له ان هذا الواحد الذي اثبتوه لا يتصور وجوده إلا في الأذهان ، لافي الأعيان ، وقد بسط الكلام عليه ، و بين فساد ما يقولونه في التوحيد والصفات ، و بين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة في مواضع غير هذا . واذا كان كذلك فالاصل الذي بنوا عليه قولهم : « ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد » اصل فاسد .

الثالث : أن يقال قولهم بصدور الأشياء مع ما فيها من الكثرة والحدوث عن ١٥ واحد بسيط في غاية الفساد .

الرابع : انه لا يعلم في العالم واحد بسيط صدر عنه شيء لا واحد ولا اثنان ، فهذه الدعوى الكلية لا يعلم ثبوتها في شيء اصلا .

الخامس : أنهم يقولون صدر عنه واحد ، وعن ذلك الواحد عقل ونفس ٢٠ وفلك ، فيقال : ان كان الصادر عنه واحدا من كل وجه ، فلا يصدر عن هذا الواحد الا واحد أيضا ، فيلزم ان يكون كل ما في العالم إنما هو واحد عن واحد وهو مكبرة ، وان كان في الصادر الاول كثرة ما بوجه من الوجوه فقد صدر عن الاول ما فيه كثرة ليس واحدا من كل وجه ، فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد .

ولهذا اضطرب متأخروهم ^(٢٨٤) فليس للبركانته صاحب « المعتبر » أبطل هذا ٢٥

(٢٨٤) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي البغدادى ، المعروف بأوحد الزمان .

القول ورده غاية الرد ، وابن رشد الحفيد^(٢٨٥) زعم أن الفلك بما فيه صادر عن الاول . والطوسي^(٢٨٦) وزير الملاحدة يقرب من هذا ؛ فجعل الأول شرطاً في الثاني ، والثاني شرطاً في الثالث ، و هم مشتركون في الضلال وهو اثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تنزل ولا تزال معه ، لم تكن مسبقة بعدم ، وجعل الفلك ايضاً ازلياً ، وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية ، فكيف اذا ضم اليه غير ذلك من اقاويلهم المخالفة للعقل والنقل ؟ !

- الوجه السادس : أن المصادر المعلومة في العالم انما تصدر عن اثنين ، واما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء ، كما تقدم التنبيه عليه في المتولدات من الاعيان والأعراض . وكل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار ، والبرودة من البارد ، والشماع عن الشمس ، وغير ذلك : فانما هو صدور اعراض ، ومع هذا فلا بد لها من اصلين . وأما صدور الاعيان عن غيرها فهذا لا يعلم إلا بالولادة المعروفة ، وتلك لا تكون إلا بانفصال جزء من الاصل ، وهذا الصدور والتولد والمعلولية التي يدعونها في العقول والنفوس والافلاك يقولون انها جواهر قائمة بانفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط ، فهذا من ابطال قول قيل في الصدور والتولد ، لأن فيه صدور جواهر عن جوهر واحد ، وهذا لا يعقل ، وفيه صدوره عنه من غير جزء منفصل من الاصل ، وهذا لا يعقل ، و هم غاية ما عندهم ان يشبهوا هذا بحدوث بعض الأعراض كالشماع عن الشمس ، وحركة الحاتم عن حركة اليد ، وهذا تمثيل باطل ، لأن تلك ليست علّة فاعلة ، وانما هي شرط فقط ، والصادر هناك لم يكن عن اصل واحد ، بل عن اصلين ، والصادر عرض لا جوهر قائم بنفسه .

كان يهوديا فاسلم وكان في غمة للمستجد بالله ، وخطى عنده ، له مشاركة في المنطق والفلسفة .
توفي سنة ٥٥٠ هـ .
انظر الاعلام (٧٨/٨) ومجم المؤلفين (١٤٣/١٣) السير (٤١٧/٢٠) .

(٢٨٥) محمد بن احمد بن محمد بن احمد ، القزويني ، ابو الوليد المعروف بابن رشد الحفيد .
عالم فوائض ، له مشاركة في الفقه ، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ، والعلوم الرياضية واللاهية .
صنف نحو خمسين كتابا . توفي سنة ٥٤٥ هـ .
راجع الاعلام (٣١٨/٥) كعالة : محمد المؤلفين (٣١٢/٨) الوافي (١١٤/٣) السير (٢٠٧/٢١ - ٣١٠) .

(٢٨٦) محمد بن احمد بن الحسن ، نصير الدين .
عالم فيلسوف رياضي ، شارك في انواع من العلوم ، كان هولاءو يكرمه ويحبه و يطعمه فيها بشير به .
توفي سنة ٦٧٣ هـ .
راجع الاعلام (٣٠/٧) محمد المؤلفين (٢٠٧/١١) الوافي (١٧٧/١ - ١٨٣) قوات الوفيات (٢٤٧/٣ - ٢٥٢) .

فتبين ان ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من ابعد الامور
عن التولد والصدور ، و هو ابعد من قول النصارى ومشرى العرب ، و هم
جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته ، وقد ذكرنا ان هذا مما يمتنع أن
يقال فيه انه متولد عنه ، و حينئذ فهم في دعواهم إلهية العقول والنفوس
والكواكب اكفر من هؤلاء وهؤلاء .
و من جعل من المنتسبين الى الملل منهم هؤلاء هم الكنية ، فقله في جعل
الملائكة متولدين عن الله شر من قول العرب و عوام النصارى ، فان اولئك
اثبتوا ولادة حسية ، و كونه صمدا يطلها ؛ لكن ما اثبتوه معقول ، و هؤلاء
ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه اطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة
عن الذات ، فكان نفى ما ادعوه اولى من نفى ما ادعاه اولئك لان الحال الذى
يعلم امتناعه فى الخارج لا يمكن تصويره موجودا فى الخارج ، فانه يمتنع وجوده فى
الخارج ، بل هو يفرض فى الذهن وجوده فى الخارج ، و ذلك انما يمكن اذا كان
له نظير من بعض الوجوه فيقدر له فى الوجود الخارجى ما يشبهه ، كما اذا قدر
مع الله الها آخر ، و قدر ان له ولدا فانه يشبه من له ولد من العباد ، و من له
شريك من العباد ، ثم يبين امتناع ذلك عليه ، فكلمة كان الحال أبعد عن مشابهة
الموجود كان أعظم استحالة .

والولادة التى ادعتها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة ، ابعد عن مشابهة الولادة
المعلومة من الولادة التى ادعاها بعض مشركى العرب و عوام النصارى واليهود .
فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية ، اذ الولادة
الحسية تعقل فى الأعيان القائمة بنفسها ، و أما الولادة العقلية فلا تعقل فى
الأعيان أصلا ، و ايضا فاولئك أثبتوا ولادة من اصلين ، و هذا هو الولادة
المعقولة ، و هؤلاء أثبتوا ولادة من اصل واحد ، و أولئك أثبتوا ولادة بانفصال
جزء ، و هذا معقول . و هؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك ، و هو لا يعقل ، و
اولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الأعيان للأعيان ، و هؤلاء أثبتوا ولادة
قاسوها على تولد الأعراض عن الأعيان ، فعلم أن قول أولئك اقرب الى المعقول
و هو باطل كما بين الله فساد و انكره ، فقول هؤلاء أولى بالبطلان ، و هذا كما
ان الله اذا كفر من اثبت مخلوقا يتخذ شفيعا معبودا من دون الله ، فن اثبت
قدما دون الله يعبد ، و يتخذ شفيعا كان أولى بالكفر . و من انكر المعاد مع

قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله ، فمن انكره مع قوله بقدم هذا العالم فهو اعظم كفرا عند الله تعالى .

وهذا كما ان النبي ﷺ لما نهى امته عن مشابهة فارس المجوس والروم النصرى فنهيه عن مشابهة اليونان المشركين والهند المشركين اعظم واعظم ، واذا كان ما دخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى و فارس والروم مذموما عند الله و رسوله فما دخل من مشابهة اليونان والهند والترك المشركين وغيرهم من الامم الذين هم ابعد عن الاسلام من اهل الكتاب ومن فارس والروم اولى ان يكون مذموما عند الله تعالى ، وان يكون ذمه اعظم من ذاك .

فهؤلاء الامم الذين هم ابعد عن الاسلام الذين ابتلى بهم أواخر المسلمين ، شر من الامم الذين ابتلى بهم أوائل المسلمين ؛ وذلك لأن الاسلام كان أهله أكل و أعظم علما و ديننا ، فاذا ابتلى بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم و دينهم ، وأما هؤلاء المتأخرون فالمسلمون وإن كانوا أتقص من سلفهم فانه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الاسلام ، ولكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هؤلاء ، ولبسوا عليهم دينهم ، وصارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم ، كما صار قتال الترك الكفار اعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان ، لأنهم إنما ابتلوا بسيوف هؤلاء ، وألسنة هؤلاء ، و كان فيهم من نقص الايمان ما اورث ضعفا في العلم والجهاد ، و كما كان كثير من العرب في زمن النبي ﷺ فهذا هذا .

و مما يبين هذا أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والارض بمشيئته وقدرته ؛ بل يقولون : إنه خلق ذلك في ستة ايام ، و هؤلاء المتفلسفة عندهم لم يحدثها بعد ان لم تكن ، فضلا عن ان يكون ذلك في ستة ايام ، ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث ، يعنون بحدوثه أنه معلول بعلة قديمة ، فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله تعالى ، لكن هو امر لاحقيقة له ولا يعقل .

و أيضا فشرکوا العرب و أهل الكتاب يقرون بالملائكة و ان كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشیاطین نوعا واحدا ، فمن خرج منهم عن طاعة الله اسقطه و

صار شيطانا ، و ينكرون ان يكون إبليس كان أبا الجن ، وأن يكون الجن ينكحون و يولدون و يأكلون و يشربون ، فهؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم خير من هؤلاء المتفلسفة فان هؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم الا ما يثبتونه من العقول والنفوس ، أو من اعراض تقوم بالاجسام كالتقوى الصالحة ، وكذلك الجن جمهور أولئك يثبتونها ، فان العرب كانت تثبت الجن ، وكذلك أكثر اهل الكتاب ، وهؤلاء لا يثبتونها ، و يعملون الشياطين : القوى الفاسدة ، وأيضا فشرخوا العرب مع اهل الكتاب يدعون الله ، و يقولون انه يسمع دعاءهم و يجيبهم .

و هؤلاء عندهم لا يعلم شيئا من جزئيات العالم ، و لا يسمع دعاء أحد و لا يجيب أحدا ، ولا يحدث فى العالم شيئا و لا سبب للحدوث عندهم إلا حركات الفلك ، و الدعاء عندهم يؤثر ، لأنه تصرف النفس الناطقة فى هوى العالم .

و قد ثبت فى الصحيح^(٢٨٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (يقول الله عزوجل : شتمنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، و كذبنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، فاما شتمه إياى فقلوه انى اتخذت ولدا و أنا الاحد ، الصمد ، الذى لم ألد و لم أولد ، و لم يكن لى كفوا أحد ، و أما تكذيبه إياى فقلوه لن يعيدنى كما بدأنى و ليس أول الخلق بأهون على من اعادته) .

و هذا و ان كان متناولا قطعا لكفار العرب الذين قالوا هذا و هذا ، كما قال تعالى : ﴿ وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا ﴾^(٢٨٨) الى قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٢٨٩)

فذكر الله هنا وهذا فتناول النصوص هؤلاء بطريق الاولى ، فان هؤلاء ينكرون الاعادة والابتداء أيضا ، فلا يقولون : ان الله ابتداء خلق السموات والارض ، و لا كان للبشر ابتداء أولهم آدم ، و أما شتمهم إياه بقولهم اتخذ ولدا فهؤلاء عندهم

(٢٨٧) أخرجه البخارى فى التفسير من حديث أبى هريرة (٩٥/١) .
و أخرجه أيضا النسائى فى الجنائز (١١٢/٤) و احمد فى مسنده (٣٩٤، ٣٥٠، ٣١٧/٢) .

(٢٨٨) سورة مريم (٦٧/١٩) .

(٢٨٩) الأيات (٨٨/١٩ - ٩٠) .

الفلك كله لازم له ، معلول له أعظم من لزوم الولد والده ، والوالد له اختيار و قدرة في حدوث الولد منه ، وهؤلاء عندهم ليس لله مشيئة و قدرة في لزوم الفلك له ، بل ولا يمكنه ان يدفع لزومه عنه ، فالتولد الذي يشيتونه أبلغ من التولد الموجود في الخلق ، ولا يقولون : إنه اتخذ ولدا بقدرته ، فانه لا يقدر عندهم على تغيير شيء من العالم ، بل ذلك لازم له لزوما حقيقة انه لم يفعل شيئا ؛ بل ولا هو موجود ، وان سموه علة ومعلولا فعند التحقيق لا يرجعون الى شيء محصل ، فان في قولهم من التناقض والفساد اعظم مما في قول النصارى .

وقد ذكر طائفة من اهل الكلام ان قولهم بالعلة والمعلول من جنس قول غيرهم بالوالد والولد ، و ارادوا بذلك ان يجعلوهم من جنسهم في الذم ، وهذا تقصير عظيم ، بل اولئك خير من هؤلاء ، وهؤلاء اذا حققت ما يقوله من هو اقربهم الى الاسلام ، كابن رشد الحفيد وجدت غايته ان يكون الرب شرطا في وجود العالم لا فاعلا له ، وكذلك من سلك مسلكتهم من المدعين للتحقيق من ملاحدة الصوفية ، كابن عربي وابن سبعين^(٢٩١) ، حقيقة قولهم ان هذا العالم موجود واجب ازلي ، ليس له صانع غير نفسه ، وهم يقولون : الوجود واحد ، و حقيقة قولهم انه ليس في الوجود خالق خلق موجودا آخر ، و كلامهم في المعاد والنبوات والتوحيد شر من كلام اليهود والنصارى و عباد الاصنام ، فان هؤلاء يجوزون عبادة كل صنم في العالم ، لا يخلصون بعض الاصنام بالعبادة .



(٢٩٠) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الطائي ، الحافظي الاندلسي ، الشيخ الاكبر .
صولي من الاندلس ، قنوة القائلين بوحدة الوجود ، ولذلك انتقده العلماء وكفره بعض ، رحل من الاندلس الى دمشق واستقر فيها حتى توفي سنة ٦٣٨ هـ .
له مؤلفات كثيرة .
ترجمته في السيرة (٤٨/٣٣) فوات الوفيات (٤٣٥/٣ - ٤٤٠) و راجع الاعلام (٢٨١/٦) و معجم المؤلفين (٤٠/١١ - ٤٢) .

(٢٩١) عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشيلي ، الشهير بابن السجين .
صولي من الاندلس ، شارك في انواع من العلوم . له كلمات كثيرة من المخطوطات . توفي سنة ٦٦٩ هـ .
راجع الاعلام (٢٨٠/٣) معجم المؤلفين (٩٠/٥) فوات الوفيات (٢٥٢/٣ - ٢٥٥) .

فصل

وقد احتج بـ (سورة الاخلاص) من اهل الكلام المحدث من يقول : الرب تعالى جسم ك بعض الذين وافقوا هشام بن الحكم ، ومحمد بن كرام ، وغيرهما ، ومن ينفي ذلك و يقول ليس بجسم ممن وافق جهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف ، ونحوهما ، فأولئك قالوا : هو صمد والصد لا جوف له ، وهذا إنما يكون في الاجسام المصمتة ، فانها لا جوف لها ، كما في الجبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة ، وكما قيل : ان الملائكة صمد ؛ ولهذا قيل إنه لا يخرج منه شيء ، ولا يدخل فيه شيء ، ولا ياكل ولا يشرب ، ونحو ذلك ، و نفى هذا لا يعقل الا عما هو جسم ، وقالوا : أصل ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الاجتماع ، و منه تصيد المال ، وهذا إنما يعقل في الجسم المجتمع ، واما النفاة فقالوا : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي لا يجوز عليه التفرق والاتقسام ، و كل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والاتقسام .

(٢٩٢) هشام بن الحكم الشيباني ، ابو محمد الكوفي ، شيخ الامامية في وقته تنسب اليه الفقرة المشامية له مؤلفات ، توفي سنة ١٩٩ هـ .
راجع آراءه في الفرق بين الفرق (٥١/٤٨) وللعل والنحل للشهرستاني (٢١/٢) وانظر الاعلام (١٨٥/٨) و مصم المؤلفين (١٤٨/١٣) .

(٢٩٣) محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف . يعدّ رائد التاليف في علم الكلام عند المعتزلة ، قال ببناء الجوهر يعرف اتباعه بالمذهبية . توفي سنة ٢٣٦ هـ .
انظر آراءه والكلام عليهما في الفرق بين الفرق (١١٢/١-٢) وللعل والنحل (٦٢/١) و راجع ابن خلكان (٣٦٥/٤ - ٣٦٧) و تاريخ التراث (٦٧٤ - ٦٨) .

وقالوا ايضا : ﴿ الْأَحَدُ ﴾ الذى لا يقبل التجزى والانتقسام ، و كل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والتجزى والانتقسام . وقالوا : اذا قلتَ هو جسم كان مركبا مؤلفا من الجواهر الفردة ، أو من المادة والصورة ، و ما كان مركبا مؤلفا من غيره كان مفتقرا إليه ، و هو سبحانه صمد ، والصمد الغنى عما سواه ، فالمركب لا يكون صمدا .

فيقال : اما القول بانه سبحانه مركب مؤلف من اجزاء ، و انه يقبل التجزى والانتقسام والانفصال فهذا باطل شرعا و عقلا ، فان هذا يناق كونه صمدا ، كما تقدم ، و سواء أريد بذلك انه كانت الاجزاء متفرقة ، ثم اجتمعت ، او قيل : انها لم تزل مجتمعة لكن يمكن انفصال بعضها عن بعض ، كما فى بدن الانسان وغيره من الاجسام ، فان الانسان و ان كان لم يزل مجتمع الاعضاء ، لكن يمكن ان يفرق بين بعضه من بعض ، والله سبحانه منزّه عن ذلك ؛ ولهذا قدمنا ان كمال الصدية له ، فان هذا انما يجوز على ما يجوز ان يفنى بعضه او يعدم ، و ما قبل العدم و الفناء لم يكن واجب الوجود بذاته ، و لا قديما ازليا ؛ فإن ما وجب قدمه امتنع عدمه ، و كذلك صفاته التى لم يزل موصوفا بها و هى من لوازم ذاته ، فيمتنع ان يعدم اللازم الا مع عدم الملزوم .

ولهذا قال من قال من السلف : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ هو الدائم ، و هو الباقي بعد فناء خلقه ، فان هذا من لوازم الصدية ، اذ لو قبل العدم لم تكن صديته لازمة له ؛ بل جاز عدم صديته فلا يبقى صمدا ، و لا تنتفى عنه الصدية الا بجواز العدم عليه ، و ذلك محال . فلا يكون مستوجبا للصدية ، الا اذا كانت لازمة له ، و ذلك يناق عدمه ، و هو مستوجب للصدية ، لم يصر صمدا بعد ان لم يكن — تعالى و تقدس — فان ذلك يقتضى انه كان متفرقا فجمع ، و انه مفعول محدث مصنوع ، و هذه صفة مخلوقاته . و اما الخالق القديم الذى يمتنع عليه ان يكون معدوما او مفعولا او محتاجا الى غيره بوجه من الوجوه ، فلا يجوز عليه شيء من ذلك ، فلم انه لم يزل صمدا ، و لا يزال صمدا ، فلا يجوز ان يقال : كان متفرقا فاجتمع ، و لا انه يجوز ان يتفرق ، بل و لا يخرج منه شيء و لا يدخل فيه شيء .

و هذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين ، سنيهم و بدعيهم ، و ان كان احد من الجهال او من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك ، فثل هؤلاء لاتنضبط خيالاتهم الفاسدة ، كما انه ليس في طوائف المسلمين من يقول انه مولود و والد ، و ان كان هذا قد قاله بعض الكفار ، و قد قال المتفلسفة المنتسبون الى الاسلام من التولد و التعليل ما هو شر من قول اولئك .

و اما اثبات الصفات له ، و انه يُرى في الآخرة ، و انه يتكلم بالقرآن و غيره ، و كلامه غير مخلوق : فهذا مذهب الصحابة و التابعين لهم باحسان ، و ائمة المسلمين و اهل السنة و الجماعة ، من جميع الطوائف . و الخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية و المعتزلة ، و كثير من الفلاسفة و الباطنية .

و هؤلاء يقولون ان اثبات الصفات يوجب ان يكون جسما و ليس بجسم ، فلا تثبت له الصفات . قالوا : لان المعقول من الصفات اعراض قائمة بجسم ، و لاتمقل صفته الا كذلك . قالوا : و الرؤية لا تمقل الا مع المعينة ، فالمعينة لا تكون الا اذا كان المرئى بجهة ، و لا يكون بجهة الا ما كان جسما . قالوا : و لانه لو قام به كلام او غيره للزم ان يكون جسما ، فلا يكون الكلام المضاف اليه الا مخلوقا منفصلا عنه .

و هذه المعاني مما ناظرها بها الامام احمد في « المحنة » ، و كان من احتج على ان القرآن مخلوق بنفى التجسيم ابو عيسى محمد بن عيسى برغوث ، تلميذ حسين النجار ، و هو من اكابر المتكلمين ، فان ابن ابي ذؤود كان قد جمع للامام احمد من امكنه من متكلمي البصرة و بغداد و غيرهم ممن يقول : ان القرآن مخلوق ، و هذا القول لم يكن مختصا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس ؛ فان كثيرا من

(٢٩٤) محمد بن عيسى الملقب ببرغوث ، كان على مذهب النجار في اكثر مذاهبه و خالفه في تسمية المكتسب فاعلا و خالفه ايضا في التولدات فزم لها فعل الله تعالى بايجاب الطبع .
راجع الفرق بين الفرق (١٩٧) و الملل و النحل (١١٤/١) .

(٢٩٥) احمد بن ابي حنبل بن محمد بن مالك الياقبي ، ابو عبد الله ،
احد القضاة المشهورين من المعتزلة ، و راس فتنه القول بخلق القرآن . و كان جهميا بغيضا . توفي سنة ٢٤٠ هـ .

انظر الفهرست لابن النديم (٢١٢) وفيات ابن خلكان (٨١/١ - ٩١) تاريخ بغداد (١٤١/٤ - ١٥٦) الوافي (٢٨١/٧) لسان اللذان (١/١) السير (١٦٦/١١ - ١٧١) .

اولئك المتكلمين او اكثرهم لم يكونوا معتزلة ، و بشر الميرسي^(٢٩١) لم يكن من المعتزلة ، بل فيه نجارية ، ومنهم برغوث . وفيهم ضرارية . و حفص الفرد^(٢٩٢) الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية اتباع ضرارين عمرو . وفيهم مرجئة ، و منهم بشر الميرسي . و منهم جهمية محضة ، ومنهم معتزلة ، و ابن ابي دؤاد لم يكن معتزليا ؛ بل كان جهميا ينفي الصفات ، والمعتزلة تنفي الصفات ، ففناء الصفات الجهمية اعم من المعتزلة ، فلما احتج عليه برغوث بانه لو كان يتكلم و يقوم به الكلام لكان جسا ، وهذا منفي عنه ، واحد وامثاله من السلف كانوا يعلمون ان هذه الالفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينبغيها قوم ليتوصلوا بنفيها الى نفي ما اثبتته الله تعالى و رسوله ، و يثبتها قوم ليتوصلوا باثباتها الى اثبات ما نفاه الله و رسوله .

فالاولى : طريقة الجهمية : من المعتزلة وغيرهم : ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدتم التنزيه ، و مقصودهم بذلك ان الله لا يرى في الآخرة ، و انه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خلق كلاما في غيره ، و انه ليس له علم يقوم به ، و لا قدرة و لا حياة ، و لا غير ذلك من الصفات قال الامام احمد في خطبته في « الرد على الجهمية والزنادقة » :

« الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، و يصبرون منهم على الاذى ، يحيمون بكتاب الله الموتى ، و يبصرون بنوره اهل العمى ، فكم من قتل لابليس قد احيوه ، و كم ضال تائه قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس ، و اقبح اثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تاويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، و اطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب ، يقولون على الله و في الله و في كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، و يخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين » .

(٢٩١) بشر بن خيثم بن ابي كريمة عبد الرحمن المزني .
تقيه معتزلي ، حارث بالفلسفة ، يرمى بالزندقة ، و هو راس الطائفة «الميرسية» القائلة بالارواح ،
توفي سنة ٢١٨ هـ .

راجع الاحلام (٥٥/٢) مجمع المؤلفين (٤٦٢) تاريخ التراث (٦٥/٤) الفرق بين الفرق (١٩٢) .

(٢٩٢) حفص الفرد . كان من المجبرة و كان اول معتزليا ثم قال بخلق الافعال و له كتب .
راجع الفهرست (٢٢٩) والفرق بين الفرق (٢٠٢) . ج راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦

والثانية : طريقة هشام واتباعه يحكى عنهم : انهم اثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من انضافه بالنقائص ، ومماثلته للمخلوقات ، فاجابهم الامام احد بطريقتة الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بحبل الله الذى قال الله فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(٢٩٨)

وقال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢٩٩)

وقال تعالى : ﴿ الْمَص ، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي مَذْرَكٍ حَرْجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رُبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣٠٠)

وقال تعالى : ﴿ قَامًا يَأْتِينَكُم مِّنْهُ هَدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ ^(٣٠١)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٣٠٢)

وقال تعالى ^(٣٠٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

(٢٩٨) سورة آل عمران (١٠٢/٣ - ١٠٣) .

(٢٩٩) سورة البقرة (٢١٢/٢) .

(٣٠٠) الاعراف (١٧/٣ - ٢) .

(٣٠١) طه (١٣٣/٢٠ - ١٣٦) .

(٣٠٢) النساء (٥٩/٤) .

(٣٠٣) المحجرات (١٩/١ - ٢) .

لِيَبْغِضَ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣٠٤﴾

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ

يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ، فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَجَاءَعَوْكَ يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ، وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ، فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٣٠٥﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَرُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٣٠٥)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٠٦)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، مَنِيْبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٣٠٧)

وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣٠٨)

(٣٠٤) السَّاء (٦٠/٤ - ٦٥)

(٣٠٥) الامام (١٥٢/٦)

(٣٠٦) ايضاً (١٥٩/٦)

(٣٠٧) سورة الروم (٣٠/٢٠ - ٢٢)

(٣٠٨) الشورى (١٣/٤٢)

فهذه النصوص وغيرها تبين ان الله ارسل الرسل ، وانزل الكتب لبيان الحق من الباطل ، وبيان ما اختلف فيه الناس ، وان الواجب على الناس اتباع ما انزل اليهم من ربه ، ورد ما تنازعوا فيه الى الكتاب والسنة ، وان من لم يتبع ذلك كان منافقا ، وان من اتبع الهدى الذى جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا معذبا ، وان الذين فرقوا دينهم قد برئ الله ورسوله منهم .

فاتبع الامام احمد طريقة سلفه من ائمة السنة والجماعة الممتصين بالكتاب والسنة ، المتبعين ما انزل (الله) اليهم من ربه ، وذلك ان ننظر فاما وجدنا الرب قد اثبت لنفسه في كتابه اثبتناه ، وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه ، وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالاثبات اثبت ذلك اللفظ ، وكل لفظ وجد منفيا نفى ذلك اللفظ ، واما الالفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة ، بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وسائر ائمة المسلمين لا اثباتها ولا نفياها ، وقد تنازع فيها الناس ، فهذه الالفاظ لا تثبت ولا تنفى إلا بعد الاستفسار عن معانيها ، فان وجدت معانيها مما اثبتته الرب لنفسه أثبتت ، وان وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت ، وان وجدنا اللفظ اثبت به حق وباطل ، او نفى به حق وباطل ، او كان محملا يراد به حق وباطل ، و صاحبه اراد به بعضها ، لكنه عند الاطلاق يوم الناس او يفهمهم ما اراد وغير ما اراد ، فهذه الالفاظ لا يطلق اثباتها ولا نفياها ، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الالفاظ التي تدخل في هذا المعنى ، فقل من تكلم بها نفيا او إثباتا إلا وأدخل فيها باطلا ، وإن أراد بها حقا .

والسلف والائمة كرهوا هذا الكلام المحدث ؛ لا شتاله على باطل و كذب ، و قول على الله بلا علم ، و كذلك ذكر احد في رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه ، و يقولون عليه بغير علم ، و كل ذلك مما حرمه الله و رسوله ، و لم يكره السلف هذه مجرد كونها اصطلاحية ، و لا كرهوا الاستعلال بدليل صحيح جاء به الرسول ، بل كرهوا **الافتراء على الله** المخالفة للكتاب و السنة ، و لا يخالف الكتاب **عنه** إلا ما هو باطل ، لا يصح بعقل و لاسمع .

ولهذا لما سئل أبو العباس ابن سريج^(٢٠٩) عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين و قال : واما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والاعراض ، واما بعث (الله) النبي ﷺ بانكار ذلك ، ولم يرد بذلك انه انكر هذين اللفظين ، فانها لم يكونا قد احداثا في زمنه ، واما اراد إنكار ما يعنى بها من المعاني الباطلة ، فان اول من احداثها الجهمية والمعتزلة ، وقصدهم بذلك انكار صفات الله تعالى . او ان يرى ، او ان يكون له كلام يتصف به ، وانكرت الجهمية اسماءه أيضا .

و اول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط . وقال : يا ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه .

و كلام السلف والائمة في ذم هذا الكلام واهله مبسوط في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : ان ائمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره كانوا اذا ذكرت لهم اهل البدع الالفاظ المجملة : كلفظ الجسم والجوهر والحيز ونحوها لم يوافقهم لا على اطلاق الاثبات ، ولا على اطلاق النفي ، واهل البدع بالعكس ابتدعوا الفاظا ومعاني ، إما في النفي ، واما في الاثبات ، وجعلوها هي الاصل المعقول المحكم ، الذي يجب اعتقاده ، والبناء عليه ، ثم نظروا في الكتاب والسنة فما امكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه ، وإلا قالوا هذا من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما اريد بها . فجعلوا بدعهم اصلا محكما ، وما جاء به الرسول فرعا له ومشكلا : إذا لم يوافقهم . وهذا أصل الجهمية والقدرية و امثالهم ، واصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية ، جميع كتبهم توجد على هذا الطريق ، ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من اعظم ما يعلم به الفرق بين

(٢٠٩) أبو العباس أحمد بن محمد بن سريج البغدادي القاضي الشافعي ، كان يلقب بالباباز الأشهب ، منه انتشر المذهب الشافعي ، وكان فهرست كتبه يشتمل على اربعائة مصنف . توفي سنة ٣٠٦ هـ .

ترجمته في تاريخ بغداد (٢٨٧/٤ - ٢٩٠) وفيات ابن خلكان (٦٦/١ - ٦٧) والوالي (٢٦٠/٧ - ٢٦١) السير (٢٠١/١٤) تاريخ التراث (١٩٩/٣) .

(٢١٠) من اول الفائلين يخلق القرآن ، وضحى به خالد في سنة ١١٨ هـ . راجع الاعلام (١٢٠/٣) لسان الميزان (١٠٥/٢) الفرق بين الفرق (٣٢٢) .

الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله ، و بين السبل المخالفة له ، و كذلك الحكم في المسائل العلمية الفقهية ، و مسائل اعمال القلوب و حقائقها و غير ذلك ، كل هذه الامور قد دخل فيها الفاظ و معان محدثة ، و الفاظ و معان مشتركة .

٥ فالواجب ان يجعل ما انزله الله من الكتاب و الحكمة اصلا في جميع هذه الامور ، ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك ، و يبين ما في الالفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب و السنة فتقبل ، و ما فيها من المعاني المخالفة للكتاب و السنة فترد .

و لهذا كل طائفة انكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعته الاخرى ، كما يوجد في الفاظ اهل الرأي والكلام والتصوف ، و انما يجوز ان يقال في بعض الآيات انه مشكل و متشابه اذا ظن انه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة ، فاذا جاءت نصوص بيّنة محكمة بامر ، و جاء نص آخر يظن ان ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا انه يرد المتشابه الى الحكم ، أما إذا نطق الكتاب او السنة بمعنى واحد لم يجوز ان يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الاصل ، و يجعل ما في القرآن و السنة مشکلا متشابها فلا يقبل ما دل عليه .

١٠ نعم ، قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها ، فتكون مشكلة بالنسبة اليهم لمعجز فهمهم عن معانيها ، و لا يجوز ان يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل و الحس الا و في القرآن بيان معناه ، فان القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور ، و بيانا للناس ، فلا يجوز ان يكون بخلاف ذلك ؛ لكن قد تخفى آثار الرسالة في بعض الامكنة و الازمنة ، حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ : إما أن لا يعرفوا اللفظ ، و اما ان يعرفوا اللفظ و لا يعرفوا معناه ، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة ، و من ههنا يقع الشرك ، و تفريق الدين شيعا ، كالفتن التي تحدث بالسيف ، فالفتن القولية و العملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم ، كما قال مالك بن انس : اذا قل العلم ظهر الجفاء ، و إذا قلت الآثار ظهرت الأهواء .

و لهذا شبهت الفتن بقطع الليل المظلم ، و لهذا قال احمد في خطبته : الحمد

الله الذي جعل في كل زمان فترة بقايا من اهل العلم . فالهدى الحاصل لاهل الارض انما هو من نور النبوة كما قال تعالى : ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنْهُ هُدًى فَمَنَ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَظِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٣١١)

فاهل الهدى والفلاح : هم المتبعون للانبياء و هم المسلمون المؤمنون في كل زمان ومكان . واهل العذاب والضلال : هم المكذبون للانبياء . يبقى اهل الجاهلية الذين لم يصل اليهم ما جاءت به الانبياء . فهؤلاء في ضلال وجهل

وشركٍ وشرٍّ، لكن الله يقول :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣١٢) .

وقال : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٣١٣)

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٣١٤)

فهؤلاء لا يهلكهم الله و يعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا ، وقد رويت آثار متعددة في ان من لم تبلغه الرسالة في الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة (٣١٥) في عرصات القيامة .

(٣١١) سورة طه (١٢٣/٢٠) .

(٣١٢) سورة الاسراء (١٥/١٧) .

(٣١٣) سورة النساء (١٦٥/٤) .

(٣١٤) سورة القصص (٥٩/٢٨) .

(٣١٥) أخرج احمد عن الاسود بن سريع ان النبي ﷺ قال :

«اربعة يجتزون يوم القيامة : رجل اصم لا يسمع شيئا ، و رجل احمق ، و رجل هرم ، و رجل مات في الفترة .

فاما الاصم فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اسمع شيئا .

واما الاحق فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و الصبيان يمدفونني بالبر ،

واما الهرم فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اعقل شيئا ،

واما الذي مات في الفترة فيقول : ربّ ما اتاني لك رسول ،

فياخذ مواليقهم ليطيئنه ، فيرسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار .

قال فوالذي نفس محمد بيده ! لو دخلوها لكانت عليهم بردا و سلاما ، ثم ذكر سندا آخر الى ابي هريرة و

ذكراته روى عنه مثل هذا غير انه قال :

فمن دخلها كانت عليه بردا و سلاما ، و من لم يدخلها سحب اليها ، راجع المسند (٢٤/٤) ،

وقال الهيثمي و رواه الطبراني ، و رجال احمد في طريق الاسود بن سريع و ابي هريرة رجال الصحيح ،

و كذا رجال الطبراني فيها ، جمع الزوائد (٢١٦/٧) ،

وقد زعم بعضهم ان هذا يخالف دين المسلمين ؛ فان الآخرة لا تكليف فيها ، وليس كما قال ، انما ينقطع التكليف إذا دخلوا دار الجزاء الجنة او النار ؛ والافهم في قبورهم متحنون ومفتنون ، يقال لأحدهم : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وكذلك في عرصات القيامة يقال : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي رأوه فيها اول مرة ، و يقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . وفي رواية فيسألهم ويشتمهم ، وذلك امتحان لهم ، هل يتبعون غير الرب الذي عرفوا انه الله الذي تجلى لهم اول مرة فيشتمهم الله تعالى عند هذه المحنة ، كما يشتمهم في فتنه القبر ، فاذا لم يتبعوه لكونه اتي في غير الصورة التي يعرفون ، اتاهم حينئذ في الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق ، فاذا رأوه خروا له سجداً ، الا من كان منافقا فانه يريد السجود فلا يستطيعه ، يبقى ظهره مثل الطبق وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ في عدة احاديث ثابتة من حديث ابي هريرة ، و ابي سعيد ، وقد اخرجاهما في الصحيحين .

ومن حديث جابر قد رواه مسلم، ومن حديث ابن مسعود ، و ابي موسى .

وأخرجه البيهقي في الاعتقاد (١٢) بالطريقين : وهو عند ابن حبان من حديث الاسود (١٨٣٧) موارد) .
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٥) الى اسحاق بن راهويه ، و ابي نعم في المعرفة ، و ابن مردويه .
وأخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابي هريرة موقوفا عليه (٥٤/١٥) .

(٣١٦) حديث ابي هريرة أخرجه البخاري مطولا في الاذان (١١٤/١) وفي الرقاق (٢٠٥/٧) في التوحيد (١٧٧/٨) و مسلم في الايمان (١٦٣/١ - ١٦٧) و الدارمي (٧٣٢) و احمد في مسنده (٥٣٤، ٢١٢، ٢٧٥/٢) .

(٣١٧) و حديث ابي سعيد أخرجه البخاري مطولا في التوحيد (١٨١/٨) و مختصرا في التفسير (٧٢/١) و مسلم في الايمان (١٦٣/١) و احمد (١٧٣) .

(٣١٨) أخرجه مسلم (١٧٧/١) و احمد (٣٤٥/٣ - ٣٨٢) .

(٣١٩) أخرجه الحاكم مطولا في كتاب الاحوال (٥٩١/٤ - ٥٩٢) و صححه وقال الذهبي : ما انكره حديثا على جودة اسناده ؛ و ابو خالد شيمي منحرف .
و رواه الطبراني من طرق و رجال احدها رجال الصحيح غير ابي خالد الدالاني و هو ثقة .
قال الميشتي في جمع الزوائد (٣٤٠/١٠ - ٣٤٢) .

و هو معروف من رواية احمد وغيره ، فدل ذلك على ان الهنة انما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء ، و اما قبل دار الجزاء امتحان و ابتلاء .

فاذا انقطع عن الناس نور النبوة وقوا في ظلمة الفتن ، و حدثت البدع و الفجور ، كما في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : (سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ، و منعني الثالثة ، سألته ان لا يهلك امتي بسنة عامة فأعطانيها ، و سألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها ، و سألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فنعنيها) .

والبأس مشتق من البؤس . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَ يَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (٣٣٢)

و في الصحيحين عن النبي ﷺ « انه لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال اعوذ بوجهك ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : اعوذ بوجهك . ﴿ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَ يَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال هاتان اهون . »

فدل على انه لا بد ان يلبسهم شيعا ، و يذيق بعضهم بأس بعض ، مع براءة الرسول في هذه الحال ، و هم فيها في جاهلية .

(قلت) أبو خالد الدالاني اسمه يزيد بن عبد الرحمن ، قال الذهبي : محدث مشهور ، قال ابو حاتم : صدوق ، و قال احمد : لا بأس به ، و قال ابن حبان : فاحش الوهم ، لا يجوز الاحتجاج به ، راجع الميزان (٤٣٢/٤) .

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٨) الى اسحاق بن راهويه ، و عبد بن حميد ، و ابن ابي الدنيا و الأجرى في الشريعة ، و الدارقطني في الرؤية ، و ابن مردويه ، و البيهقي في البعث .

(٣٢٠) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وقال الهيثمي : فيه فرات بن السائب و هو ضعيف ، جمع الزوائد (٣٤٢/١٠) و ذكره السيوطي في الدر المنثور برواية ابن مسافر (٢٥٢/٨) .

(٣٢١) أخرجه مسلم بلفظ مختلف في حديث طويل عن ثوبان ، في الفتن (٢٢١٥) و أخرجه ايضا ابو داود (٤٥٠/٤) - (٤٥٢) و الترمذي (٤٧٢/٤) و ابن ماجة (١٣٠٤/٣) رقم (٣٦٥٢) كلف في الفتن و أحد في السند (٣٧٨/٥) - (٣٨٤) . كما أخرج مسلم عن سعد بن ابي وقاص الا ان فيه السؤال عن عدم الهلاك بالفرق بدل تليط العدو (٢٢١٧/٣) و أخرجه احمد (١٧٥/١) - (١٨٢) .

و روى الحديث بالفاظ مختلفة و عن عدد من الصحابة راجع تفسير ابن كثير (١٤٠/٣) - (١٤٢) و جمع الزوائد (٢٢١/٧) - (٢٢٢) و الدر المنثور (٣٨٤ /٣) - (٣٨٩) .

(٣٢٢) سورة الانعام (١٥/٦) .

(٣٢٣) أخرجه البخاري في التفسير (١١٢/٥) و في الاعتصام (١٥٠/٨) و في التوحيد (١٧١/٨) عن جابر و لم أجده في صحيح مسلم و لم ينسبه اليه ابن كثير في تفسيره (١٣٧/٣) و ان كان ذكر طرق متعددة لهذا الحديث ، و كنا لم ينسبه اليه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٢/٣) .

ولهذا قال الزهري: ^(٣٧٤) وقمت الفتنة واصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فاجمعوا على ان كل دم او مال او فرج اصيب بتاويل القرآن فهو هدر ، انزلوم منزلة الجاهلية ، وقد روى مالك باسناده الثابت عن عائشة رضی الله عنها انها كانت تقول : ترك الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى : ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ فان المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الاصلاح بينهم كما امر الله تعالى ، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة و جاهلية .

وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الامنة في الاصول والفروع اذا لم ترد الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من امرهم ، فان رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ، ولم يبيخ بعضهم على بعض ، كما كان الصحابة في خلافة عمر و عثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ، ولا يعتدى عليه ، وان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضهم على بعض ، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيره ، و إما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله . وهذه حال اهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم ، يظلمون الامة و يمتدون عليهم ، إذا نازعهم في بعض مسائل الدين ، وكذلك سائر اهل الأهواء ، فانهم يبتدعون بدعة ، و يكفرون من خالفهم فيها ، كما تفعل الرافضة والمعتزلة والجممية وغيرهم ، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء : ابتدعو بدعة وكفروا من خالفهم فيها ، واستحلوا منع حقه و عقوبته .

فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول ﷺ اما عادلون ، و اما ظالمون ، فالعادل فيهم الذى يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم

(٣٧٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، ابو بكر القرشي الزهري .

الامام ، الملم ، حافظ زمانه ، قال الليث بن سعد : ما رأيت عالما قط اجمع من ابن شهاب كان من كبار اهل الحديث ، سمع و اسمع كثيرا . كان اهل اهل المدينة ، وافق عليه عمر بن عبد العزيز فقال : ما ساق الحديث احد مثل الزهري ، توفي سنة ١٢٤ هـ .

انظر ترجمته في السير (٣٣٦/٥ - ٣٥٠) وفيما كان (١٧٧/٤ - ١٧٩) حلية الاولياء (٣٦٠/٣ - ٣٨١) تذكرة الحفاظ (١٠٨/١ - ١١٣) تاريخ التراث (٧٤/٢ - ٧٩) .

وقوله اخرجه البيهقي في سننه بمعناه (١٧٥/٨) و ذكره البيهقي والحازن في تفسيرها (٢٢٥/٤) .

(٣٢٥) سورة الحجرات (٥/٤٩) ،

واخرج البيهقي في سننه (١٧٢/٨) عن عائشة قالت ، ما رأيت مثل ما رغب عنه هذه الامة من هذه الآية و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية .

غيره ، والظالم الذي يمتدي على غيره ، وهؤلاء ظالمون مع عليهم بأنهم يظلمون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ .^(٣٣١)

والا فلو سلكوا ماعلموه من العدل أقر بعضهم بعضا ، كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل ، فجعلوا أئمتهم نوابا عن الرسول ، وقالوا هذه غاية ما قدرنا عليه ، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ، ولا يمتدي عليه بقول ولا فعل ، مثل أن يدعي أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبيدها ، ويذم من يخالفه من أنه معذور .

وكان الذين امتحنوا أحد وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابهة نفوا به الحق ، فأجابهم أحد لما ناظره في الحق ، وذكروا الجسم ونحو ذلك ، وأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ، ليس على أحد ، أن يتكلم به البتة ، والمعنى الذي يراد به مجمل ، ولم يبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح ، فقال مادري ماتقولون ؟ لكن أقول ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

يقول : ما أدري ماتعنون بلفظ الجسم ، فانا لا وافقكم على إثبات لفظ ونفيه ، إذ لم يرد الكتاب والسنة بآثباته ولأنفيه ، أن لم ندر معناه الذي عناه المتكلم ، فإن عني في النفي والآثبات ما يوافق الكتاب والسنة وافقناه ، وإن عني ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والآثبات لم نوافق .

ولفظ « الجسم » و « الجوهر » ونحوهما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ، ولا كلام أحد — من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين — التكلم بها في حق الله تعالى ، لا بنفي ولا إثبات ، ولهذا قال أحد في رسالته^(٣٣٧) إلى المتوكل .

(٣٣٦) سورة آل عمران (١٩/٣) وحاء في الاصل والسختين المطبوعتين «وما تفرق» خطأ .

(٣٣٧) ذكره ابو يعقوب في الحلية (٢١٧/٨) وذكر غير الحق بطوله (٢٠٤/٩ - ٢٢٠) .

(لا احب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله ، او في حديث عن رسول الله ﷺ او عن الصحابة او التابعين لهم بإحسان ، وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود) وذكر ايضا فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون : ليس فيه كذا ولا كذا ولا كذا ، وهو كما قال ، فان لفظ الجسم له في اللغة التي نزل بها القرآن معنى ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (٢٣٨)

وقال تعالى : ﴿ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (٢٣٩)

قال ابن عباس : (٢٣٠) كان طالوت اعلم بني اسرائيل بالحرب ، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه ، و ﴿ أَلْبَسْتُهُ ﴾ السعة .

قال ابن قتيبة : (٢٣١) هو من قولك بسطت الشيء إذا كان مجموعا ففتحته و وسعته ، قال بعضهم : والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة ، إذ العادة أن من كان أعظم جسا كان أكثر قوة ، فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن .

قال الجوهري : قال ابو زيد الانصاري : الجسم : (٢٣٢) الجسد ، وكذلك الجثمان والجثمان ، وقال الاصمعي : الجسم ، والجمان ، والجسد ، والجثمان : الشخص ، وقال جماعة جسم الانسان يقال له الجمان وقد جسم الشيء أي عظم ، فهو جسم وجسام ، والجسام بالكسر جمع جسم .

قال ابو عبيدة : تجسمت فلانا من بين القوم أي اخترته ، كأنك قصدت جسمه . كما تقول : تاتيته أي قصدتأتيه وشخصه ، وأنشد ابو عبيدة :

تجسمته من بينهن بمرفف

وتجسمت الارض إذا أخذت غوها تريدها ، وتجسم من الجسم ،

(٢٣٨) سورة المنافقون (٤/١٢) .

(٢٣٩) سورة البقرة (٢/٢٤٧) .

(٢٣٠) نقله ابن الجوزي في تفسيره (٢٩٤/١) .

(٢٣١) راجع تفسير غريب القرآن (٣١٤) .

(٢٣٢) راجع اللسان «جسم» .

وقال ابن السكيت: ^(٣٣٣) تجمت الامر: أي ركبته اجسمه وجسمه ، أي معظمه ، وقال : وكذلك تجمت الرمل والجبل أي ركبته أعظمه ، والأجسم الأضخم قال عامر بن الطفيل: ^(٣٣٤)

لقد علم الحي من عامر بأن لنا الذروة الأجسام

فهذا الجسم في لغة العرب ، وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ، ولالأنفس الخارج من الانسان جسم ، ولالروح المنفوخة فيه جسم ، ومعلوم ان الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك ، لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين ، ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين ، فلا يجوز ان يقال : هو جسم ، ولا جسد .

(وأما اهل الكلام) فالجسم عندهم أم من هذا ، وهم يختلفون في معناه اختلافا كثيرا عقليا واختلافا لفظيا اصطلاحيا ، فهم يقولون كل ما يشار إليه اشارة حسية فهو جسم ، ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم : كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة ، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يكون جوهرأ ، بشرط ان ينضم الى غيره ، وقيل بل الجوهران ، والجواهر فصاعدا ، وقيل بل اربعة فصاعدا ، وقيل بل ستة ، وقيل بل ثمانية ، وقيل بل ستة عشر ، وقيل بل اثنان وثلاثون ، وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم .

وقال آخرون من اهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهوى ، والصورة لا من الجواهر الفردة .

وقال كثير من اهل الكلام وغير اهل الكلام :

ليست مركبة لامن هذا ولا من هذا ، وهذا قول المشامية والكلابية

(٣٣٣) يعقوب بن اسحاق ، ابو عبد الله ، من امة اللغة والادب ، قال الذهبي : دين خير ، حجة في العريية ، له نحو عشرين كتابا شهرها «اصلاح المنطق» ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣٧٢/١٤) وفيات ابن خلكان (٣٩٥/٦ - ٤٠٢) السير (١٦/١٢) .

(٣٣٤) عامر بن الطفيل العامري ، من شعراء الجاهلية ، ادرك الاسلام ولكنه لم يسلم .
والبيت في اللسان «جسم» .

والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار ، لا يقولون بالجواهر الفرد ولا بالمادة والصورة ، وآخرون يدعون إجماع المسلمين على إثبات الجوهر الفرد ، كما قال أبو المعالي^(٢٣٥) وغيره ، اتفق المسلمون على أن الاجسام تتناهى في تجزئها وانقسامها حتى تصير افرادا ، ومع هذا فقد شك هو فيه ، وكذلك شك فيه أبو الحسين^(٢٣٦) البصرى . و ابو عبد الله الرازى .

ومعلوم ان هذا القول لم يقله أحد من ائمة المسلمين لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ، ولا أحد من ائمة العلم المشهورين بين المسلمين ، واول من قال ذلك فى الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة ، وهذا من الكلام الذى ذمه السلف وعابوه ، ولكن حاكي هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا ما فى كتب الكلام ، ولم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين ، و القول بالجواهر الفرد باطل ، والقول بالمهيولى والصورة باطل ، وقد بسط الكلام على هذه المتالات فى مواضع آخر .

وقال آخرون : الجسم هو القائم بنفسه ، وكل قائم بنفسه جسم ، وكل جسم فهو قائم بنفسه ، وهو مشار إليه ، واختلفوا فى الاجسام هل هي متاثلة أم لا ؟ على قولين مشهورين .

و إذا عرف ذلك فن قال : إنه جسم ، وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل ، وكذلك ان اراد أنه ياثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثل شيء فى شيء من صفاته ، فن أثبت لله مثلا فى شيء من صفاته فهو مبطل ، ومن قال إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ، ومن قال إنه ليس بجسم بمعنى أنه لا يُرى فى الآخرة ، ولا يتكلم بالقرآن وغيره من

(٢٣٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، الجوينى ، شيخ الشافعية ، المعروف بامام الحرمين . من فقهاء الشافعية الكبار ، له مشاركة فى الأصول والكلام والتفسير ، قال ابو سعد السمعاني : كان ابو للمعالي امام الاققة على الاطلاق ، مجمعا على امامته شرقا وغربا ، لم تر الميرون مثله ، تولى سنة ٤٧٨هـ . راجع ترجمته فى وفيات ابن خلكان (١٦٧/٢ - ١٧٠) طبقات السيكي (١٦٥/٥ - ٢٢٢) السير (٤٧٨/١٨ - ٤٧٧) .

(٢٣٦) محمد بن على بن الطيب ، ابو الحسين البصرى ، شيخ للمعتزلة وصاحب التصانيف الكلامية كان فصيحاً بليفاً ، عذب العبارة ، يتوقد ذكاء ، وله اطلاق كبير . تولى سنة ٤٣٦هـ . راجع تاريخ بغداد (١٠٠/٣) وفيات ابن خلكان (٢٧١/٤) الوافي (١٢٥/٤) السير (٥٨٧/١٧) لسان الميزان (٢٩٨/٥) .

الكلام ، ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرها من الصفات ، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ، ولا عرج بالرسول ﷺ إليه ، ولا يصعد إليه الكلم الطيب ولا تخرج الملائكة والروح إليه فهذا قول باطل .

- وكذلك كل من نفى ما اثبت الله ورسوله ، وقال ان هذا تجسيم فنفيه باطل ، وتسمية ذلك تجسيدا تلبيس منه ، فانه ان اراد ان هذا في اللغة يسمى جسما فقد أبطل ، وان اراد أن هذا يقتضى أن يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، او ان هذا يقتضى ان يكون جسما ، والاجسام متاثلة ، قيل له اكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة ، وفي أنها مركبة ، فلا يقولون : ان الهواء مثل الماء ولا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال ، فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه ، إذا أثبتوا له ما اثبت له الكتاب والسنة ؟! والله تعالى قد نفى الماثلات في بعض المخلوقات ، وكلاهما جسم كقوله : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٣٣٧)

- مع ان كلاهما بشر . فكيف يجوز ان يقال : إذا كان لرب السموات علم و قدرة أنه يكون مماثلا لخلقه ؟! والله تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

- ونكتة الامر أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ، و يستلزم ان يكون مركبا من الجواهر الفردة ، او من المادة والصورة ، وأكثر العقلاء يخالفونه في هذا التلازم ، وهذا التلازم منتف باتفاق الفريقين ، وهو المطلوب .

- فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا وعقلا بقى بحثهم في الجسم الاصطلاحي ، هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ وهو بحث عقلى ، كبحث الناس في الاعراض هل تبقى او لا تبقى ؟ وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا اثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لا نفيا ولا اثباتا ، فليس لاحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني

مختلفة ، لم ينطق به الشرع و يعلق به دين المسلمين ، ولو كان قد نطق باللغة العربية ، فكيف إذا أحدث للفظ معنى آخر ؟!

والمعنى الذى يقصده إذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فإذا كان معتقده أن الاجسام متاثلة ، وأن الله ليس كمثل شيء ، وهو سبحانه لا سى له ، ولا كقوله ، ولاند له ، فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبس ولا نزاع ، وأن كان معتقده ان الاجسام غير متاثلة ، وأن كل ما يرى و تقوم به الصفات فهو جسم ، فان عليه أن يثبت ما أثبتته الله و رسوله من علمه و قدرته و سائر صفاته . كقوله : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ ﴾^(٣٣٨)

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٣٣٩) .

وقوله عليه السلام فى حديث الاستخارة^(٣٤٠) : (اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك) .^(٣٤١)

وقوله فى الحديث الآخر : (اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق) .

و يقول كما قال رسول الله ﷺ : (انكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس والقمر لاتضامون فى رؤيته) .
فشبه الرؤية بالرؤية ، وأن لم يكن المرئى كالمرئى .

فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب و السنة وأقوال الصحابة ، ثم بعد هذا من كان قد تبين

(٣٣٨) سورة البقرة (٢٥٥/٢) .

(٣٣٩) سورة النازيات (٥٨/٥١) .

(٣٤٠) رواه البخارى عن جابر فى التهجيد (٥١/٢) و فى الدعوات (١٦٢/٧) وفى التوحيد (١٧٨/٨) .
و أخرجه البيهقى فى شعب الايمان فراجع تخريجه فيه .

(٣٤١) رواه النسائى (٥٤/٣) و احمد (٣٦٤/٤) عن عمار بن ياسر .

(٣٤٢) أخرجه البخارى فى اللواقيت (١٣٩/١ - ١٤٣) وفى التفسير (٤٨/٦) وفى التوحيد (١٧٧/٨) و مسلم فى المساجد (٤٣٧/١) و ابو داود فى السنة (٩٧/٥) والترمذى فى صفة الجنة (٣٨٧/٤) وابن ماجه فى المقدمة (١٦٢/١) و واحد (٣٦٥، ٣٦٢، ٣٦٠/٤) .

من حديث جرير ، وفيه ذكر القمر فقط ، و جاء فى روايات اخرى ذكر الشمس والقمر بلفظ مختلف .

له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله ، فلزم الحق حق ، لكن ذلك المعنى لا بد ان يدل الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية ، وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده ، وحينئذ فليس لأحد ان يدعو الناس إليه ، وان قدر أنه في نفسه حق .

- ٥ (ومسألة) تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر الفردة قد اضطرب فيها جماهير اهل الكلام . و كثير منهم يقول بهذا تارة و بهذا تارة . وأكثر ذلك لأجل الألفاظ الجملة والمعاني التشابهية ، وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .

- لكن المقصود هنا : أنه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست متماثلة ، ولا مركبة لا من هذا ولا من هذا لم يكن له ان يتدع في دين الاسلام قوله : ان الله جسم ، و يناظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة ، بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية. ولو قدر أنه تبين له أن الاجسام متماثلة ، وان الجسم مركب ، لم يكن له أن يتدع القول بهذا الاسم ، و يناظر على معناه الذى اعتقده بعقله ؛ بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره بعبارة لا إجمال فيها ولا تلبس ، والذين يقولون : ان الجسم مركب من الجواهر ، يدعى كثير منهم انه كذلك في لغة العرب ؛ لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا ، يريدون به أنه اكثر أجزاء منه . و يقولون : هذا جسم ، أى كثير الأجزاء .

- قال : والتفضيل بصيغة أفعل . انما يكون لما يدل عليه الاسم ، فاذا قيل : هذا أعلم وأحلم ، كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم ، فلما قالوا : اجسم ، لما كان اكثر اجزاء دل على ان لفظ الجسم عندهم المراد به المركب ، فن قال جسم وليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب .

- قالوا : وهذه تخليطة في اللفظ ، وان كنا لا نكفره ، اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف ، وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا ، وقالوا : ليس هذا اللفظ من لغة العرب ، كما يحكى عن ابى زيد فيقال له : لا ريب ان العرب تقول هذا جسم أى عظيم الجثة . وهذا أجسم

من هذا أى أعظم جثة ، لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التى
هي الجواهر الفردة ، انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعمتدون ان الجسيم
مركب من الجواهر الفردة ، والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة
الى انه لا يتميز بيمينه من يساره . ومعلوم ان اكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور
الجوهر الفرد ، والذين يتصورونه اكثرهم لا يثبتونه ، والذين أثبتوه انما يثبتونه
بطرق خفية طويلة بعيدة ، فيمتنع ان يكون اللفظ الشائع فى اللغة التى ينطق
بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا .

وقد علم بالاضطرار ان احدا من الصحابة والتابعين لم باحسان لم ينطق
باثبات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، و
لا سائر الأمم الباقين على الفطرة ، ولا اتباع الرسل ، فكيف يدعى عليهم انهم
لم يقولوا لفظ جسم الا لما كان مركبا مؤلفا ؟! ولو قلت لمن شئت من العرب
الشمس والقمر والسماء مركب عندك من اجزاء صغار كل منها لا يقبل
التجزى ، او الجبال او الهواء او الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد
كلفة ، ثم اذا تصوره قد يكذبه بفطرته ، و يقول : كيف يمكن ان يكون شيء
لا يتميز منه جانب عن جانب ؟! وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم
ينكرون الجوهر الفرد ، فالفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث
والتصوف .

ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الاجسام الى بعض ، كاستحالة
العذرة رمادا ، والخنزير ملحاً ، ثم تكلموا فى هذه الاستحالة هل تطهر ام لا
تطهر ؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم . بل تلك الجواهر
التي كانت فى الاول هي بعينها فى الثانى ، و إنما اختلف التركيب ، ولهذا
يتكلم بلفظ التركيب فى الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد اخذ هذا
التركيب عن المتكلمين ، و يقول : ان الماء يفارق غيره فى التركيب فقط . و
كذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم انما لم يشاهد قط احداث الله تعالى لشيء
من الجواهر والأعيان القائمة بنفسها ، وان جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات
والمعدن والثار والمطر والسحاب وغير ذلك انما هو جمع الجواهر وتقريقها ، و
تغيير صفاتها من حال الى حال ، لا انه يبدع شيئا من الجواهر والاجسام القائمة

بأنفسها ، وهذا القول أكثر العقلاء ينكره ، و يقول : هو مخالف للحس والعقل والشرع ، فضلا عن ان يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى .

ثم الجسم قد يزداد به الغلظ نفسه ، و هو عرض قائم بغيره ، و قد يراد به الشيء الغليظ ، و هو القائم بنفسه . فنقول : هذا الثوب له جسم : اي غلظ ، و قوله : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ ^(٢٤٧) قد يحتج به على هذا ، فانه قرن الجسم بالعلم الذي هو مصدر . فنقول المعنى ﴿ زَادَهُ بَسْطَةً ﴾ في قدره ، فجعل قدر بدنه اكبر من بدن غيره ، فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس القدر .

و كذلك قوله تعالى : ﴿ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ ^(٢٤٨) أى صورهم القائمة بأبدانهم ، كما تقول : أعجبنى حسنه وجماله ولونه و بهاؤه ، فقد يراد صفة الأبدان ، و قد يراد نفس الابدان ، و هم إذا قالوا : هذا اجسم من هذا ارادوا انه اغلظ واعظم منه ، اما كونهم يريدون بذلك ان ذلك العظم والغلظ كان لزيادة الأجزاء فهذا مما يعلم قطعا انه لم يخطر ببال اهل اللغة ، الا من اخذ ذلك عن اعتقده من اهل الكلام المحدث الذى احدث في الاسلام بعد انقراض عصر الصحابة ، و اكثر التابعين ، فان هذا لم يعرف في الاسلام من تكلم به او بمعناه إلا في اواخر الدولة الأموية ، لما ظهر جهم بن صفوان ، و الجعد بن درهم ، ثم ظهر في المعتزلة .

فقد تبين أن من قال : الجسم هو المؤلف المركب ، واعتقد أن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بنى آدم ، و لم ينتقل عن أحد من السلف انه وافقه عليه ، وأنه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة ، فقد غير معنى اللفظ في اللغة ، و ادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل ، و ليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ، و لا ما ادعاه من المعنى العقلي ، فاللغة لا تدل على ما قال ، و الشرع لا يدل على ما قال ، و العقل لم يدل على مسميات الألفاظ ، و إنما يدل على المعنى المجرد ، و ذلك فيه نزاع طويل ، و نحن نعلم بالاضطرار

(٢٤٧) سورة البقرة (٢/٢٤٧) .

(٢٤٨) سورة الشافقين (٤٤/٤٤) .

أن ذلك المعنى الذى وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه إلى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ، ولا ما ادعاه من المعنى العقلى ، بل الذين جعلوا هذا عمدتهم فى تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم ، لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة ، فانهم اذا قالوا : هذا من صفات الاجسام ، فكل ما أثبتوه هو ايضا من صفات الاجسام ، مثل كونه حيا عليا قديرا ، بل كونه موجودا قائما بنفسه ، فانهم لا يعرفون هذا فى الشاهد الا جسما ، فاذا قال المنازع : انا أقول فيما نفيتوه نظير قولكم فيما أثبتوه انقطعوا .

ثم هؤلاء لهم فى استحقاق الرب لصفات الكمال عندهم ، هل علم بالاجماع فقط ، او علم بالعقل ايضا . فيه قولان : فمن قال إن ذلك لم يعلم بالعقل كأبى المعالى والرازى وغيرهما لم يبق معهم دليل عقلى ينزهون به الرب عن كثير من النقائص ، هذا اذا لم ينف الا ما يجب نفيه عن الله ، مثل نفيه للنقائص ، فانه يجب تنزيه الرب عنها ، و ينفى عنه مماثلة المخلوقات ، فانه كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه عن ان يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من صفات الكمال الثابتة له ، وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ دلت على النوعين .

فقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ مع قوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ينفى المماثلة والمشاركة ، وقوله : ﴿ اَلْصَّمَدُ ﴾ يتضمن جميع صفات الكمال ، فالتنقائص جنسها منفى عن الله تعالى ، وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها ، بخلاف ما يوصف به الرب . و يوصف العبد بما يليق به : مثل العلم والقدرة والرحمة ، ونحو ذلك ، فان هذه ليست نقائص ، بل ما ثبت لله من هذه المعانى فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات ، فضلا عن ان يماثله فيه ، بل ما خلقه الله فى الجنة من المأكّل والمشرب والملابس ، لا يماثل ما خلقه فى الدنيا وان اتفقا فى الاسم ، وكلاهما مخلوق .

(٢٤٥)

قال ابن عباس رضى الله عنهما : (ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الاسماء) فقد اخبر الله أن فى الجنة لبنا وخرا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وفضة ،

(٢٤٥) أخرجه ابن جرير الطبري فى تفسيره (١٧٤/١) وراجع تحريجه فى شعب الايمان للبيهقي .

وتلك الحقائق ليست مثل هذه ، و كلاهما مخلوق ، فالخالق تعالى أبعد عن مماثلة المخلوقات من المخلوق الى المخلوق .

و قد سمى الله نفسه عليا ، حليا ، رؤوفا رحما ، سميعا ، بصيرا ، عزيزا ، ملكا ، جبارا ، متكبرا ، مؤمنا ، عظيما ، كريما ، غنيا ، شكورا ، كبيرا ، حفيظا ، شهيدا ، حقا ، وكيفا ، وليا ، و سمى ايضا بعض مخلوقاته بهذه الأسماء .
فسمى الانسان سميعا بصيرا ، و سمى نبيه رؤوفا رحما ، و سمى بعض عباده ملكا ، و بعضهم شكورا ، و بعضهم عظيما ، و بعضهم حليا و عليا ، و سائر ما ذكر من الاسماء مع العلم بأنه ليس المسمى بهذه الأسماء من المخلوقين ماثلا للخالق جل جلاله في شيء من الاشياء .

- ١٠ . وكذلك النزاع في لفظ التحيز و الجهة و نحو ذلك ، فن الناس من يقول : هو متحيز ، و هو في جهة ، و منهم من يقول : ليس بمتحيز ، و ليس في جهة ، و منهم من يقول : هو في جهة و ليس بمتحيز ، و لفظ المتحيز يتناول الجسم و الجواهر الفرد ، و لفظ الجواهر قد يراد به المتحيز ، و قد يراد به الجواهر الفرد . و من الفلاسفة من يدعى إثبات جواهر قائمة بأنفسها غير متحيزة . و متأخروا أهل الكلام كالشهرستاني و الرازي و الآمدي و نحوهم يقولون : ليس في العقل ما يحيل ذلك ، و لهذا كان من سلك سبيل هؤلاء — و هو إنما يثبت حدوث العالم بحدوث الأجسام — يقول بتقدير وجود جواهر عقلية ، فليس في هذا الدليل ما يدل على حدوثها ، و لهذا صار طائفة ممن خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية ، و حدوث الاجسام ، و ان السبب الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس ، و بعض أعيان المصنفين كان يقول بهذا .

و كذلك الارموى صاحب «اللباب» الذي أجاب عن شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة أنه لا بد للحدوث من سبب ، فأجاب بالجواب الباهر

(٢٤٦) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، صاحب كتاب «الملل والنحل» و شيخ أهل الكلام و الحنكية ، كان كثير الحفظ ، قوى الفهم ، مليح الوط ، توفي سنة ٥٤٨ هـ .
انظر وفيسات ابن خلكان (٢٧٢/٤ - ٢٧٥) السوافي (٢٧٨/٣ - ٢٧٩) السير (٢٨٧/٢٠ - ٢٨٨) معجم المؤلفين (١٨٧/١٠) .

(٢٤٧) محمد بن أبي بكر بن حامد بن أحمد التنوخي ، سراج الدين .
فقيه شافعي ، له اهتمام بالاصول و علم الكلام و الفلسفة ، توفي سنة ٦٨٢ هـ .
و كتابه «اللباب» تلخيص لكتاب «الاربعين في اصول الدين» للفخر الرازي .
انظر كشف الظنون لحاجي خليفة (٦١/١) و معجم المؤلفين (١٥٥/١٢) .

الذى أخذه من كلام الرازى فى «المطالب العالية» فانه أجاب به وهوى
«المطالب العالية» يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين ، وهوى مسألة الحديث
والقدم حائر ، وهذا الجواب من أفسد الأجوبة .

فإنه يقال : ما للوجوب لحديث تلك التصورات دائما ، ثم ان النفس عندهم
لا بد ان تكون متصلة بالجسم ، فيمتنع وجود نفس بدون جسم .

وأيضا فالذى علم بالاضطرار من دين الرسل ان كل ما سوى الله مخلوق
محدث كائن بعد أن لم يكن .

وأيضا فما تثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية إنما يوجد فى الذهن لا فى
الخارج ، وأما أكثر المتكلمين فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل . وقد
بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع ، وبيّن أن ما تدعى الفلاسفة اثباته
من الجواهر العقلية التى هى العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها فى
الخارج ، وإنما هى أمور معقولة فى الذهن يجردها العقل من الامور المعينة كما
يجرد العقل الكليات المشتركة بين الاصناف : كالحيوانية الكلية ، والانسانية
الكلية ، والكليات إنما تكون كليات فى الأذهان لا فى الاعيان .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون فى الخارج كليات ، وان فى الخارج ماهيات
كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة ، وكذلك منهم من يثبت كليات
مجردة عن الاعيان يسمونها «المثل الافلاطونية» ، ومنهم من يثبت دهرًا مجردًا
عن المتحرك والحركة ، و يثبت خلافا مجردا ليس هو متحيزا ولا قائما بمتحيز .
و يثبت هيولى مجردة عن جميع الصور ، والهيولى فى لغتهم بمعنى المحل . يقال
الفضة هيولى الخاتم ، والدرهم؛ والخشب هيولى الكرسي . أى هذا المحل الذى
تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، و
يدعون أن للجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، و
هذا غلط . وإنما هذا يقدر فى النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد ، وعدد
مجرد عن كل معدود ، ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهذه كلها أمور مقدرة فى
الأذهان ، لا وجود لها فى الاعيان . وقد اعترف بذلك من عادته نصر الفلاسفة
من اهل النظر ، كما قد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

فالجواهر العقلية التي يشبها هؤلاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاءها في الخارج . وأما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلاسفة أتباع أرسطو ، ولا يذكرونها بنفى ولا اثبات ، كما لا يعرفون النبوات ، ولا يتكلمون عليها بنفى ولا اثبات ، إنما تكلم في ذلك متأخروهم كابن سينا ^(٢٤٨) وأمثاله ، الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة ، فلبسوا ودلسوا .

و كذلك «العلة الاولى» التي يشبونها لهذا العالم إنما أثبتوا علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، وتحريكها للفلك من جنس تحريك الامام المقتدى به للمؤمن المقتدى ، اذا كان يجب ان يتشبه بامامه و يقتدى بامامه ، و لفظ «الاله» في لغتهم يراد به المتبوع الامام الذي يتشبه به ، فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالاله ، و لهذا جعلوا «الفلسفة العليا» و «الحكمة الاولى» إنما هي التشبه بالاله على قدر الطاقة ، و كلام أرسطو في علم ما بعد الطبيعة في «مقالة اللام» التي هي منتهى فلسفته وفي غيرها كله يدور على هذا ، وتارة يشبه تحريكه للفلك بتحريك المعشوق للمعاشق، لكن التحريك هنا قد يكون لجة المعاشق ذات المعشوق ، او لغرض يناله منه ، و حركة الفلك عندهم ليست كذلك ، بل يتحرك ليتشبه بالعلة الاولى ، فهو يحبها أى يحب التشبه بها لا يجب ان يعيدها ، و لا يجب شيئا يحصل منها ، و يشبه ذلك أرسطو بحركة النواميس لإتباعها أى اتباع الناموس قائمون بما في الناموس ، و يقتدون به ، والناموس عندهم هي السياسية الكلية للمدائن التي وضعها لهم ذوو الرأى والعقل ، لمصلحة دنياهم ؛ لئلا يتظالموا و لا تفسد دنياهم .

و من عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الأنبياء من جنس نواميسهم ، و أن المقصود بها مصلحة الدنيا ؛ بوضع قانون عدلى ؛ ولهذا اوجب ابن سينا و أمثاله النبوة ، و جعلوا النبوة لا بد منها لأجل وضع هذا الناموس ، ولما كانت الحكمة العملية عندهم هي الخلقية ، و المنزلية ، و المدنية : جعلوا ما جاءت به الرسل من العبادات و الشرائع و الاحكام هي من جنس الحكمة الخلقية ،

(٢٤٨) ابو على ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا ، و يلقب بالشيخ الرئيس العلامة الشهير ،

مياحب التصانيف في الطب و الفلسفة و المنطق . توفي سنة ٤٢٨ هـ .

انظر ترجمته وفيات ابن خلكان (١٥٧/٢ - ١٦٢) الوافى (٣٩١/١٢ - ٤١٢) عيون الانبياء في طبقات الاطباء (٤٣٧ - ٤٥٩) السير (٥٣١/١٧ - ٥٣٦) .

والمنزلية ، والمدنية . فان القوم لا يعرفون الله ، بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير . وأرسطو المعلم الاول من اجهل الناس يهرب العالمين الى الغاية . لكن لهم معرفة جيدة بالامور الطبيعية ، وهذا بحر علمهم ، وله تفرغوا ، وفيه ضيعوا زمانهم ، وأما معرفة الله تعالى فحفظهم منها مبغوس جدا ، وأما ملائكته وانبيائه وكتبه ورسله والمعاد . فلا يعرفون ذلك ألبتة ، ولم يتكلموا فيه لا بنفى ولا اثبات ، وانما تكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل .

وأما قدماء اليونان فكانوا مشركين من اعظم الناس شركا وسحرا ، يعبدون الكواكب والأصنام ، ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب لأجل عبادتها . وكانوا يبنون لها الهياكل ، وكان آخر ملوكهم (بطليموس) صاحب «المجسطى» ولما دخلت الروم في النصرانية فجاء دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه ابطل ما كانوا عليه من الشرك .

ولهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع ديناً مركباً من دين الموحدين ودين المشركين ، فان اولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب ، و يصلون لها و يسجدون ، فجاء قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا الصلاة الى المشرق ، وجعلوا السجود الى الشمس بدلا عن السجود لها ، وكان اولئك يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل ، فجاءت النصارى وصورت تماثيل القديسين في الكنائس ، وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف بدل الصور المجسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل .

وارسطو كان وزير الاسكندر بن فيلبس المقدوني — نسبة الى مقدونية — وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين ، الذين يسمون المشائين ، وهي اليوم خراب أو غمرها الماء ، وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومى ، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة انه كان وزيراً لذي القرنين المذكور في القرآن ، ليعظم بذلك قدره ، وهذا جهل ؛ فان ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا ، وذوالقرنين بنى سد يأجوج و مأجوج ، وهذا المقدوني ذهب الى بلاد فارس ولم يصل الى بلاد الصين ، فضلا عن السد .

والملائكة التي اخبر الله ورسوله بها لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ليسوا عشرة ولا تسعة ، وهم عباد الله أحياء ناطقون ، ينزلون الى الارض ، و يصعدون الى السماء ،

ولا يفعلون الا بإذن ربهم ، كما اخبر الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا مَبْغَازَةً بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَتْلَمَّ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢٤٩)

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢٥٠) وأمثال هذه النصوص .

وهؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية ، وأن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك ، والعقل الاول هو رب السموات والارض وما بينهما ، و الملاحدة الذين دخلوا معهم من اتباع بنى عبید : كأصحاب رسائل اخوان الصفا ، وغيرهم ، وكلاحدة المتصوفة : مثل ابن عربي ، وابن سبعين ، وغيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع : «أول ما خلق الله العقل» . وفي كلام أبي حامد الغزالي في «الكتب المضمون بها على غير أهلها» وغير ذلك من معاني هؤلاء قطعة كبيرة ، و يعبر عن مذاهم بلفظ الملك والملكوت و الجبروت ، و مراده بذلك الجسم والنفس والعقل ، فيأخذ هؤلاء العبارات الاسلامية ، و يودعونها معاني هؤلاء ، وتلك العبارات مقبولة عند المسلمين ، فاذا سمعوا قبلوها ثم اذا عرفوا المعاني التي قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الاسلام ، وأن هذه معاني هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي

(٢٤٩) سورة الانبياء (٢٦/٢١) - (٢٨) .

(٢٥٠) سورة النجم (٢٦/٥٣) .

(٢٥١) اخوان الصفا : رجال لم يعرف لباؤهم بالتحديد تجمعا تحت هذا الاسم ، و كُونُوا جمعية سرية ذات طابع سياسي ديني ، و كان اعضاءها من الفرقة الاسماعيلية الباطنية .

(٢٥٢) راجع الفوائد المجموعة للشوكاني (ص ٥٧٨) .

(٢٥٣) محمد بن محمد بن محمد احمد ، الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام . صاحب التصانيف في الفقه ، و الاصول ، و التصوف والحكمة ، و قد انكر الملأ عليه اشياء ، اما كتاب المضمون به على غير اهله ، فقال الذهبي : معاذ الله ان يكون له ، توفي سنة ٥٠٥ هـ .

راجع وفيات ابن خلكان (٢١٦/٤ - ٢١٩) الوافي (٢٧٤/٨ - ٢٧٧) السير (٢٢٢/١٩ - ٢٤٦) و معجم المؤلفين (٣٦٦/١١ - ٣٦٩) .

عناها محمد رسول الله — ﷺ — واخوانه المرسلون : مثل موسى وعيسى —
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولهذا ضل كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس ، وعدم المعرفة بحقيقة
ما جاء به الرسول ، وما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من اهل العلم
والعبادة والتصوف ، ومن ليس له غرض في مخالفة محمد ﷺ ، بل يجب اتباعه
مطلقا ، ولو عرف ان هذا مخالف لما جاء به لم يقبله ، لكن لعدم كمال علمه
بمعاني ما أخبر به الرسول ومقاصد هؤلاء ، يقبل هذا . لا سيما اذا كان المتكلم
به ممن له نصيب وافر في العلم والكلام والتصوف والزهد والفقه والعبادة . و
رأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع
الظاهر ، وفوق مرتبة المحدث ، الذي غايته ان ينقل ألفاظا لا يعلم معانيها ،
وكذلك المقرئ والمفسر ، ورأى من يعظمه من اهل الكلام ، اما موافق لهم و
إما خائف منهم ، ورأى بحوث المتكلمين معهم في مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق
يبين فساد قولهم ، بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة ، وتارة
يخالفونهم في أمروالته الفلاسفة ويكون حقا ، مثل من يرى كثيرا من
المتكلمين يخالفهم في امور طبيعية ورياضية ظاننا أنه ينصر الشرع ، ويكون
الشرع موافقا لما علم بالعقل . مثل استدارة الافلاك ، فانه لم يعلم بين السلف
خلاف في أنها مستديرة والآثار بذلك معروفة ، والكتاب والسنة قد دلا على
ذلك ، وكذلك استحالة الأجسام بعضها الى بعض ، هو مما اتفق عليه الفقهاء ،
كما قال هؤلاء . الى امور آخر .

لكن كثير من المتكلمين او اكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة و
آثار الصحابة والتابعين لهم باحسان ؛ بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين ، بل
اجماع المسلمين ، ولا يكون قد قالها أحد من السلف : بل الشابت عن السلف
مخالف لها ، فلما وقع بين المتكلمين تقصير وجهل كثير بحقائق العلوم الشرعية ،
وهم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم ، وتارة يخالفونهم في
حقهم ، صارت المناظرات بينهم دولا . وان كان المتكلمون أصح مطلقا في
العقليات الالهية والكلية ، كما انهم أقرب الى الشرعيات من الفلاسفة ؛ فان
الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدا ، وفيه تخليط

كثير ، وانما يتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية ، وفي كلياتها ، فكلامهم فيها في الغالب جيد .

وأما الغيب الذى تخبر به الأنبياء ، والكليات العقلية التى تعم الموجودات كلها ، وتقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة فلا يعرفونها ألَبَتة ؛ فان هذا لا يكون الا بمن أحاط بأنواع الموجودات ، وهم لا يعرفون الا الحسيات وبعض لوازمها ، وهذا معرفة بقليل من الموجودات جدا ، فان مالا يشهده الآدميون من الموجودات، أعظم قدرا و صفة مما يشهدونه بكثير .

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا أخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكبرى والجنة والنار ، وهم يظنون أن لا موجود الا ما علموه هم والفلاسفة : يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه ، و ان كان هذا لادليل عليه ، وليس لهم بهذا النفى علم ؛ فان عدم العلم ليس علما بعدم لكن نفيم هذا كنفى الطبيب للجن ؛ لأنه ليس فى صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن ، والا فليس فى علم الطب ما ينفى وجود الجن ، وهكذا تجد من عرف نوعا من العلم و امتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجعله نافيا لما لم يعلمه ، و بنوا آدم ضلالم فيما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالم فيما أثبتوه و صدقوا به . قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ وهذا لان الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل ، فاذا أثبتوا شيئا و صدقوا به كان حقا .

ولهذا كان التواتر مقبولا من جميع أجناس بنى آدم ؛ لأنهم يخبرون عما شاهدوه و سمعوه ، وهذا أمر لا يشترك الخلق العظيم فى الغلط فيه ، ولا فى تعمد الكذب فيه ، فاذا علم انهم لم يتواطؤوا عليه ، ولم يأخذ به بعضهم عن بعض ، كما تؤخذ المذاهب والآراء التى يتلقاها المتأخر عن المتقدم ، وقد علم ان هذا مما لا يغلط فيه عادة علم قطعا صدقهم ، فان الخبر اما أن يتمد الكذب ، واما أن يغلط ، و كلاهما مأمون فى التواترات ، بخلاف ما نفوه و كذبوا به ، فان غالبهم او كثيرا منهم ينفون ما لا يعلمون ، و يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه .

فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة ، اذا سمعوه ما

أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسى قالوا : العرش هو الفلك التاسع ، و
الكرسى هو الثامن ، وقد تكلمنا على ذلك في «مسألة الاحاطة» و بينا جهل
من قال هذا عقلا و شرعا ، و اذا سمعهم يذكرون الملائكة ظن انهم العقول
والنفوس التى يثبتها المتفلسفة ، والقوى التى فى الاجسام ، و كذلك الجن
و الشياطين يظن أنها اعراض قائمة بالنفوس ، حيث كان هذا مبلغه من العلم ، و
كذلك يظن ما ذكره ابن سينا و أمثاله من ان الغرائب فى هذا العالم سببها
قوة فلكية ، او طبيعية أو نفسانية و يجعل معجزات الأنبياء من باب القوى
التفيسية ، و هى من جنس السحر ، لكن الساحر قصده الشر ، والنبي قصده
الخير ، و هذا كله من الجهل بالامور الكلية المحيطة بالموجودات و أنواعها ، و من
الجهل بما جاء به الرسول ، فلا يعرفون من العلوم الكلية و لالعلوم الالهية الا
ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون ، و زيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام ، او عن
أهل الملة .

فلهذا صار كلام المتأخرين كابن سينا و أمثاله فى الالهيات والكليات أجود
من كلام سلفه ، و لهذا قربت فلسفة اليونان الى أهل الاتحاد المبتدعة من أهل
الملل ، لما فيها من شوب الملة ، و لهذا دخل فيها بنو عبيد الملاحدة ، فأخذوا
عن هؤلاء الفلاسفة الصابئة المشركين العقل والنفس ، و عن المجوس النور
والظلمة ، و سموه هم السابق والتالى ، و كذلك الملاحدة المنتسبون الى التصوف و
التأله : كابن سبعين ، و أمثاله سلكوا مسلكا جمعوا فيه بزعمهم بين الشرع
و الفلسفة ، و هم ملاحدة ليسوا من الثنتين و السبعين فرقة ، و قد بسط الكلام
على هؤلاء و هؤلاء فى غير هذا الموضع .

و انما ذكروا هنا لأن أهل الكلام احدث صاروا — لعدم علمهم بما علمه
السلف و ائمة السنة من الكتاب والسنة و آثار الصحابة ، و لما وقعوا فيه من
الكلاميات الباطلة — يدخل بسببهم هؤلاء الفلاسفة فى الاسلام امورا باطلة ،
و يحصل بهم من الضلال و الغي ما لا يتسع هذا الموضع لذكره .

و لما أحدثت الجهمية محنتهم ، و دعوا الناس اليها و ضرب أحمد بن حنبل
فى سنة عشرين و مائتين ، كان مبدءا حدوث القرامطة الملاحدة الباطنية من
ذلك الزمان ، فصارت البدع باب الاتحاد ، كما ان المعاصى بريد الكفر ، و
لبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا : الكلام على لفظ التحيز والجهمة ، وهؤلاء المتكلمون المتفلسفة صار بينهم نزاع في الملائكة ، هل هي متحيزة أم لا ؟ فن مال الى الفلسفة ورأى ان الملائكة هي العقول والنفوس التي يشبتها الفلاسفة ، وان تلك ليست متحيزة ، قال: ان الملائكة ليست متحيزة ، لاسيما وطائفة من الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس ، كما هو المشهور عن المشائين ، بل قال : لا دليل على نفى الزيادة ، ورأى النبوت قد أخبرت بكثرة الملائكة ، فأراد أن يثبت كثرتهم بطريقة فلسفية ، كما فعل ذلك ابو البركات صاحب «المعتبر» والرازي في «المطالب العالية» وغيرها .

وأما المتكلمون فانهم يقولون : ان كل ممكن او كل محدث ، أو كل مخلوق ، فهو إما متحيز ، واما قائم بمتحيز ، وكثير منهم يقول : كل موجود اما متحيز ، واما قائم بمتحيز ، ويقولون : لا يعقل موجود الا كذلك ، كما قاله طوائف من اهل الكلام والنظر ، ثم المتفلسفة كابن سينا واتباعه ، والشهرستاني والرازي وغيرهم ، لما ارادوا اثبات موجود ليس كذلك ، كان اكبر عمدتهم اثبات الكليات كالانسانية المشتركة ، والحيوانية المشتركة ، واذا كانت هذه لا تكون كليات الا في الذهن ، فلم ينازعهم الناس في ذلك ، واذا نازعهم في اثبات موجود خارج الذهن قائم بنفسه ، لا يمكن الاحساس به بحال ، بل لا يكون الا معقولا .

وقالوا لهم : المعقول ما كان في العقل ، واما ما كان موجودا قائما بنفسه فلا بد ان يمكن الاحساس به ، وان لم نحس نحن به في الدنيا ، كما لا نحس بالجن والملائكة وغير ذلك ، فلا بد ان يحس به غيرنا كالملائكة والجن ، وان يحس به بعد الموت ، او في الدار الآخرة ، او يحس به بعض الناس دون بعض في الدنيا ، كالانبياء الذين رأوا الملائكة ، وسمعوا كلامهم .

وهذه الطريقة — وهوان كل قائم بنفسه يمكن رؤيته — هي التي سلكها ^(٣٥٤) أئمة النظر : كابن كلاب وغيره ، وسلكها ابن الزاغوني وغيره ، واما من

^(٣٥٤) ابو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر ، ابن الزاغوني . شيخ الحنابلة ، ذوالمنون ، صاحب التصانيف ، كان من مجرى العلم . قال الذهبي : رأيت لابي الحسن مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مأخذ والله ينفرد له ، فيألفه سكت !

انظر ترجمته في السير (٦٠٥/١٩ - ٦٠٧) الوافي (١١٢/١٢) شذرات (٨٠/٤ - ٨١) .

قال : ان كل موجود يجوز رؤيته أو يجوز ان يحس بسائر الحواس الخمس ، كما يقوله الاشعري و موافقوه كالتقاضى ابى يعلى ، و ابى المعالى وغيرهما ، فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء ، بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة ، بعد التصور التام كما بسط في موضعه .

و كذلك نزاعهم في روح الانسان التى تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون : هى عين قائمة بنفسها ، ليست عرضا من اعراض البدن كالحياة و غيرها ، و لاجزاء من اجزاء البدن كالهواء الخارج منه ، فان كثيرا من المتكلمين زعموا انها عرض قائم بالبدن ، او جزء من اجزاء البدن ، لكن هذا مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والخلف ، و لقول جماهير العقلاء من جميع الامم ، و مخالف للدلة العقلية .

و هذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من اهل الكلام . قال القاضى ابو بكر : اكثر المتكلمين على ان الروح عرض من الاعراض ، و بهذا تقول اذا لم يكن بالروح النفس ، فانه قال : الروح الكائن في الجسد ضربان :

احدهما : الحياة القائمة به ، و الآخر النفس ، و النفس ريح ينبث به ، و المراد بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من اجزاء الهواء المتحلل من السام ، و هذا قول الاسفرائينى و غيره .

(٣٥٥) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البفداى ، ابن الفراء .
شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف الفيدة في المذهب ، كان ذا عبادة و تهجد و ملازمة للتصنيف مع الجلالة و المجابة . توفى سنة ٤٥٨ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) طبقات الحنابلة (١٩٢/٢ - ٢٣٠) الوافى (٧/٢ - ٨) السير (٨٩/١٨) . (٩١)

(٣٥٦) هو القاضى ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصرى ، ابن الباقلانى .
صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل بفهمه و ذكائه ، له اهتمام بعلوم الكلام و الاصول ، صنف في الرد على الرافضة و المعتزلة و الخوارج و الكرامية ، و انتصر لمذهب الاشعري ، توفى سنة ٤٠٣ هـ .
ترجمته في تاريخ بغداد (٣٧٩/٥ - ٣٨٣) وفيات ابن خلكان (٢٦٧/٤ - ٢٧٠) الوافى (١٧٧/٢) السير (١٩٠/١٧) مجمع المؤلفين (١٠٩/١٠) .

(٣٥٧) الأستاذ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرائينى .
من فقهاء الشافعية ، و كبار ائمة الاصول ، أحد المجتهدين في عصره ، و صاحب المصنفات الباهرة . توفى سنة ٤١٨ هـ .
انظر وفيات ابن خلكان (٢٨/١) الوافى (١٠٤/٦) طبقات السبكي (٢٥٦/٦ - ٣١٢) السير (٣٥٢/١٧) (٣٥٦) .

وقال ابن فورك : هو ما يجرى في تجاويف الاعضاء ، و ابو المعالى خالف هؤلاء و أحسن في مخالفتهم فقال : ان الروح اجسام لطيفة مشابهة للاجسام المحسوسة ، أجرى الله المادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابهتها لها ، فخالها فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة .

- و مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان و سائر سلف الامة و ائمة السنة :
 ان الروح عين قائمة بنفسها ، تفارق البدن ، و تنعم و تعذب ، ليست هي البدن ، و لا جزءاً من اجزائه ، كالنفس المذكور . و لما كان الامام احمد من نص على ذلك ، كما نص عليه غيره من الائمة لم يختلف أصحابه في ذلك ؛ لكن طائفة منهم كالقاضي ابي يعلى زعموا انها جسم ، و انها الهواء المتردد في مخاريق البدن ؛ موافقة لاحد المعنيين الذين ذكرها ابن الباقلاني . و هذه الاقوال لما كانت من أضعف الاقوال تسلط بها عليهم خلق كثير .

والمقصود هنا ان الذين قالوا : انها عين قائمة بنفسها غير البدن و أجزائه و أعضاؤه تنازعوا : هل هي جسم متحيز ؟ على قولين ، كتنازعهم في الملائكة .

- فالمتكلمون منهم يقولون : جسم ، و المتفلسفة يقولون : جوهر عقلي ليس بجسم ، و قد أثرنا فيما تقدم الى أن ما تسميه المتفلسفة جواهر عقلية ، لا توجد الا في الذهن ، و أصل تسميتهم المجردات و المفارقات هو مأخوذ من نفس الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت . و تتجرد عنه سموها مفارقة مجردة ثم أثبتوا ما أثبتوه من العقول و النفوس و سموها مفارقات و مجردات ، بناء على ذلك ، و هم يريدون بالمفارق للمادة ما لا يكون جسماً و لا قائماً بجسم ، لكن النفس متعلقة بالجسم تعلق التدبير و العقل ، و لا تعلق له بالاجسام أصلاً ، و لا ريب ان جماهير العقلاء على اثبات الفرق بين البدن و الروح التي تفارق ، و الجمهور يسمون ذلك روحاً ، و هذا جسماً ، لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين ، بل الجسم هو الجسد كما تقدم ، و هو الجسم الغليظ او غلظه ، و الروح ليست مثل البدن في الغلظ و الكثافة ، و لذلك لا تسمى جسماً ، فن جعل الملائكة و الارواح و نحو ذلك ليست اجساماً بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك ، و رب العالمين اولى ان لا يكون جسماً ، فانه من المشهور في اللغة الفرق بين الارواح و الاجسام .

(و اما اهل الاصطلاح) من المتكلمين و المتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم أم من ذلك ، و هو ما أمكنت الاشارة الحسية اليه ، و ما قيل الله هنا و هناك ، و ما قبل الابعاد الثلاثة ، و نحو ذلك .

و كذلك التحيز في الاصطلاح هؤلاء هو الجسم ، و يدخل فيه الجوهر الفرد عند من اثبته ، و قد تقدم معنى الجسم في اللغة ، و أما التحيز فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمِيذْ دُبْرَةٍ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِقَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (٣٥٨)

و قال الجوهري : الحوز الجمع ، و كل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا ، و حيازة ، و احتازه ايضا ، و الحوز و الحيز : السوق اللين ، و قد حاز الابل يحوزها و يحيزها ، و حوز الابل ساقها الى الماء . ١٠

و قال الاصمعي : اذا كانت الابل بعيدة المرعى عن الماء فأول ليلة توجهها الى الماء ليلة الحوز ، و تحوزت الحية و تحيزت ، تلوت . يقال مالك تتحوز تحوز الحية ، و تتحيز تحيز الحية ، قال سيبويه هو تفعل من حزت الشيء قال القطامي : (٣٦٠)

١٥ تَحِيْزُ مَبْنِي خَشِيَةً أَنْ أَضَيَّفَهَا كَمَا نَحَازَتْ الْأَفْئَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ

يقول تتنحي عنى هذه العجوز و تتأخر خشية ان انزل عليها ضيفا . و الحيز ما انضم الى الدار من مرافقها ، و كل ناحية حيز ، و أصله من الواو . و الحيز تخفيف الحيز ، مثل حين و حين ، و لين و لين ، و الجمع أحياز ، و الحوزة الناحية ، و انحاز عنه : انعدل ، و انحاز القوم : تركوا مركزهم الى آخر ، يقال للاولياء انحازوا عن العدو ، و حاصوا ، و الاعداء انهزموا و ولوا مدبرين ، و تحاوز الفريقان في الحرب ، انحاز كل فريق عن الآخر . ٢٠

(٣٥٨) سورة الانفال (١٧٨) .

(٣٥٩) راجع اللسان «حوز» .

(٣٦٠) امه عمر بن شعيب من بني تغلب . كان شاعر الغزل ، حسن التشبيب . راجع الشعر و الشعراء (٤٨٣) و ورد فيه البيت و لكن الشطر الاول : فردت كلالا كارهها لم اعرضت و راجع اللسان «حوز» و فيه «حوز عنى» .

فهذا المذكور عن اهل اللغة في هذا اللفظ و مادته يقتضى ان التحيز
والانحياز والتحوز ونحو ذلك يتضمن عدولا من محل الى محل ، وهذا اخص
من كونه يحوزه أمر موجود ، فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة الى
جهة ؛ ولهذا يقولون : حزت المال ، وحزت الابل ، وذلك يتضمن نقله من
جهة الى جهة ، فالشيء المستقر في موضعه كالجبل والشس والقمر لا يسمونه
متحيزا ، و اعم من هذا ان يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود ، فيسمى كل ما
احاط به غيره انه متحيز ، وعلى هذا فما بين السماء والارض متحيز ؛ بل ما في
العالم متحيز إلا سطح العالم الذى لا يحيط به شيء ، فان ذلك ليس بمتحيز ، و
كذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار ، فانه ليس في عالم آخر احاط به ،
و المتكلمون يريدون بالمتحيز ما هو اعم من هذا ، و الحيز عندهم اعم من المكان ،
فالعالم كله في حيز ، وليس هو في مكان ، و المتحيز عندهم لا يعتبر فيه انه
يحوزه غيره ، و لا يكون له حيز وجودى ، بل كلما اشير اليه و امتاز منه شيء
عن شيء فهو متحيز عندهم .

ثم هم يختلفون بعد هذا في التحيز : هل هو مركب من الجواهر المنفردة ؟ !
او من المادة والصورة ؟ او هو غير مركب لا من هذا و لا من هذا ؟ كما تقدم
نزاعهم في الجسم ، فالجسم عندهم متحيز ، و لا يخرج عنه شيء الا الجوهر الفرد
عند من اثبته ، و هؤلاء يعتقد كثير منهم او اكثرهم ان كل متحيز فهو مركب
اى يقبل الانقسام الى جزء لا يتجزأ بل يظن بعضهم ان هذا اجماع المسلمين ، و
اكثرهم يقولون التحيزات متاثلة في الحد والحقيقة ، و من كان معنى التحيز عنده
هذا فعليه ان ينزه الله تعالى ان يكون متحيزا بهذا الاعتبار ، و اذا قال :
الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار ، او الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك
جمهور العقلاء من المسلمين وغيرهم ؛ بل لا يعرف احد من سلف الامة و اثمتها
يقول : ان الملائكة متحيزة بهذا الاعتبار ، و لا قالوا لفظا يدل على هذا المعنى ،
و كذلك روح بنى آدم التى تفارقه بالموت لم يقل احد من السلف انها متحيزة
بهذا الاعتبار ، و لا قال فيها لفظا يدل على هذا المعنى ، فاذا كان اثبات هذا
التحيز للملائكة و الروح بدعة في الشرع و باطلا في العقل ، فلأن يكون ذلك
بدعة و باطلا في رب العالمين بطريق الاولى و الأخرى .

ومن هنا يتبين ان عامة ما يقوله المتفلسفة وهؤلاء المتكلمة في نفوس بني آدم وفي الملائكة باطلة ، فكيف بما يقولونه في رب العالمين ولهذا توجد الكتب المصنفة التي يذكر فيها مقالات هؤلاء وهؤلاء في هذه المسائل الكبار في رب العالمين ، وفي ملائكته ، وفي ارواح بني آدم ، وفي المعاد ، وفي النبوات ليس فيها قول يطابق العقل والشرع ولا يعرفون ما قاله السلف والائمة في هذا الباب ، ولا ما دل عليه الكتاب والسنة .

فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة ، فانهم اذا انهبوا النظر لم يصلوا الى علم ؛ لان ما ينظروا فيه من كلام الطوائفتين مشتمل على باطل من الجانبين ، ولهذا قال ابو عبد الله الرازي في آخر عمره :

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيته تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ .^(٣٦١)

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .^(٣٦٢)

واقرا في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .^(٣٦٣)

﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .^(٣٦٤)

واما من اعتقد ان التحيز هو ما باين غيره فانحاز عنه ، وليس من شرطه ان يكون مركبا من الاجزاء المنفردة ، ولا انه يقبل التفريق والتقسيم ، فاذا قال ، ان الرب متحيز بهذا المعنى ، اى انه بائن عن مخلوقاته فقد اراد معنى صحيحا ؛ لكن اطلاق هذه العبارة بدعة ، وفيها تلبيس ، فان هذا الذي اراده ليس معنى التحيز في اللغة ، وهو اصطلاح له ولطائفته ، وفي المعنى المصطلح نزاع بين العقلاء ، فصار يحتمل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه ، وليس للانسان ان يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد ، و يفهم ذلك الغير ذلك الفاسد من غير بيان مراده ؛ بل هؤلاء المتكلمون الذين ارادوا بالمتحيز ما كان مؤلفا من اجزاء لا تقبل القسمة ، وهو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل

(٣٦١) سورة فاطر (١٠/٢٥) .

(٣٦٢) سورة طه (٥٠/٢٠) .

(٣٦٣) سورة الشورى (١١/٤٢) .

(٣٦٤) سورة طه (١١٠/٢٠) .

يمكن او كل محدث او كل مخلوق فهو : اما متحيز ، واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء يخالفونهم في هذا التقسيم ، ولم يكن احد من ائمة المسلمين لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، ولا سائر ائمة المسلمين ، وموافقا لهم على هذا التقسيم ، فكيف اذا قال من قال منهم : كل موجود فهو اما متحيز ، واما قائم بمتحيز ، و اراد بالمتحيز ما اراده هؤلاء ، فان قوله حينئذ ٥ يكون ابعد عن الشرع والعقل من قول اولئك ، ولهذا طالبهم متأخروهم بالدليل على هذا الحصر ، وليس خطأ هؤلاء من جهة ما اثبته المتفلسفة من الجواهر العقلية ، فان تلك قد علم بطلانها بصريح العقل ايضا .

وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من انها لا يشار اليها ولا توصف بحركة ولا سكون ، ولا صعود ولا نزول ، وليست داخل العالم ولا خارجة ، هو ايضا كلام ابطال من كلام اولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء ، ولا سيما من يقول منهم — كابن سينا وامثاله — انها لاتعرف شيئا من الامور الجزئية ، وانما تعرف الامور الكلية ؛ فان هذا مكابرة ظاهرة ، فانها تعرف بدنها ، وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه وتقصده ، وتامر به وتحبه وتكرهه ، الى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها وعملها ، فكيف يقال انها لا تعرف الامور المعينة . وانما تعرف امورا كلية ؟!

وكذلك قولهم ان تعلقها بالبدن ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصرف ، كتدبير الملك لمملكته من افسد الكلام ، فان الملك يدبر أمر مملكته فيأمر وينهى ، ولكن لا يفهم هو بمشيئته وقدرته ان لم يتحركوا هم بارادتهم وقدرتهم ، والملك لا يلتذ بلذة أحدم ، ولا يتألم بتأله ، وليس كذلك الروح ١٠ والبدن ، بل قد جعل الله بينها من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ، ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلا لدخول شيء من الاجسام المشهودة ، فليس دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من المائعات في الاوعية ، فان هذه انما تلاقي السطح الداخل من الاوعية ، لا بطونها ولا ظهورها . وانما يلاقى الاوعية منها اطرافها دون اوساطها ، وليس كذلك الروح والبدن ؛ بل ١٥ الروح متعلقة بجميع اجزاء البدن باطنه وظاهره ، وكذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الأكل ، فان ذلك له مجاز معروفة ، وهو

مستحيل . — الى غير ذلك من صفاته — ولا جريانها في البدن كجريان الدم ، فان الدم يكون في بعض البدن دون بعض .

ففي الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل شيء منه متعلقا بالآخر ؛ بخلاف الروح والبدن ، لكن هي مع هذا في البدن قد ولجت فيه ، وتخرج منه وقت الموت ، وتسلم منه شيئا فشيئا فتخرج من البدن شيئا فشيئا لا تفارقه كما يفارق الملك مدينته التي يدبرها ، والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير عن حقيقتها ، وهذا تنبيه لهم على ان رب العالمين لم يعرفوا حقيقته ، ولا تصوروا كيفيته سبحانه وتعالى ، وان ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله ، فان الروح التي هي بعض عبيده توصف بانها تخرج اذا نام الانسان ، وتسجد تحت العرش ، وهي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية ، والانسان في نومه يحس بتصرفات روحه تصرفات تؤثر في بدنه ، فهذا الصعود الذي توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات ، فانها اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية ، وحركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى مكان ، وحركة الروح بعروجها وسجودها ليس كذلك .

فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله ﷺ بانه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، وانه كلم موسى في الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ، وانه استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين : لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة ، حتى يقال ذلك يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر ، فان نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين ؟! وكذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس .

فلا يجوز نفى ما اثبتته الله ورسوله من الاسماء والصفات ، ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات ، لا سيما ما لا نشاهده من المخلوقات فان ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الاسماء والصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها ، فكيف برب العالمين الذي هو ابعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟! وكل مخلوق فهو اشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

و هذا الذي نبهنا عليه مما يظهر به ان ما يذكره صاحب «المحصل» وأمثاله من تقسيم الموجودات على رأى المتفلسفة و المتكلمة كله تقسيم غير حاصر ، و كل من الفريقين مقصر عن سلفه . اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم المسلك الذى دل عليه الكتاب والسنة ، و كان عليه سلف الامة ، و كذلك هؤلاء المتفلسفة اتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين ، فان اولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم ، و كانوا يقولون : ان فوق هذا العالم عالما آخر يصفونه ببعض ما وصف النبي ﷺ به الجنة ، و كانوا يثبتون معاد الأبدان ، كما يوجد هذا فى كلام سقراط و تاليس و غيرها من اساطين الفلاسفة ، و قد ذكروا ان اول من قال منهم بقدم العالم ارسطو .

☆☆☆

فصل

و هذه الالفاظ المحدثه المجهلة النافية مثل لفظ «المركب» و «المؤلف» و «المنقسم» و نحو ذلك ، قد صار كل من اراد نفى شيء مما أثبتته الله لنفسه من الاسماء والصفات عبر بها عن مقصوده ، فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذى ورد به القرآن ، و هو اثبات أحديته و صمديته ، و يكون قد ادخل فى تلك الالفاظ ما رآه هو منغيا و عبر عنه بتلك العبارة وضعا له و اصطلاحا اصطلاح عليه هو و من وافقه على ذلك المذهب ، و ليس ذلك من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، و لا من لغة احد من الامم ، ثم يجعل ذلك المعنى هوسمى الاحد والصد والواحد ، و نحو ذلك من الاسماء الموجودة فى الكتاب و السنة ، و يجعل ما نفاه من المعانى التى اثبتها الله و رسوله من تمام التوحيد .

و اسم «التوحيد» اسم معظم جاءت به الرسل . و نزلت به الكتب فاذا جعل تلك المعانى التى نفاهها من التوحيد ، ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول ﷺ انه يقول بالتوحيد الذى جاءت به الرسل ، و يسمى طائفته الموحدين ، كما يفعل ذلك الجهمية و المعتزلة و من وافقهم على نفى شيء من الصفات ، و يسمون ذلك توحيدا . و طائفتهم الموحدين و يسمون علمهم علم التوحيد ، كما تسمى المعتزلة و من وافقهم نفى القدر عدلا ، و يسمون انفسهم العدلية ، و اهل العدل .

ومثل هذه البدع كثير جدا يعبر بالفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما اراده الله ورسوله بتلك الالفاظ ، ولا يكون أصحاب تلك الاقوال تلقوها ابتداء عن الله عزوجل ، ورسوله ﷺ ، بل عن شبه حصلت لهم ، وائمة لهم ، وجعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب والسنة حجة لهم ، وعمدة لهم ، ليظهر بذلك انهم متابعون للرسول الله ﷺ لا مخالفون له ، وكثير منهم لا يعرفون ان ما ذكروه مخالف للرسول الله ﷺ ؛ بل يظن ان هذا المعنى الذى اراده هو المعنى الذى اراده الرسول ﷺ واصحابه فلهذا يحتاج المسلمون الى شيئين :

أحدهما : معرفة ما اراد الله ورسوله ﷺ بالفاظ الكتاب والسنة ، بان يعرفوا لغة القرآن التى بها نزل ، وما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان ، و سائر علماء المسلمين فى معانى تلك الالفاظ ، فان الرسول لما خاطبهم بالكتاب و السنة عرفهم ما اراد بتلك الالفاظ ، وكانت معرفة الصحابة لمعانى القرآن أكمل من حفظهم لحروفه ، وقد بلغوا تلك المعانى الى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ، فان المعانى العامة التى يحتاج اليها عموم المسلمين ، مثل معنى التوحيد ، ومعنى الواحد ، والاحد ، والايمان ، والاسلام ، ونحو ذلك ، كان جميع الصحابة يعرفون ما احب الله ورسوله ﷺ من معرفته ولا يحفظ القرآن كله الا القليل منهم ، وان كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم اهل التواتر ، والقرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد ، وواحد ، ومن ذكر ان الحكم واحد ، ومن ذكر انه لا اله الا الله ، ونحو ذلك .

فلا بد ان يكون الصحابة يعرفون ذلك ، فان معرفته اصل الدين وهو اول ما دعا الرسول ﷺ اليه الخلق ، وهو اول ما يقاتلهم عليه ، وهو اول ما امر رسله ان يأمروا الناس به ، وقد تواتر عنه انه اول ما دعا الخلق الى ان يقولوا لا اله الا الله ، ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال : «أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله» .

وفي الصحيحين انه لما بعث معاذ الى الين قال له : «انك تاتى قوما

(٣٦٥) أخرجه البخارى ومسلم وأخرجه البيهقى فى شعب الايمان (٤) وانظر تحريمه فيه .

(٣٦٦) من حديث ابن عباس أخرجه البخارى فى الزكاة (١٣٥/٢ - ١٣٦) وفى المغازى (١٠٩/٥) وفى التوحيد (١٦٤/٨) ومسلم فى الايمان (٥٠/١) .

من اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوم اليه شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاعلمهم ان الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فاعلمهم ان الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فتد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فايك وكرام اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب» .

فقال لمعاد : ليكن اول ما تدعوم اليه التوحيد ، ومع هذا كانوا من اهل الكتاب ، كانوا يهودا ، فان اليهود كانوا كثيرين بأرض الين ، وهذا الذي امر به معاذ موافق لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاصْطَبُوا وَاقْتُلُوا نَهُمْ كُلَّ مَرَصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (٣٧) وفي الآية الاخرى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (٣٨)

وهذا مطابق لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٣٩)

وفي الصحيحين عنه (٣٧٠) انه ﷺ قال : «الايان بضع وستون ، او بضع و سبعون شعبة ، افضلها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان» .

(فالمقصود) ان معرفة ما جاء به الرسول و ما اراده بالفاظ القرآن و الحديث هو اصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ، ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها .

و اخرج ايضا أبو داود (٢٤٢/٢) والترمذي (٢١/٢) والنسائي (٥٥/٥) وابن ماجه (٥٦٨/١) رقم (١٧٨٣) والدارمي (ص ٣٧٩) و احمد (٢٣٢/١) .

(٣٧) سورة التوبة (٥/٩) .

(٣٨) سورة التوبة (١١/٩) .

(٣٩) سورة البينة (٥/٩٨) .

(٣٧٠) و اخرج البيهقي في شئب الايمان (رقم ١) وانظر الكلام عليه و ترجمه هناك .

والالفاظ نوعان :نوع يوجد في كلام الله و رسوله ، ونوع لا يوجد في كلام الله و رسوله . فيعرف معنى الاول ، و يجعل ذلك المعنى هو الاصل ، و يعرف ما يعنيه الناس بالثاني ، و يرد الى الاول . هذا طريق اهل الهدى والسنة ، و طريق اهل الضلال والبدع بالعكس ، يجعلون الالفاظ التي احدثوها ومعانيها هي الاصل ، و يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعاً لهم ، فيردونها بالتاويل والتحريف الى معانيهم ، و يقولون : نحن نفسير القرآن بالعقل واللغة ، يضمنون انهم يعتقدون معنى بعقلهم و رأيهم ، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التاويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ، و لهذا قال الامام أحمد : أكثر ما يخطئ الناس من جهة التاويل والقياس .

و قال : يجتنب المتكلم في الفقه هذين الاصلين المجمل والقياس ، و هذه الطريق يشترك فيها جميع اهل البدع الكبار والصغار ، فهي طريقة الجهمية والمعتزلة و من دخل في التاويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة .

و أما حذاق الفلاسفة فيقولون : ان المراد بخطاب الرسول ﷺ انما هو ان يخيل الى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم ، و ان لم يكن ذلك مطابقاً للحق ، قالوا : و ليس مقصود الرسول ﷺ بيان الحق و تعريفه ، بل مقصوده ان يخيل اليهم ما يعتقدونه . و يجعلون خاصة النبوة قوة التخيل . فهم يقولون : ان الرسول ﷺ لم يبين ، و لم يفهم ؛ بل و لم يقصد ذلك ، و هم متنازعون هل كان يعلم الامور على ما هي عليه ؟ على قولين :

منهم من قال : كان يعلمها ؛ لكن ما كان يمكنه بيانها . و هؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف .

و منهم من يقول : بل ما كان يعرفها ، او ما كان حاذقاً في معرفتها ، و انما كان يعرف الامور العملية و هؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي ﷺ ؛ لان الامور العملية أكمل من العملية ، فهؤلاء يجعلون خبر الله و خبر الرسول ﷺ انما فيه التخيل ، و اولئك يقولون لم يقصد به التخيل ، ولكن قصد معنى يعرف بالتأويل ، و كثير من اهل الكلام الجهمية يوافق اولئك على انه ما كان يمكنه ان يوضح بالحق في باب التوحيد ، فخاطب الجمهور بما يخيل لهم ، كما

يقولون : انه لو قال : ان ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا يشار اليه ، ولا هو فوق العالم ، ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه ، وقالوا هذا لا يعرف ، قالوا فخطبهم بالتجسيم ، حتى ثبت لهم ربا يعبدونه ، وان كان يعرف ان التجسيم باطل ، وهذا يقوله طوائف من اعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا ان مذهب النفاة هو الصحيح ، واحتاجوا ان يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ من الاثبات ، كما يوجد في كلام غير واحد .

وتارة يقولون : انما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ، ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ، و يجتهدوا في تأويل ألفاظه ، فتعظم أجورهم على ذلك ، وهو اجتهادهم في عقلياتهم ، وتاويلاتهم ، ولا يقولون انه قصد به افهام العامة الباطل ، كما يقول أولئك المتفلسفة . وهذا قول اكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ، ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل و أمثاله . و ابو حامد ، وابن رشد الحفيد وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الاول . و ابو حامد انما ذم التأويل في آخر عمره ، وصف «الجام العوام عن علم الكلام» ، محافظة على هذا الاصل ، لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم الا بابقاء الظواهر على ما هي عليه ، وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه «المضنون بها» ان النفي هو الثابت في نفس الامر .

فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى ، كما وصف الله به كتابه و نبيه حيث قال : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٣٧٢) .
وقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾^(٣٧٣) .
وقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣٧٤) .

(٣٧١) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي ، الظمري .
شيخ الحنابلة ، العلامة ، المتكلم ، صاحب التصانيف ، قال الذهبي : كان بحر معارف ، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته ، و علق كتاب «الفنون» و هو ازيد من اربعمائة مجلد ، حشد فيه كل ما جرى له و رآه و سمعه ، توفي سنة ٤١٣ هـ .
راجع طبقات الحنابلة (٢٥٩/٢) المنتظم (٢١٢/٩) لسان الميزان (٢٤٣/٤ - ٢٤٤) السير (٤٤٣/١٩ - ٤٥١) شذرات (٤٠ - ٣٥/٤) .

(٣٧٢) سورة البقرة (٢/٢) .

(٣٧٣) سورة آل عمران (١٣٨/٣) .

(٣٧٤) سورة يوسف (٢/١٢) .

وقال : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٧٥)
وقال . ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ﴾ (٣٧٦)
وامثال ذلك .

وقال النبي ﷺ (تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
بعدي الا هالك) .

وقال تعالى : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٣٧٨)
وقال : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٧٩)
وقال : ﴿مَا كُنْتُ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا
نَهْدِي بِهِ مَنِ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٨٠)
وقال : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَغَرَّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨١)

وتم طائفة ثالثة كثرت في المتأخرين المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن
ان الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما انزل عليه من القران كآيات الصفات :
بل لازم قولهم ايضا انه كان يتكلم بأحاديث الصفات ، ولا يعرف معانيها .

وهؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين

(٣٧٥) سورة النور (٢٤/٢٤) والعنكبوت (١٨/٢٩) .

(٣٧٦) سورة ابراهيم (١٦/١٤) .

(٣٧٧) أخرجه احمد في مسنده (١٢٦/٤) وابن ماجة في المقدمة (١٦/١) رقم (٤٢) والحاكم في المستدرک (١٦/١) و راجع
الصحيحة للالباني (رقم ٩٣٧) .

(٣٧٨) سورة الانعام (١٥٤/٦) .

(٣٧٩) سورة المائدة (١٥/٥ - ١٦) .

(٣٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٣٨١) سورة الاعراف (١٥٧/٧) .

لهم باحسان ان الوقف التام عند قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢٨٢) وافقوا السلف ، وأحسنوا في هذه الموافقة ؛ لكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو معنى اللفظ وتفسيره ، او هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والاصول ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقتزن به ، فهم قد سمعوا كلام هؤلاء وهؤلاء ، فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه .

ولما سمعوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ظنوا ان لفظ التأويل في القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل في كلام هؤلاء ، فلزم من ذلك انه لا يعلم احد معنى النصوص الا الله ، لا جبريل ولا محمد ولا غيرها ؛ بل كل من الرسولين على قولهم يتلوا أشرف ما في القرآن من الاخبار عن الله بأسمائه وصفاته ، وهو لا يعرف معنى ذلك أصلا ، ثم كثير منهم يذمون و يبطلون تاويلات اهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرها ، وهذا جيد ؛ لكن قد يقولون تجرى على ظواهرها ، وما يعلم تأويلها الا الله ، فان عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعاني ، كان هذا مناقضا لقولهم إن لها تأويلا يخالف ظاهرها لا يعلمه الا الله ، وان عنوا بظواهرها مجرد الألفاظ : كان معنى كلامهم انه يتكلم بهذه الألفاظ ، ولها باطن يخالف ما ظهر منها ، وهو التأويل ، وذلك لا يعلمه الا الله .

وفيه من يريد باجرائها على ظواهرها هذا المعنى ، وفيهم من يريد الاول ، وعامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث ، وقد يريدون به الثاني ، فانه أحيانا قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ، وتبين من هذا (انه) ليس من التأويل الثالث ، فيأبون ذلك و يكرهون تدبر النصوص والنظر في معانيها أعنى النصوص التي يقولون إنه لم يعلم تأويلها الا الله .

ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم ، فان كانوا من القدرية قالوا النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا محكمة ، والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو مريدا لكل ما وقع نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا

الله ، اذا كانوا ممن لا يتأولها ، فان عامة الطوائف منهم من يتأول ما يخالف قوله ، ومنهم من لا يتأوله .

وان كانوا من الصفاتية المثبتين للصفات التي زعموا انهم يعلمونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخري الكلالية ، كأبي المعالي في آخر عمره ، و ابن عقيل في كثير من كلامه ، قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندم بالعقل : هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله . وكثير منهم يكون له قولان وحالات : تارة يتأول و يوجب التأويل او يجوزها ، وتارة يجرمها ، كما يوجد لأبي المعالي ولابن عقيل ولأمثالها من اختلاف الاقوال .

ومن أثبت العلو بالعقل ، وجعله من الصفات العقلية : كأبي محمد ابن كلاب ، وأبي الحسن بن الزاغوني ، ومن وافقه ، وكالقاضي أبي يعلى في آخر قوليه ، وأبي محمد : أثبتوا العلو ، وجعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون لا يعلم معناها الا الله ، وان كانوا ممن يرى أن الفوقية والعلو أيضا من الصفات الخبرية ، كقول القاضي أبي بكر ، وأكثر الاشعرية ، وقول القاضي أبي يعلى في اول قوليه ، وابن عقيل في كثير من كلامه ، وأبي بكر البيهقي^(٢٨٢) ، وأبي المعالي وغيرهم ومن سلك مسلك اولئك . وهذه الامور مبسطة في موضعها .

(والمقصود هنا) ان كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن ، يجعلون تلك النصوص من المتشابهة ، ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله : وما يعلم تأويله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قالوا لا يعلم معناها الا الله ، فيلزم ان لا يكون محمد وجبريل ولا احد علم معاني تلك الآيات والاخبار ، وان رأوا أن الوقف على قوله : (والراسخون في العلم) . جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ، و يقولون إن الرسول ﷺ انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بقولهم وأذهانهم . و يجتهدون في تخريج ألفاظه على اللغات العربية ، فيجتهدون في معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون

(٢٨٢)

هو الامام العلامة ابو بكر احمد بن الحسين بن علي ، البيهقي .

شيخ الشافعية في عصره ، ترك مصنفات جيدة في الحديث ، و الفقه ، والاصول . وانتصر لمذهب الشافعي .

توفي سنة ٤٥٨هـ .

ترجمته في وفيات ابن خلكان (٢٥٨/١) التذكرة (١١٣٢/٣) السير (١٦٢/١٨ - ١٧٠) الوافي (٣٥٤/٦) طبعات

الشافعية (٢٨٢) .

بها من التأويل ، وهذا ان قالوا انه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا في نفس الأمر . وان قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل ، قالوا : لم يقصد بهذه الألفاظ الا ما يفهمه العامة والجمهور ، وهو باطل في نفس الأمر ، لكن اراد أن يخيل لهم ما ينتفعون به ، ولم يمكنه ان يعرفهم الحق ، فانهم كانوا يتفرون عنه ولا يقبلونه ، وأما من قال من الباطنية الملاحدة وفلاسفهم بالتأويل ، فانه يتأول كل شيء مما أخبر به الرسل ، من أمر الايمان بالله واليوم الآخر ثم يؤولون العبارات كما هو معروف من تأويلات القرامطة الباطنية .

و ابو حامد في « الاحياء »^(٢٨٤) ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة وقال انهم أسرفوا في التأويل ، وأسرفت الحنابلة في الجمود ، وذكر عن احمد بن حنبل كلاما لم يقله أحد ، فانه لم يكن يعرف ما قاله أحد ، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ، ولا ما جاء به القرآن والحديث ، وقد سمع مضافا الى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ، ومن غيرهم من المالكية والشافعية ، وغيرهم في الحرف والصوت ، وبعض الصفات : مثل قولهم : إن الاصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية ، وإن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا و يخلو منه العرش ، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه ، وبعضها تحته ، الى غير ذلك من المنكرات . فانه مامن طائفة الا وفي بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها الفساد ، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ، و يشنع بها عليهم ، وان كان اكثرهم ينكرها و يدفعها ، كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحد ومالك والشافعي ، فان جماهير هذه الطوائف ينكرها ، و احمد و جمهور أصحابه منكرون لها.

و كلامهم في انكارها و ردها كثيرا جدا ، لكن يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الاثبات اكثر مما يوجد في أهل الكلام ، و يوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي اكثر مما يوجد في أهل الحديث ؛ لأن الحديث انما جاء باثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي

(٢٨٤) انظر كتاب قواعد العقائد من احياء العلوم الدين (٨٧/١ - ١٢٣) و بخاصة الفصل الثاني و الفصل الثالث .

نفرد به أهل الكلام ، والكلام المأخوذ عن الجهمية والمعتزلة مبنى على النفي المتناقض لصرائح القرآن والحديث ؛ بل والعقل الصريح أيضا ؛ لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي ، وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام ، و زادوا في الاثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم ، لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر .

- والمنتسبون الى السنة من الحنابلة وغيرهم ، الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين ، يتسكون بما يحدونه في كلام الأئمة في التشابه مثل قول احمد في رواية حنبل : « ولا كيف ولا معنى » . ظنوا أن مراده انا لا نعرف معناها . وكلام احمد صريح بخلاف هذا في غير موضع ، وقد بين انه انما ينكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله ، وصنف كتابه في « الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن وتأويله على غير تأويله » فانكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ورسوله ، وهم اذا تأولوه يقولون : معنى هذه الآية كذا ، والمكيّفون يثبتون كيفيته . يقولون : انهم علموا كيفية ما أخبر به من صفات الرب . فنفي أحد قول هؤلاء ، وقول هؤلاء : قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية ، وقول المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، و يقولون معناه كذا وكذا .

- وقد كتبت كلام أحد بألفاظه — كما ذكره الخلال^(٢٨٥) في كتاب السنة ، وكما ذكره من نقل كلام أحد باسناده في الكتب المصنفة في ذلك — في غير هذا الموضع . وبين أن لفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن ، كقوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَعَلَّ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾^(٢٨٦)

(٢٨٥)

أبو بكر احمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي ، الخلال .

شيخ الحنابلة ، جمع علوم احمد وتطبيقاتها ، وسافر لأجلها وكتبها وصنّفها كتباً . توفي ٣١١ هـ راجع تاريخ بغداد (١١٢/٥ - ١١٣) طبقات الحنابلة (١٢/٢ - ١٥) السير (٢٩٧/١٤) الوافي (٢٩٨/٨) التذكرة (٧٨٥/٢) .

(٢٨٦)

سورة الاعراف (٥٢/٧) .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ تصديق ما وعد في القرآن . (٢٨٧)

وعن قتادة : تأويله : ثوابه . (٢٨٨)

وعن مجاهد : جزاءه . (٢٨٩)

وعن السدي : عاقبته . (٢٩٠)

وعن ابن زيد : حقيقته . قال بعضهم تأويله ما يؤول إليه أمرهم من العذاب و ورود النار . (٢٩١)

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ قال بعضهم تصديق ما وعدوا به من الوعيد ؛ والتأويل (٢٩٢) ما يؤول إليه الأمر ، وعن الضحاك يعني عاقبة ما وعد الله في القرآن انه كائن من الوعيد ، والتأويل ما يؤول إليه الأمر .

وقال الثعلبي : تفسيره . وليس بشيء . وقال الزجاج : لم يكن معهم علم تأويله . وقال يوسف الصديق عليه السلام : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ فجعل نفس سجود أبيه له تأويل رؤياه . (٢٩٣)

وقال قبل هذا ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ (٢٩٤)

أى قبل أن يأتياكما التأويل . والمعنى لا يأتياكما طعام ترزقانه في المنام لما قال أحدهما : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا ﴾ . ﴿ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ ﴾ في الیقظة ﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ الطعام . هذا قول اكثر المفسرين ، وهو الصواب . (٢٩٥)

(٢٨٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢١٠/٣) . (٢٨٨) أخرجه الطبري (٢٠٢/٨) .

(٢٨٩) أخرجه الطبري (٢٠٢/٨) . (٢٩٠) أخرجه الطبري (٢٠٤/٨) .

(٢٩١) أخرجه الطبري . (٢٩٢) سورة يونس (٣٦/١٠) .

(٢٩٣) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٣/٤) . (٢٩٤) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٢٩٥) سورة يوسف (٣٧/١٢) . (٢٩٦) سورة يوسف (١٠٧/١٢) .

(٢٩٧) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٢٤/٤) والقرطبي (١٩١/٩) .

وقال بعضهم لا ياتيكا طعام ترزقانه تطعمانه . و تاكلانه ، إلا نباتكما
بتأويله بتفسيره ، وألوانه ، أى طعام أكلتم ، وكم أكلتم ، ومتى أكلتم ؟ فقالوا :
هذا فعل العرافين والكهنة . فقال ما انا بكاهن ، وانما ذلك العلم مما يعلمنى
ربى ، وهذا القول ليس بشيء فانه قال : ﴿ إِنْ نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ وقد
قال أحدهما : ﴿ إِنِّى أَرَأِىٓ أَغْمَرُ خَمْرًا وَ قَالِ الْآخَرُ إِنِّى أَرَأِىٓ أَحْمِلُ
فَوْقَ رَأْسِى خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ .
فطلبنا منه تأويل ما رآياه ، وأخبرها بتأويل ذاك ، ولم يكن تأويل
الطعام فى اليقظة ، ولا فى القرآن انه أخبرها بما يرزقانه فى اليقظة ، فكيف
يقول قولاً عاماً : ﴿ لَا يَأْتِيَنَّكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِي ﴾ وهذا الاخبار العام
لا يقدر عليه الا الله ، والأنبياء يخبرون ببعض ذلك . لا يخبرون بكل هذا .

وأيضاً فصفة الطعام وقدره ليس تأويلاً له .

وأيضاً فالله انما أخبر أنه علمه تأويل الرؤيا ، قال يعقوب عليه السلام :
﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِّنْ تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ ﴾ ^(٣٩٨)
وقال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ
عَلَّمْتَنِى مِمَّا تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ ﴾ ^(٣٩٩)
وقال : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٤٠٠)
ولما رأى الملك الرؤيا قال له الذى اذكر بعد أمة : ﴿ أَنَا أَنَبْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴾ ^(٤٠١)
والملك قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا
تَعْبِرُونَ ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ^(٤٠٢)
فهذا لفظ التأويل فى مواضع متعددة كلها بمعنى واحد .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٤٠٣)

(٣٩٨) سورة يوسف (٦/١٢) .

(٣٩٩) سورة يوسف (٦/١٢) .

(٤٠١) سورة يوسف (٦/١٢) .

(٤٠٢) سورة يوسف (٦/١٢) .

(٤٠٣) سورة النساء (٥٧/٤) .

(٤٠٤) سورة يوسف (٦/١٢ - ٤٤) .

قال مجاهد^(١٠٤) وقادة : جزاء وثوابا ، وقال السدى وابن زيد وابن قتيبة والزجاج : عاقبة . وعن ابن زيد أيضا : تصديقا . كقوله : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ وكل هذه الأقوال صحيحة . وللمعنى واحد ، وهذا تفسير السلف أجمعين .

ومنه قوله : ﴿ سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^(١٠٥) فلما ذكر له ما ذكر قال : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^(١٠٦) وهذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤول إليه ما فعلته ، من مصلحة أهل السفينة ، و مصلحة أبوي الغلام و مصلحة أهل الجدار .

وأما قول بعضهم : ردكم الى الله والرسول أحسن من تأويلكم ، فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم ، وهذا من جنس ما ذكر في تلك الآية في لفظ التأويل ، وهو تفسير له بالاصطلاح الحادث ، لا بلفظ القرآن ، فأما قدماء المفسرين فلفظ التأويل والتفسير عندهم سواء^(١٠٧) ، كما يقول ابن جرير : القول في تأويل هذه الآية . أى في تفسيرها .

ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد ، وهو امام التفسير جمل الوقف على قوله : (والراسخون في العلم) . فان الراسخين في العلم يعملون تفسيره ، وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة . وكان ابن قتيبة يميل الى مذهب احمد واسحاق ، وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في « المشكل » وغيره .

وأما متأخروا المفسرين كالثعلبي فيفرقون بين التفسير والتأويل . قال : فعنى التفسير هو التنوير ، وكشف المغلق من المراد بلفظه ، والتأويل : صرف

(١٠٤) راجع هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٥٧/٥ - ١٥٢) والدر المنثور (٥٧٧/٢) وتفسير ابن الجوزي (١١٧/٢) . (١١٨)

(١٠٥) سورة الكهف (٧٨/١٨) .

(١٠٦) سورة الكهف (٨٢/١٨) .

(١٠٧) راجع التفسير والمفسرون (١٩٧/١ - ٣٢) للفرق بين معاني التفسير والتأويل . وانظر الاثنان (١٧٣/٢) .

(١٠٨) نقله البغوي وعنه أحد الخازن في تفسيره (١٤/١) .

الآية الى معنى تحتله يوافق ما قبلها وما بعدها ، وتكلم في الفرق بينها بكلام ليس هذا موضعه ، الا أن التاويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر ، وأبو الفرج ابن الجوزي يقول : اختلف العلماء هل التفسير والتاويل بمعنى واحد ؟ أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون الى العربية : الى انها بمعنى ، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين ،

و ذهب قوم يميلون الى الفقه : الى اختلافها ، فقالوا : التفسير اخراج الشيء عن مقام الخفاء الى مقام التجلي ، والتاويل : نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ، فهو ماخوذ من قولك آل الشيء الى كذا ، أى صار إليه ^(٤٠٩) .

فهؤلاء لا يذكرون للتاويل الا المعنى الاول ، والثاني ، وأما التاويل في لغة القرآن فلا يذكرونه ، وقد عرف ان التاويل في القرآن هو الموجود الذى يؤول اليه الكلام ، وان كان ذلك موافقا للمعنى الذى يظهر من اللفظ ، بل لا يعرف في القرآن لفظ التاويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ ، خلاف اصطلاح المتأخرين .

والكلام نوعان : انشاء ، و اخبار . فالانشاء الأمر والنهى والإباحة ، و ^(٤١٠) تاويل الامر والنهى نفس فعل المأمور ، ونفس ترك المحذور . كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه و سجوده سبحانك اللهم ربنا و بحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن » . فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿ قَسَبَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ ^(٤١١) .

قال ابن عيينة ^(٤١٢) : السنة تأويل الأمر والنهى .

الى هنا ينتهى قول ابن الجوزي في تفسيره (٤/١) .

(٤١٠) راجع البخارى في الأذان (١٩٩/١) و في التفسير (٩٣/٦) و مسلم في الصلوة (٣٥١/١) و أخرجه ايضا ابو داود (٥٤٧/١) و النسائي (٣١٩/٣ - ٣٢٠) وابن ماجة (٢٨٧/١) و أحمد (٨٨٩) و (٤٣/٦) ، (١٩٠٠٤٩) .

(٤١١) سورة النور (٣/١١٠) .

(٤١٢) هو الامام ابو محمد سليمان بن عيينة ، الهلالي ، الكوفي . من ائمة الحديث . انتهى اليه علو الاسناد ، و رُحل اليه من البلاد . و هو قرين الامام مالك . قال الشافعي : لولا مالك و سفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز . توفي سنة ١٩٨ هـ . انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٤٩٧/٥) الحلية (٣٧٠/٧) وفيات ابن خلكان (٣٩١/٣) تاريخ بغداد (١٧٤/٩) التذكرة (٦٢/١) طبقات الداودي (١٩٦/١) البير (٤٥٤/٨ - ٤٧٤) .

وقال ابو عبيدة لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نهى النبي ﷺ عن اشتغال الصماء قال: ^(٤١٤) والفقهاء أعلم بالتأويل . يقول : هم أعلم بتأويل ما أمر الله به ، وما نهى عنه ، فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها .

وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج ؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام : يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التأويل فهو فعل المأمور به ، وترك المنهى عنه ، ليس هو من جنس الكلام .

والنوع الثاني : الخبر كإخبار الرب عن نفسه تعالى باسمائه وصفاته ؛ وإخباره عما ذكره لمعباده من الوعد والوعيد ، وهذا هو التأويل المذكور في قوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصْلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ ^(٤١٥) وهذا كقولهم : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَنِ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

ومثله قوله : ﴿ إِنظِلُّوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ ^(٤١٦) وقوله : ﴿ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ ^(٤١٧) ونظائره متعددة في القرآن . وكذلك قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ ^(٤١٨) فان ما وعدوا به في القرآن لما يأتيهم بعد ، وسوف يأتيهم .

(٤١٣) ابو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله .

الإمام الحافظ المغوى . ذوالفقون ، و مصنف التصانيف المفيدة . كان حسن الرواية ، صحيح النقل . اثنى عليه كثير من العلماء . توفي سنة ٢٢٤ هـ .

راجع طبقات ابن سعد (٣٥٥/٧) تاريخ بغداد (٤٠٢/١٢ - ٤١٩) معجم ياقوت (٢٥٤/١٦ - ٢٦١) انباء الرواة (١٢/٣) وفيات ابن خلكان (٦٠/٤ - ٦٣) السير (٤٩٠/١٠ - ٥٠٨) طبقات الداودي (٣٧/٣ - ٤٣) .

(٤١٤) راجع عريب الحديث (١١٨/٣) .

(٤١٥) سورة الاعراف (٥٢/٧ - ٥٣) .

(٤١٦) سورة يس (٥٢/٣٦) .

(٤١٧) سورة المرات (٢٩/٧٧) .

(٤١٨) سورة الملك (٢٥/٦٨ - ٢٧) .

(٤١٩) سورة يونس (٣٨/١٠ - ٣٩) .

فالتفسير هو الاحاطة بعلمه ، والتأويل هو نفس ما وعدوا به اذا أتاهم ، فهم كذبوا بالقرآن الذى لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ؛ وقد يحيط الناس بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، فالرسول ﷺ يحيط بعلم ما أنزل الله عليه ، وإن كان تأويله لم يأت بعد ، وفى الحديث عن النبي ﷺ لما نزل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الآية (٤٢٠) قال : إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد . (٤٢١)

قال تعالى ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْعَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ، لِّكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ (٤٢٢) قال بعضهم : موضع قرار وحقيقة ومُنْتَهَى ينتهى اليه ، فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه .

وقال مقاتل : لكل خبير يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه ، من غير خلف ولا تاخير .

وقال ابن السائب (٤٢٣) : لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه فى الدنيا فستعرفونه ، وما كان منه فى الآخرة فسوف يبدو لكم ، وسوف تعلمون .

وقال الحسن : لكل عمل جزء ، فمن عمل عملاً من الخير جوزى به فى الجنة ، ومن عمل عمل سوء جوزى به النار ، وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد ، فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذى له المستقر ، فبين المعنى ، ولم يرد أن نفس الجزء هو نفس النبأ .

وعن السدى قال : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ أى ميعاد ، وعدتكوه ، فسياتيكم حتى تعرفونه .

وعن عطاء : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه ، فاذا عمل

(٤٢٠) سورة الأنعام (٦/٦٥)

(٤٢١) أخرجه أحمد (١٧١/١) والترمذى (٢٦٧/٥) وقال : حسن غريب .

(٤٢٢) سورة الأنعام (٦٦٧ - ٦٧٠) .

(٤٢٣) أخرج الطبري بنحوه عن مجاهد (٢٣٧/٧) .

وقال الطبري : وكان الحسن يتأول فى ذلك أنه الفتنة التي كانت بين اصحاب رسول الله ﷺ وراجع الدرر المنثور (٢٩١/٣) .

ذنبه عاقبه ، أى لا يعاقب بالوعيد ، حتى يفعل الذنب الذى توعد عليه ،
ومنه قول كثير من السلف فى آيات : هذه ذهب تأويلها ، وهذه لم يأت
تأويلها ، مثل ما روى أبو الاشهب عن الحسن والربيع عن ابى العالية أن هذه
الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾
الآية .

فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فاذا ردت عليكم
فعليكم أنفسكم ، ثم قال : ان القرآن نزل حيث نزل ، فنه أى قد مضى تأويلهن
قبل أن ينزلن . ومنه أى وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ ، ومنه أى وقع
تأويلهن بعد النبي ﷺ يسير ، ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه أى يقع
تأويلهن فى آخر الزمان ، ومنه أى يقع تأويلهن يوم القيامة ؛ ما ذكر من
الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيئا ، ولم
يذق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤا وانها ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم
شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه
الآية .

فابن مسعود رضى الله عنه — قد ذكر فى هذا الكلام تأويل الأمر ،
وتأويل الخبر ، فهذه الآية ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ من باب الامر ، وما ذكر
من الحساب والقيامة من باب الخبر ، وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود الخبر
به ، وتأويل الامر هو فعل المأمور به فالآية التى مضى تأويلها قبل نزولها هى
من باب الخبر : يقع الشيء فيذكره الله ، كما ذكر ما ذكره من قول المشركين
لِلرَّسُولِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، وهى وإن مضى تأويلها فهى عبرة ومعناها ثابتة فى
نظيرها ، ومن هذا قول ابن مسعود : خمس قد مضين ، ومنه قوله تعالى :
﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٤٢٥)

وإذا تبين ذلك ؛ فالتشابه من الامر لا بد من معرفة تأويله ؛ لأنه لا بد
من فعل المأمور ، وترك المحذور ، وذلك لا يمكن إلا بعد العلم ؛ لكن ليس فى
القرآن ما يقتضى أن فى الامر متشابها ، فان قوله : ﴿ وَآخِرُ مَتَشَابِهَاتٍ ﴾^(٤٢٦)

(٤٢٤) راجع تفسير الطبرى (٩٤/٧ - ٩٦) والبر المنثور (٣١٧/٣) .

(٤٢٥) سورة القمر (١/٥٤) .

(٤٢٦) سورة آل عمران (٧/٣) .

قد يراد به من الخبر ، فالتشابه من الخبر مثل ما أخبر به في الجنة من اللحم واللبن والمسل والماء والحريز والذهب ، فان بين هذا وبين ما في الدنيا تشابها في اللفظ والمعنى ، ومع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا ، وتلك الحقيقة لا نعلمها نحن في الدنيا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٤٣٧)

وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

- فهذا الذي وعد الله به عباده المؤمنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، وكذلك وقت الساعة لا يعلمه إلا الله وشرائطها ، وكذلك ١٠ كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراف والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته إلا الله ، فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة ، ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به ، فهو من تأويل التشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

- وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك ، فان كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله ، كما قال ربيعة بن أبي ١٥ عبد الرحمن ، ومالك بن انس . وسائر أهل العلم : ﴿ تَلَقَّوْا هَذَا الْكَلَامَ عَنْهَا بِالْقَبُولِ لَمَّا قِيلَ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ﴾ كيف استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . هذا لفظ مالك . فأخبر أن الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ ، وأخبر أن الكيف ٢٠ مجهول ، وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها .

(٤٣٧) سورة الم سجدة (١٧/٢٢) .

(٤٣٨) رواه البخاري وسلم . وهو في شعب الايمان للبيهقي . وانظر ترجمته فيه .

(٤٣٩) ربيعة بن ابي عبد الرحمن ، المعروف بريعة الرأي . وفق المدينة ، وعالم الوقت ، من صفار التابعين ، والقة الاجتهاد ، عنه اخذ مالك بن انس . توفي سنة ١٣٦ هـ . راجع تاريخ بغداد (٤٢٠/٨) وفيات ابن خلكان (٢٨٨/٢ - ٢٩٠) السير (٩٨/١ - ٩٦) التذكرة (١٥٧/١) .

(٤٣٠) سورة طه (٥٢٠) وقول مالك نقله الذهبي بسنده في السير (١٠٠/٨) في ترجمته الامام المبسوط (٤٨٨) - (١٣٥) وذكره ايضا ابو نعم في الحلية (٣٢٥/١ - ٣٢٦) .

وكذلك سائر السلف كآين الما جشون ؛ واحد بن حنبل ، وغيرهما يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، فالكيف هو التأويل الذي لا يعمله إلا الله . وأما نفس المعنى الذى بينه الله في عمله الناس كل على قدر فهمه ، فانهم يفهمون معنى السمع ، ومعنى البصر ، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا ، ويعرفون الفرق بينها ، وبين العلم والقدير ، وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره ، بل الروح التى فيهم يعرفونها من حيث الجملة ، ولا يعرفون كيفيتها ، كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش ، وأنه يتضمن علو الرب على عرشه ، وارتفاعه عليه ، كما فسر به السلف قبلهم ، وهذا معنى معروف من اللفظ لا يحتمل فى اللغة غيره ، كما قد بسط فى موضعه ؛ ولهذا قال مالك : الاستواء معلوم .

ومن قال : الاستواء له معان متعددة فقد أجل كلامه ، فانهم يقولون : استوى فقط . ولا يصلونه بحرف ، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا وله معنى ، واستوى إلى كذا ، وله معنى ، واستوى مع كذا وله معنى ، فتنوع معانيه بحسب صلاته . وأما استوى على كذا فليس فى القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد .

قال تعالى : ﴿ فَأَزَرَهُ فَأَسْخَفَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوِيهِ ﴾ (٤٣٢) . وقال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ﴾ (٤٣٣) . وقال : ﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٤٣٤) .

وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْعُلْكِ ﴾ (٤٣٥) .

(٤٣١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة بن اللاجشون ، المدنى . تليذ الإمام مالك ، كان مفتى أهل المدينة فى زمانه ، لم يكن من فرسان الحديث . توفى سنة ٢١٣ هـ . ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٤٢/٥) وفيات ابن خلكان (١٦٦/٣) ميزان الاعتدال (٦٥٨/٢) السير (٣٥٧/١٠) .

(٤٣٢) سورة الفتح (٢٧/٤٨) .

(٤٣٣) سورة هود (٤٤/١١) .

(٤٣٤) سورة الزخرف (١٢/٤٢) .

(٤٣٥) سورة المؤمنون (٢٨/٢٣) .

وقد اتى النبي ﷺ بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله »
فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » .
وقال ابن عمر : « أهل رسول الله ﷺ بالحج لما استوى على بعيره . »

وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله أيضا . فلا
يسمون المائل على الشيء مستويا عليه ، ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال :
استوا . وقوله :
استوى يشر على المراق من غير سيف او دم مهراق

هو من هذا الباب ؛ فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها أى على
كرسى ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ؛ اذ لو كان
كذلك لكان عبد الملك الذى هو الخليفة قد استوى ايضا على العراق ، وعلى
سائر مملكة الاسلام ، وكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان
والشام ومصر ، وسائر ما فتحه ، وكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن
وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد فى كلامهم استعمال الاستواء فى شيء من
هذا ، وانما قيل فيه استوى بنفسه على بلد ؛ فانه مستو على سرير ملكه ، كما
يقال جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : ﴿ وَرَفَعَ
أَبُو يَهِ عَلَيْهِ الْعَرْشَ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾^(٤٤٠)
وقوله : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤٤١)

^(٤٣٦) أخرجه الترمذى فى الدعوات (٥٠١/٥) و ابوداود فى الجهاد (٧٧/٣) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٥٠٢) عن
على بن ابي طالب .

^(٤٣٧) الرواية فى الصحيحين وفى غيرهما ، ولكن عندهما بلفظ هاستوت به راحلته .

^(٤٣٨) الخليل بن أحمد الفراهيدى ، أبو عبد الرحمن .
امام النحو ، صاحب العربية ، و منشئ علم العروض ، كان راسا فى لسان العرب ورعا ، متواضعا كبير
الشان . مات فى سنة بضع وستين .
راجع معجم ياقوت (٧٧ - ٧٣/١١) انباء الرواة (٣٤٦ - ٣٤٧) وفيصاى ابن خلكان (٢٤٤/٢ - ٢٤٨) السير
(٤٣٧/٧) .

^(٤٣٩) اخو عبد الملك بن مروان - ولّى له المراقين بعد مقتل مصعب ، توفى سنة ٧٥ هـ .

^(٤٤٠) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

^(٤٤١) سورة النمل (٢٢/٣٧) .

(٤٤٣)
وقول الزعرشري وغيره : « استوى على كذا بمعنى ملك » دعوى مجردة .
فليس لها شاهد في كلام العرب ، ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلا في
استواء الله على العرش ؛ لأنه أخبر أنه خلق السموات والارض في ستة ايام ، ثم
استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات
والارض ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وحينئذ فهو من حين خلق العرش
مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستواء عليه مؤخرا عن خلق السموات
والارض ؟ ! .

وأيا فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، فلا يخص العرش بالاستواء وليس
هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤٤٣) فإنه قد يخص
لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل
شيء ، وأما الاستواء فمخصص بالعرش ، فلا يقال استوى على العرش وعلى كل
شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ، ولا يوجد في كتاب ولا
سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة ، وفي كل شيء عامة ، وكذلك
لفظ الخالق ونحوه من الالفاظ التي تخص ، وتعم . كقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِأَمْرِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٤٤٤)
فلاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش ، لا تضاف الى غيره ، لا خصوصا ولا
عموما ، وهذا مبسوط في موضع آخر .

وانما الغرض بيان صواب كلام السلف في قولهم : الاستواء معلوم ، بخلاف من
جعل هذا اللفظ له بضعة عشر معنى . كما ذكر ذلك ابن عربى المعافرى .^(٤٤٥)

(٤٤٢) ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوازمي ، الملقب بجار الله ، الزعرشري .
من كبار علماء المعتزلة ، نبغ في اللغة والنحو ، والتفسير ، وصنف تصانيف بديعة . تفسره «الكشاف» من
أهم التفسيرات ، وإن كان مال فيه الى الانتصار لمنهجه الاعتزالي ، وللمجوم على أهل السنة . توفي سنة ٥٢٨ هـ .
انظر تفسير والمفسرون (٤٢٧/١ - ٤٨٢) طبقات الداودي (٣١٧ - ٣١٤/٢) مجمع باقوت (١٣٧/١٩ - ١٣٥) انباه
الرواة (٣٦٥/٢ - ٣٧٢) وفيات ابن خلكان (١٦٨/٥ - ١٧٤) السير (١٥١/٣٠ - ١٥٦) .

(٤٤٣) سورة يونس (١٢٩/١٠) . سورة الملق (١/٩٦) (٢) .

(٤٤٥) هو القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد ، المعافرى ، الاندلسي ، الاشبيلي ، المالكي .
العلامة ، أحد كبار فقهاء المذهب المالكي ، صاحب التصانيف . رحل الى الشرق ثم رجع الى الاندلس ، و
توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ .
من أهم كتبه «احكام القرآن» .

ترجمته في الصلاة لابن بشكوال (٥٩٠/٢) وفيات ابن خلكان (٢٩٦/٤) الواقي (٣٣٠/٢) الديباج المذهب لابن
فرحون (٣٥٢/٢ - ٣٥٦) السير (١٩٧/٢ - ٢٠٣) و راجع التفسير والمفسرون (٤٤٨/٢ - ٤٥٦) طبقات الداودي
(١٧٠ - ١٧٢/٢) .

- يبين هذا أن سبب نزول هذه الآية^(٤٦٦) كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي ﷺ في أمر المسيح ، كما ذكر ذلك أهل التفسير ، وأهل السيرة ، وهو من المشهور ، بل من المتواتر أن نصارى نجران قدموا على النبي ﷺ ودعاهم إلى المباحلة المذكورة في سورة آل عمران ، فاقروا بالجزية ولم يباهلوه ، وصدر أن عمران نزل بسبب ما جرى ، ولهذا عامتها في أمر المسيح ، وذكروا أنهم احتجوا بما في القرآن من لفظ ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ونحو ذلك على أن الآلهة ثلاثة فاتبعوا التشابه وتركوا الحكم الذي في القرآن من أن الاله واحد ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ ، وابتغاء تأويله ﴿فَانْهَم قَصَدُوا بِذَلِكَ الْفِتْنَةَ﴾ ، وهى فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تأويل لفظ ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُ﴾ هذه الاسماء ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ لأن هذه الاسماء انما تقال للواحد الذى له أعوان إما أن يكونوا شركاء له ، وإما أن يكونوا ممالك له . ولهذا صارت متشابهة ، فان الذى معه شركاء يقول : فعلنا نحن كذا ، وانا نفعل نحن كذا ، وهذا ممنوع فى حق الله تعالى ، والذى له ممالك ومطيعون يطيعونه — كالمملك — يقول : فعلنا كذا . أى أنا فعلت بأهل ملكى وملكى ، وكل ما سوى الله مخلوق له مملوك له ، وهو سبحانه يدبر أمر العالم بنفسه ، وملائكته التى هى رسله فى خلقه و أمره ، وهو سبحانه أحق من قال : « إِنَّا » و « نَحْنُ » بهذا الاعتبار ، فان ما سواه ليس له ملك تام ، ولا أمر مطاع طاعة تامة ، فهو المستحق أن يقول : ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ، والملوك لهم شبه بهذا ، فصار فيه ايضا من التشابه معنى آخر ، ولكن الذى ينسب لله من هذا الاختصاص لا يماثله فيه شيء ، وتأويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم واقدارهم ، وكيف يدبر بهم أمر السماء والارض .

وقد قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤٦٧)
فهذا التأويل لهذا التشابه لا يعلمه إلا هو ، وان علمنا تفسيره ومعناه ؛ لكن لم نعلم تأويله الواقع فى الخارج ؛ بخلاف قوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤٦٨) .

(٤٦٦) أى الآية رقم ٧ من سورة آل عمران .

(٤٦٧) سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٤٦٨) سورة الحجدة (٤٤/٣٣) .

فانها آية محكمة ليس فيها تشابه ، فان هذا الاسم مختص بالله ، ليس مثل ﴿ إِنْ أَرَادْتَ خَلْقَ شَيْءٍ إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَنَحْنُ نَعْتَدُ لَهُ أَعْوَانٌ مُخْتَصِمُونَ ﴾ . والله تعالى منزّه عن هذا وهذا . كما قال : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْ شِرْكٍ ﴾ (٤٤٩) . وقال : ﴿ قُلِ الْعَفْوَ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (٤٥٠) . فالعفو الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون نظيره ثابتا لله ؛ فلهذا صار متشابها .

وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فانه قد قال : ﴿ وَاسْتَوَى عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ وقال : ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْبِهِ ﴾ وقال : ﴿ قَبَاذًا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ وقال : ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ (٤٥٠) فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه ، وأنه لو عدم من تحته لخرّ ، والله تعالى غنى عن العرش ، وعن كل شيء ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش ، وحلة العرش ، وقد روى : انهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم ان يقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله .

فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها ، فنحن نعلم معناه ، وانه العلو والاعتدال ؛ لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش ، بل مع حاجة العرش ، وكل شيء محتاج إليه من كل وجه ، وانا لم نعهد في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى ، فصار متشابها من هذا الوجه ، فان بين اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا ، وبينها قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ، ونحن نعرف الفارق الذي امتاز الرب به ، فصرنا نعرفه من وجه ، ونجهله من وجه ، وذلك هو تاويله ، والاول هو تفسيره .

(٤٤٩)	سورة سبا (٣٢/٣٤)	(٤٥٠)	سورة الاسراء (١١/١٧)
(٤٥١)	سورة الصلوة (٤/٢٢)	(٤٥٢)	سورة هود (١١/٤٤)
(٤٥٣)	سورة الفتح (٢٩/٤٨)	(٤٥٤)	سورة المؤمن (٨/٢٢)
(٤٥٥)	سورة الزخرف (١٣/١٣)		

و كذلك ما اخبر الله به في الجنة من الطعام والشارب والملابس : كاللبن والمسل والحمر والماء ، فاننا لا نعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج من بين فرث و دم ، واذا بقى اياما يتغير طعمه ، و لا نعرف عسلا الا من نحل تصنعه في بيوت الشمع المسدسة ، فليس هو عسلا مصفى ، ولا نعرف حريرا الا من دود القز ، وهو يبلل ، وقد علمنا ان ما وعد الله به عباده ليس مائثلا لهذه ، لا في المادة ، ولا في الصورة والحقيقة ، بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه ، وذلك هو من التأويل الذى لا نعلمه نحن ، قال ابن عباس ^(١٥٦) : ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء .

لكن يقال : فالملائكة قد تعلم هذا ، فيقال : هى لا تعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة ، وايضا فن النعم مالا نعرفه الملائكة ، والتأويل يتناول هذا كله . واذا قدرنا انها تعرف مالا نعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندها ، ويكون من المتشابه عندنا ، فان المتشابه قد يراد به ما هو صفة لازمة للآية ، وقد يراد به ما هو من الامور النسبية ، فقد يكون متشابه عند هذا مالا يكون متشابه عند هذا .

وكلام الامام احمد وغيره من السلف يحتمل ان يراد به هذا فان احد ذكر في رده على الجهمية :^{*} انها احتجت بثلاث آيات من المتشابه : قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١٥٧) . وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(١٥٨) . وقوله : ﴿ لَا تَدْرِيكَ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(١٥٩) .

وقد فسر احد قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ . فاذا كانت هذه الآيات مما علمنا معناها لم تكن متشابهة عندنا ، وهى متشابهة عند من احتج بها ، وكان عليه ان يردها هو الى ما يعرفه من الحكم ، وكذلك قال احمد في ترجمة كتابه الذى صنفه في الحبس ، وهو (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله) ثم فسر احد تلك الآيات آية آية ، فبين انها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها .

(١٥٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٤/١) وقد مرّ . (١٥٨) سورة الشورى (١١/٤٢) . (١٥٧) سورة الأنعام (٢٢/٦) .
* راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٤ . (١٥٩) سورة الأنعام (١٠٤/٦) .

وعلى هذا فالراسخون في العلم يعملون تأويل هذا التشابه ، الذى هو تفسيره ، وأما التأويل الذى هو الحقيقة الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها الا الله ، ولكن قد يقال هذا التشابه الاضافى ليس هو التشابه المذكور في القرآن ، فان ذلك قد أخبر الله انه لا يعلم تأويله الا الله ، وإنما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها ، وغيرهم من الناس يعرف معناها وعلى هذا فقد يجاب بجوابين :

احدهما : ان يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وقراءة من يقف عند قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وكلتا القراءتين حق ، ويراد بالاولى التشابه في نفسه الذى استأثر الله بعلم تأويله ، ويراد بالثانية التشابه الاضافى الذى يعرف الراسخون تفسيره ، وهوتاويله ، ومثل هذا يقع في القرآن كقوله : ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَنْزِلَ مِنْهُ الْغُبَابُ﴾ ^(٤٦٠) و﴿لِيَنْزِلَ﴾ فيه قراءتان مشهورتان بالنفى والاثبات وكل قراءة لها معنى صحيح .

وكذلك القراءة المشهورة : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ ^(٤٦١) وقرأ طائفة من السلف ﴿لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وكلا القراءتين حق ، فان الذى يتمدى حدود الله هو الظالم وتارك الانكار عليه قد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه ، وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب وعلى هذا قوله : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ^(٤٦٢)

فانجى الله الناهين . وأما اولئك الكارهون للذنوب الذين قالوا : ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا﴾ ^(٤٦٣) فالأكثر على انهم نجوا لأنهم كانوا كارهين ، فانكروا بحسب قدرتهم .

(٤٦٠) سورة ابراهيم (٤٧/١٤) .

(٤٦١) سورة الانفال (٢٥/٨) .

(٤٦٢) سورة الاعراف (١٦٥/٧) .

(٤٦٣) سورة الاعراف (١٦٤/٧) .

وأما من ترك الإنكار مطلقا فهو ظالم يعذب . كما قال النبي ﷺ : « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه » وهذا الحديث موافق للآية .

- والمقصود هنا انه يصح النفي والاثبات باعتبارين ، كما ان قوله : ﴿ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .
 أى لا تختص بالمعتدين ، بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره ومن قرأ : ﴿ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .
 أدخل في ذلك من ترك الإنكار مع قدرته عليه ، وقد يراد بذلك أنهم يعذبون في الدنيا ، ويمشون على نياتهم ، كالجيش الذين يغزون البيت فيخسف بهم كلهم ، ويحشر المكره على نيته .

- والجواب الثاني : القطع بان التشابه المذكور في القرآن هو تشابهها في نفسها اللازم لها ، وذلك الذى لا يعلم تأويله الا الله ، وأما الاضافى الموجود في كلام من اراد به التشابه الاضافى ، فرادهم انهم تكلموا فيها اشتبه معناه واشكل معناه على بعض الناس ، وان الجهمية استدلوا بما اشتبه عليهم واشكل ، وان لم يكن هو من التشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله ، وكثيرا ما يشبهه على الرجل ما لا يشبهه على غيره .

- ويحتمل كلام الامام احمد انه لم يرد الا التشابه في نفسه ، الذى يلزمه التشابه ، ولم يرد بشيء منه التشابه الاضافى ، وقال « تأولته على غير تأويله » أى غير تأويله الذى هو تأويله في نفس الامر ، وإن كان ذلك التأويل لا يعلمه الا الله ، وأهل العلم يعلمون ان المراد به ذلك التأويل ، فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره ، ولهذا كان التشابه في الخبريات إما عن الله ، وإما عن الآخرة ، وتأويل هذا كله لا يعلمه الا الله ، بل الحكم من القرآن قد يقال : له تأويل كالللتشابه تأويل . كما قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ ومع هذا فذلك التأويل لا يعلم وقته وكيفيته الا الله ، وقد يقال : بل التأويل للتشابه ، لأنه في الوعد والوعيد ، وكله متشابه ، وأيضا فلا يلزم في كل آية ظنها بعض الناس متشابه ان تكون من التشابه :

(٤٦٤) رواه احمد (١٠٥٠٢/١) وابن ماجة في القرن ١٣٣٧/٧ رقم (٤٠٠٥) عن أبى بكر الصديق ، وروى بلفظ مختلف عند الترمذى (٢٥٧/٥) وأبى داود (٥١٠/٤) . (٤٦٥) سورة الاعراف (٥٢/٧) .

فقول أحد : احتجوا بثلاث آيات من التشابه ، وقوله ما شكت فيه من
 متشابه القرآن ، قد يقال ان هؤلاء أو أن احدهم جعل بعض ذلك من التشابه
 وليس منه ، فان قول الله تعالى : ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
 وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(٤٦٦) .

٥ لم يرد به هنا الاحكام العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع آيات
 القرآن ، وهو المذكور في قوله : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ ^(٤٦٧)
 وفي قوله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ
 مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(٤٦٨) .

١٠ فوصفه هنا كله بأنه متشابه ، أي متفق غير مختلف ، يصدق بعضه بعضا ،
 وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله : ﴿ وَلَوْ كُنَّا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(٤٦٩) .

١٥ وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ، يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكَ ﴾ ^(٤٧٠)
 فان هذا التشابه يعم القرآن ، كما أن احكام آياته تعمه كله ، وهنا قد قال :
 ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

فجعل بعضه محكما وبعضه متشابها ، فصار التشابه له معنيان .

٢٠ وله معنى ثالث وهو الاضافي ، يقال قد اشتبه علينا هذا ، كقول بني
 اسرائيل : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ ^(٤٧١) . وإن كان في نفسه متيزا منفصلا
 بعضه عن بعض ، وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل ، كقوله ﷺ في
 الحديث : « الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير
 من الناس » .

(٤٦٦) سورة آل عمران (٧/٣) .

(٤٦٧) سورة هود (١١/١) .

(٤٦٨) سورة الزمر (٣٩/٢٣) .

(٤٦٩) سورة النساء (٤/٨٢) .

(٤٧٠) سورة الفاريات (٥١/٨ - ٩) .

(٤٧١) سورة البقرة (٢/٧٠) .

(٤٧٢) أخرجه البخاري ومسلم وهو في شعب الايمان للبيهقي وانظر ترجمته هناك

فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها ، فليست مشتبهة على جميع الناس ، بل على بعضهم ، بخلاف ما لا يعلم تأويله إلا الله ، فان الناس كلهم مشتركون في عدم العلم بتأويله ، ومن هذا ما يروى عن المسيح — عليه السلام — انه قال : الامور ثلاثة : أمر تبين رشد فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه .

- فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الآخرين ان يعرفوا الحق فيه ويبينوا الفرق بين المشتبهين . وهذا هو الذى اراده من جعل الراشخين يعلمون التأويل ، فانه جعل المشتبهات في القرآن من هذا الباب الذى يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ويكون بينها من الفروق المانعة للتشابه لم يعرفه بعض الناس ، وهذا صحيح في نفسه لا ينكر ، ولا ريب أن الراشخين في العلم يعلمون ما اشتبه على غيرهم ، وقد يكون هذا قراءة صحيحة الآية كما تقدم ، من انه يكون فيها قراءتان ؛ لكن لفظ التأويل على هذا يراد به التفسير ، ووجه ذلك انهم يعلمون تأويله من حيث الجملة ، كما يعلمون تأويل الحكم ، فيعرفون الحساب والميزان والصراط والثواب والعقاب وغير ذلك مما أخبر الله به ورسوله معرفة مجملة ، فيكونون عالمين بالتأويل ، وهو ما يقع في الخارج على هذا الوجه ، ولا يعلمونه مفصلا ، إذ هم لا يعرفون كميته وحقيقته ، اذ ذلك ليس مثل الذى علموه في الدنيا وشاهدوه ، وعلى هذا يصح أن يقال علموا تأويله ، وهو معرفة تفسيره ، ويصح أن يقال لم يعلموا تأويله ، وكلا القراءتين حق .

- وعلى قراءة النفي هل يقال ايضا : ان الحكم له تأويل لا يعلمون تفهيله ؟ فان قوله : وما يعلم تأويل ما تشابه منه ﴿إلا الله﴾ لا يدل على ان غيره يعلم تأويل الحكم ، بل قد يقال : ان من الحكم ايضا ما لا يعلم تأويله الا الله ، وانما خص التشابه بالذكر ، لأن اولئك طلبوا علم تأويله ، أو يقال بل الحكم يعلمون تأويله لكن لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته .

- وقد قال كثير من السلف : إن الحكم ما يعمل به ، والتشابه ما يؤمن به ، ولا يعمل به ، كما يجيء في كثير من الآثار ، ونعمل بحكمه ، ونؤمن بتشابهه ،

(٤٧٣) راجع في تفسير الحكم وطلتشافه تفسير ابن الجوزى (١/٣٥٠ - ٣٥٢) .
وللؤلؤ رسالة مالاكيل في التلشاف والتاويل تناول هذه للشكلة بوضوح .

وَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ .

قال يخللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بحكمه ، ويؤمنون بمشابهه . وكلام السلف في ذلك يدل على ان التشابه أمر اضافي . فقد يشبهه على هذا مالا يشبهه على هذا ، فعلى كل احد ان يعمل بما استبان له ، و يكل ما اشتبه عليه الى الله ، كقول ابى بن كعب ^(٤٧٥) — رضى الله عنه — في الحديث الذى رواه الثورى عن مغيرة — وليس بالضبي — عن ابى العالية ، قال : قيل لأبى بن كعب أوصنى فقال : اتخذ كتاب الله اماما ، ارض به قاضيا ، وحاكما ، هو الذى استخلف فيكم رسوله شفيع مطاع ، وشاهد لا يتيهم ، فيه خبر ما قبلكم ، وخبر ما بينكم ، وذكر ما قبلكم ، وذكر ما فيكم .

وقال سفيان عن رجل ساء عن ابن ابرى عن ابى قال : فما استبان لك فاعمل به ، وما شبه عليك فآمن به ، وكله إلى عاله .

فمنهم من قال : المتشابه هو المنسوخ ، ومنهم من جعله الخبريات مطلقا ، فمن قتادة والربيع والضحاك والسدى الحكم الناسخ الذى يعمل به : والمتشابه المنسوخ يؤمن به ، ولا يعمل به ، وكذلك في تفسير العوفى عن ابن عباس .

وأما تفسير الوالى عن ابن عباس فقال : محكمات القرآن : ناسخه وحلاله وحرامه وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به .

والمشبهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ، ولا يعمل به .

أما القول الأول فهو — والله أعلم — ماخوذ من قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ﴾ ^(٤٧٦) .
فقابل بين المنسوخ وبين الحكم ، وهو سبحانه إنما أراد نسخ ما القاه الشيطان ؛ لم

(٤٧٤) راجع الطبرى (٥١٧/١) .

(٤٧٥) وأخرجه ابو نعيم في الحلية من طريق ابى خالد عن اللهية بن مسلم عن الربيع بن انس عن ابى العالية به

(٢٥٣/١) واللهمزة بن مسلم من رجال التهذيب صدوق ، وهو كاتال المؤلف غير الضبي للهمزة بن مسلم

(٤٧٦) سورة الحج (٥١/٢٢) .

يرد نسخ ما أنزله ، لكن هم جعلوا جنس النسخ متشابهاً لأنه يشبه غيره في التلاوة والنظم ، وانه كلام الله وقرآن ومعجز وغير ذلك من المعاني ، مع ان معناه قد نسخ .

- ومن جمل المتشابه كل ما لا يعمل به من المنسوخ ، والاقسام والامثال ، فلأن ذلك متشابه ، ولم يؤمر الناس بتفصيله ، بل يكفيهم الايمان الجمل به ، بخلاف المعمول به فانه لا بد فيه من العلم المفصل . وهذا بيان لما يلزم كل الامة ، فانهم يلزمهم معرفة ما يعمل به تفصيلاً ليعملوا به ، وما أخبروا به فليس عليهم معرفته ، بل عليهم الايمان به ، وان كان العلم به حسناً أو فرضاً على الكفاية فليس فرضاً على الأعيان ؛ بخلاف ما يعمل به ، ففرض على كل انسان معرفة ما يلزمه من العمل مفصلاً ، وليس عليه معرفة العمليات مفصلاً .

- وقد روى عن مجاهد وعكرمة^(٤٧٧) : الحكم ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضاً . فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾^(٤٧٨) . والحلال مخالف للحرام ، وهذا على قول مجاهد : ان العلماء يعلمون تأويله ؛ لكن تفسير المتشابه بهذا مع ان كل القرآن متشابه . وهنا خص البعض به فيستدل به على ضعف هذا القول .

- وكذلك قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾^(٤٧٩) . لو اريد بالمتشابه تصديق بعضه بعضاً لكان اتباع ذلك غير محذور ، وليس في كونه يصدق بعضه بعضاً ما يمنع ابتغاء تأويله ، وقد يحتج لهذا القول بقوله « متشابهات » فجعلها أنفسها متشابهات ، وهذا يقتضى ان بعضها يشبه بعضاً ليست مشابة لغيرها .

- ويجيب عن هذا بأن اللفظ إذا ذكر في موضعين بمعنيين صار من المتشابه ، كقوله : ﴿ اِنَّا ﴾ و﴿ نَحْنُ ﴾ المذكور في سبب نزول الآية ، وقد ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قال :^(٤٨٠) الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل في التأويل أوجهاً .

(٤٧٧) راجع الطبري (١٧٣/٦) .
(٤٧٨) سورة الزمر (٣٩/٢٣) .
(٤٧٩) سورة آل عمران (٧/٣) .
(٤٨٠) انظر تفسير الطبري (١٧٤/٣) .

لم يظلم نفسه حق بين لهم ، ^(٤٩٧)
 ولما نزل قوله : ﴿ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ شق عليهم حق بين لهم الحكمة في ذلك ،
 ولما قال النبي ﷺ : « من نوقش الحساب عذب » قالت عائشة : « ألم يقل الله : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟ »
 قال : إنما ذلك العرض ^(٤٩٨)

قالوا : والدليل على ما قلناه إجماع السلف ، فانهم فسروا جميع القرآن ،
 وقال مجاهد ^(٤٩٩) عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمة أوقفه عند كل
 آية وأسأله عنها . وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ ، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي ^(٥٠٠) :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
 وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا
 ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن ، الا ما قد
 يشكل على بعضهم فيقف فيه ، لا لأن أحدا من الناس لا يعلمه ، لكن لأنه هو
 لم يعلمه .

وايضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ولم يستثن منه شيئا لا يتدبر ،
 ولا قال : لا تدبروا المتشابه ، والتدبر بدون الفهم ممتنع ، ولو كان من القرآن ما
 لا يتدبر لم يعرف ، فان الله لم يميز المتشابه بمحد ظاهر حتى يجتنب تدبره .

(٤٩٧) أخرجه البخاري في الايمان (١٤/١) وفي الانبياء (١١٢/٤ - ١٣٧) وفي التفسير (١٩٣/٥ ، ٢٠/٨) ومسلم في
 الايمان (١٢٤/١) والترمذي في التفسير (٣٦٢/٥) واحد في مسنده (٤٤٤، ٤٢٤، ٣٧٨/١) من حديث عبد الله بن
 مسعود .

(٤٩٨) أخرجه البخاري في العلم (٣٤/١) وفي التفسير (٨١/٦) وفي الرقاق (١٩٨/٧) ومسلم في الجنة (٢٢-٤/٣) .
 وأخرجه ايضا الترمذي (٤٣٥/٥) واحد (١٣٧، ١٠٨، ٩١، ٤٧/٦) .

(٤٩٩) انظر السير (٤٥٠/٤) والحلية (٣٧٩/٣ - ٢٨٠) وتفسير الطبري (٤٠/١) .

(٥٠٠) هو المقرئ الامام عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، الكوفي .
 من كبار التابعين ، ومن أثبت الناس في القراءة . توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غيره .
 راجع ترجمته في طبقات ابن سعد (١٧٢/٦) الحلية (١٩١/٤) تاريخ بغداد (٤٣٠/٨) التذكرة (٥٥/١) السير
 (٣٣٧/٤ - ٣٧١) .

وأثره أخرجه الطبري (٣٧/١) وابن سعد (١٧٢/٦) .

ومعنى هذا أن ذلك اللفظ المحكم لا يكون تأويله في الخارج الا شيئا واحدا ، وأما التشابه فيكون له تأويلات متعددة ، لكن لم يرد الله الا واحدا منها ، وسياق الآية يدل على المراد ، وحينئذ فالراسخون في العلم يعلمون المراد من هذا ، كما يعلمون المراد من المحكم ، لكن نفس التأويل الذى هو الحقيقة ووقت الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لا من هذا لا من هذا .

وقد قيل : إن نصارى نجران احتجوا بقوله : ﴿ كَلِمَةً اللَّهُ ﴾ ^(٤٨١) وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴿ ولفظ كلمة الله : يراد به الكلام ، و يراد به المخلوق بالكلام ؛ وروح منه : يراد به ابتداء الغاية ، ويراد به التبعض ، فعلى هذا اذا قيل تأويله لا يعلمه الا الله ، المراد به الحقيقة ، أى لا يعلمون كيف خلق عيسى بالكلمة ، ولا كيف ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا ، ونفخ فيها من روحه .

وفى صحيح البخارى ^(٥٨٢) عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

والمقصود هنا : أنه لا يجوز ان يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ، ولا يجوز ان يكون الرسول ﷺ وجميع الامة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ، سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه الراسخون ، او كان للتأويل معنيان : يعلمون أحدهما ، ولا يعلمون الآخر ، وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى التشابه من القرآن وبين أن يقال : الراسخون فى العلم يعلمون كان هذا الاثبات خيرا من ذلك النفى ، فان معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة واقوال السلف على ان جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره ، وهذا مما يجب القطع به ، وليس معنا قاطع على أن الراسخين فى العلم لا يعلمون تفسير التشابه ، فان السلف قد قال كثير منهم انهم يعلمون تأويله ، منهم مجاهد — مع جلالة

(٤٨١) لم يرد فى القرآن «كلمة الله للمسيح بل جاء فيه «بكلمة من الله» (٣١/٢) و «انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته القاها الى مريم و روح منه» (سورة النساء ١٣١/٤) .

(٤٨٢) اخرجوه فى التفسير (١٦٦/٥) و عنده «رأيت» و رواه مسلم بلفظ المتن (٢٠٥٢/٢) وابوداود (٦/٥) والترمذى (٢٢٢/٥) .

قدره — والريبع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، ونقلوا ذلك عن ابن عباس ، وأنه قال : أنا من الراسخين الذين يعملون تأويله .^(٤٨٧)

وقول احمد فيما كتبه في «الرد على الزنادقة والجهمية» فيما شككت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله ، وقوله عن الجهمية انها تأولت ثلاث آيات من المتشابه ، ثم تكلم على معناها ؛ دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه ، وأن المذموم تأويله على غير تأويله ، فاما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم ، وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعملون التأويل الصحيح للمتشابه عنده ، وهو التفسير في لغة السلف . ولهذا لم يقل أحد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها ، بل يتلون لفظا لا يعرفون معناه ، وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقي ، وغيرها .

وابن قتيبة هو من المنتسبين الى أحد واسحق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله في ذلك مصنفات متعددة ، قال فيه صاحب «كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث» : هو أحد أعلام الأئمة ، والعلماء والفضلاء ، أجودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف ، وكان يميل الى مذهب أحمد ، واسحق ، وكان معاصرا لابراهيم الحربي ، ومحمد بن نصر المروزي ، وكان^(٤٨٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٥/٢) .

^(٤٨٩) هو الامام الكبير ، ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن محمد . الحنظلي ، المعروف بابن راهويه . من كبار الأئمة الحديث والفقه ، كان مجتهدا وكان قرين أحمد . وقال أحمد : لا أعرف لاسحاق نظيرا في الدنيا . توفي سنة ٢٣٨ هـ .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣٤٥/٩ - ٣٥٥) وفيات ابن خلكان (١٩٧/١ - ٢٠١) التذكرة (٤٣٢/٢) الوافي (٣٨٧٨ - ٣٨٨) السير (٣٥٨/١ - ٣٨٢) طبقات الداودي (١٠٣/١) .

^(٤٩٥) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم ، البغدادي ، الحربي ، ابواسحاق . الامام ، الحافظ ، العلامة ، مؤلف «تريب الحديث» كان اماما في العلم ، راسا في الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالاحكام ، حافظا للحديث ، جماعة للغة . قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضى يقول : لا نعلم ببغداد اخرجت مثل ابراهيم الحربي في الادب والفقه والحديث والزهد . قال الذهبي : يريد من اجتمع فيه هذه الامور الاربعة . توفي سنة ٢٨٥ هـ .

راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٢٨٨/١ - ٤٠) طبقات الحنابلة (٨٦/١ - ٩٣) انباه الرواة (١٥٥/١ - ١٥٨) فوات الوفيات (١٤/١ - ١٧) الوافي (٣٢٠/٥ - ٣٣٤) السير (٣٥٧/٣ - ٣٧٢) التذكرة (٥٨٤/٢ - ٥٨٦) .

^(٤٩٦) ابو عبد الله محمد بن نصر الحجاج المروزي .

أهل المغرب يظلمونه ، ويقولون : من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه ، قلت : ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فانه خطيب السنة ، كما ان الجاحظ خطيب المعتزلة .

- وقد نقل عن ابن عباس أيضا القول الآخر ،^(٤٨٧) ونقل ذلك عن غيره من الصحابة ، وطائفة من التابعين ، ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصا عن رسول الله ﷺ ، فصارت مسألة نزاع ، فترد الى الله وإلى الرسول ، وأولئك احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله ، وبأن النبي ﷺ ذم مبتغى المتشابه ، وقال « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأحدروهم » .
- ولهذا ضرب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — صبيغ بن عسل لما سأله عن المتشابه ، ولأنه قال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾ ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد لا واو الاستئناف التي تعطف جملة على جملة لقال : و يقولون .

فأجاب الآخرون عن هذا بان الله قال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾^(٤٨٨) ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .

- قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد ، والفعل حال من المعطوف فقط ، وهو نظير قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٤٨٩) .

الامام ، الحافظ ، قال الحاكم : امام عصره بل مذاقه في الحديث ، واعلم الاثمة باختلاف العلماء ، صنف كتبها ختمها الآثار والفقهاء . توفي عام ٢٩٤ هـ . ترجمته في تاريخ بغداد (٣١٥/٣ - ٣١٨) التذكرة (٦٥٠/٢ - ٦٥٢) السر (٣٢/١٤ - ٤٠) الوافي (١١١/٥) .

(٤٨٧) يعنى انه لا يعلم تاويله الا الله وحده . راجع تفسير الطبري (١٨٢/٣) وتفسير ابن الجوزي (٣٥٤/١) وابن كثير (٣٤٦/١ - ٣٤٧) .

(٤٨٨) راجع الدارمي (٥٤ - ٥٥) والاصابة (١٩١/٢) .

(٤٨٩) سورة الحشر (٨/٥٩ - ١٠) . سورة آل عمران (٧/٣) . (٤٩٠)

قالوا ولأنه لو كان المراد مجرد الوصف بالايان لم يخص الراسخين ، بل قال :
والمؤمنون يقولون آمنا به ، فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به ، فلما خص
الراسخين في العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله ، فعملوه لأنهم عالمون ،
وآمنا به لأنهم يؤمنون ، وكان ايمانهم به مع العلم أكل في الوصف ، وقد قال
عقيب ذلك : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وهذا يدل على ان هنا
تذكرا يختص به اولوا الالباب ، فان كان ما ثم إلا الايمان بألفاظ فلا يذكر لما
يدلهم على ما اريد بالمتشابه .

ونظير هذا قوله في الآية الاخرى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ
وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ^(٤٩١)
فلما وصفهم بالرسوخ في العلم ، وانهم يؤمنون ، قرن بهم المؤمنين ، فلو اريد
هنا مجرد الايمان لقال والراسخون في العلم والمؤمنون يقولون آمنا به ، كما قال في
تلك الآية لما كان مراده مجرد الاخبار بالايان جمع بين الطائفتين .

قالوا : وأما الذم فانما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة ، وابتغاء
تأويله ، وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا
يطلبون الا المتشابه لافساد القلوب ، وهى فتنتها به ، ويطلبون تأويله وليس
طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء ، بسـل لأجل الفتنة ، وكذلك صبيح بن
عسل ضربه عمر ؛ لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة ، وهذا كن
يورد اسئلة واشكالات على كلام الغير ، ويقول ماذا اريد بكذا وغرضه
التشكيك والطعن فيه ، ليس غرضه معرفة الحق ، وهؤلاء هم الذين عناهم النبي
ﷺ بقوله : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه » ولهذا (يتبعون) أى
يطلبون المتشابه ويقصدونه دون الحكم ، مثل المتبع للشيء الذى يتحرأه
ويقصده ، وهذا فعل من قصده الفتنة .

وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه ،
وهو عالم بالحكم متبع له ، مؤمن بالمتشابه ، لا يقصد فتنة ، فهذا لم يذمه الله ،
وهكذا كان الصحابة يقولون رضى الله عنهم : مثل الأثر المعروف الذى رواه

ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني وقد ذكره الطلمنكي^(٤٩٧) حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية ثنا عتبة بن ابي حكيم ثنى عمارة بن راشد الكناني عن زياد عن معاذ بن جبل قال : يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى ونية يغلبيه فلى الرأس ، يلتمس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم ، أولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى ، ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يغلبيه فلى الرأس .
فأ تبين له منه عمل به ، وما اشتبه عليه وكله الى الله ، ليتفقهن فيه فقها ما فقهه قوم قط ، حتى لو ان احدهم مكث عشرين سنة ، فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه ، أو يفهمه اياها من قبل نفسه . قال بقية اشهدنى ابن عيينة حديث عتبة هذا .

فهذا معاذ ينم من اتبع المتشابه لقصد الفتنة ، وأما من قصده الفقه فقد أخبر ان الله لا بد أن يفقهه بفهمه المتشابه فقها ما فقهه قوم قط ، قالوا : والدليل على ذلك ان الصحابة كانوا اذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك ، كما سألوه عمر فقال : ألم تكن تحدثنا أنا نأتى البيت ونطوف به ؟^(٤٩٥)

وسأله ايضا عمر : ما بالنا تقصر الصلاة ، وقد أمنا ؟^(٤٩٦)
ولما نزل قوله : ﴿ وَ لَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ يَظْلُمْ ﴾ شق عليهم وقالوا : أينما

(٤٩٢) ابو اسحاق ، ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق ، الجوزجاني .

من علماء الحديث ، صنف كتابا في الجرح والتعديل والضعفاء . توفي سنة ٢٥٦هـ .

راجع تذكرة الحفاظ (٥٤٩/٢) تهذيب التهذيب (١٨١/١ - ١٨٢) شذرات (١٣٧/٢) تاريخ التراث (٣٦٢/١) .

(٤٩٣) الطلمنكي (يفتح الطاء المهملة واللام والميم ، وسكون التون بعدها كاف) نسبة الى طلمنك مدينة بالاندلس .

وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي عيسى ، الحافري ، الاندلسي .

كان من محور العلم وكان حبا في حفظ علوم القرآن ، قراءته ، ولفته ، واهوابه واحكامه ومنسوخه ، و

معانيه . صنف كتابا كثيرة في السنة . توفي سنة ٤٢٩هـ .

انظر ترجمته في الصلة (٤٤/١) التذكرة (١٠٩٨/٣) الديباج (١٧٨/١ - ١٨٠) الواقي (٣٢/٨) طبقات الداودي

(٣٧/١) السير (٥٦٦/١٧ - ٥٦٨) .

(٤٩٤) عتبة بن ابي حكيم الهرواني ، قال الحافظ في التتريب : صدوق يغلط كثيرا ، و عمارة بن راشد بن كنانة .

قال ابن ابي حاتم في الجرح : مجهول وتعبه الذهني في اللبان ، وقال : حله الصدق .

و زياد لم أعرفه .

(٤٩٥) وذلك بعد الصلح الحديبية . راجع البخاري في الشروط (١٧٨/٢ - ١٨٤) واخرجه احمد (٣٣٠/٤) .

(٤٩٦) اخرجه مسلم عن يعلى بن امية (٤٧٨/١) .

واخرجه ايضا الترمذي (٢٤٢/٥) والنسائي (١١٧/٢) وابن ماجه (٣٣٧/١) راجع (١٠٦٥) .

وهذا ايضا مما يحتجون به ، ويقولون التشابه أمر نسبي اضافى فقد يشتهبه على هذا مالا يشتهبه على غيره ، قالوا ؛ ولأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدى وشفاء ونور ، ولم يستثن منه شيئا عن هذا الوصف ، وهذا ممتنع بدون فهم المعنى ، قالوا ؛ ولأن من العظيم أن يقال : ان الله أنزل على نبيه كلاما لم يكن يفهم معناه ، لا هو ولا جبريل ، بل وعلى قول هؤلاء كان النبي ﷺ يحدث باحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن عندهم ، ولم يكن يعرف معنى ما يقوله ، وهذا لا يظن بأقل الناس .

وأيا فالكلام انما المقصود به الافهام ، فاذا لم يقصد به ذلك كان عشا وباطلا ، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث ، فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام ينزله على خلقه لا يريد به إفهامهم ، وهذا من أقوى حجج الملحدين .

وأيا فما فى القرآن آية الا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم باحسان فى معناها ، و بينوا ذلك ، واذا قيل فقد يختلفون فى بعض ذلك . قيل كما قد يختلفون فى آيات الأمر والنهى ، وآيات الامر والنهى مما اتفق المسلمون على أن الراسخين فى العلم يعلمون معناها ، وهذا أيضا مما يدل على أن الراسخين فى العلم يعلمون تفسير التشابه ، فان التشابه قد يكون فى آيات الأمر والنهى ، كما يكون فى آيات الخبر ، وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها ، فكذلك الاخرى ، فانه على قول النفاة لم يعلم معنى التشابه الا الله ، لا ملك ولا رسول ولا عالم ، وهذا خلاف إجماع المسلمين فى متشابه الأمر والنهى .

وأيا فلفظ التأويل يكون للمحكم ، كما يكون للتشابه ، كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك ، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى التشابه ، وأى فضيلة فى التشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده ، فأى فضيلة فى التشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه ؟ وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا ، ولم يذكر فى القرآن آية تدل على وقت الساعة ، ونحن نعلم ان الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها ، وانما النزاع فى كلام أنزله ، وأخبر انه هدى وبيان وشفاء ، وأمر بتدبره ، ثم يقال ان منه ما لا يعرف معناه الا الله ، ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذى لا

يعرف أحد معناه ، ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يحملها من التشابه بمجرد دعواه .

ثم سبب نزول الآية : قصة أهل نجران ، وقد احتجوا بقوله ﴿ اِنَّا ﴾ و﴿ نحن ﴾ وبقوله : ﴿ كَلِمَةً مِّنْهُ ﴾ و﴿ رُوحٌ مِّنْهُ ﴾ ، وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه ، فكيف يقال : ان التشابه لا يعرف معناه لا للملائكة ولا الانبياء ، ولا أحد من السلف ، وهو من كلام الله الذي أنزله إلينا ، وأمرنا ان نتدبره ونعقله ، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء ونور ، وليس المراد من الكلام الا معانيه ، ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لامعنى له .

وقد قال الحسن : ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيها ذا أنزلت ، وماذا عني بها .

ومن قال : ^(٥٠١) أن سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم في ﴿ الم ﴾ بحساب الجمل ، فهذا ثقل باطل .

أما أولا : فلأنه من رواية الكلبي .

وأما ثانيا : فهذا قد قيل انهم قالوه في اول مقدم النبي ﷺ الى المدينة ، وسورة آل عمران انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر ، وفيها فرض الحج ، وانما فرض سنة تسع أو عشر ، لم يفرض في اول الهجرة باتفاق المسلمين .

وأما ثالثا : فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الأمة ، ليس هو من تأويل القرآن الذي استأثر الله بعلمه ، بل اما أن يقال انه ليس مما اراده الله بكلامه ، فلا يقال انه انقرد بعلمه ، بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل ، واما أن يقال بل يدل عليه فقد علم بعض الناس ما يدل عليه ، وحينئذ فقد علم الناس ذلك ، أما دعوى دلالة القرآن على ذلك ، وان أحدا لا يعلم فهذا هو الباطل .

(٥٠١) أخرجه الطبري من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٩٢/١) وانظر الدر المنثور (١٤٦/٢ - ١٤٧) .

وايضا فاذا كانت الامور العلمية التي أخبر الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول ، كان هذا من أعظم قدح الملاحدة فيه ، وكان حجة لما يقولونه من أنه كان لا يعرف الأمور العلمية ، أو أنه كان يعرفها ولم يبينها ، بل هذا القول يقتضى انه لم يكن يعلمها ، فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي ولا غيره .

وبالجملة : فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول : إن في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره .

نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء ، فضلا عن غيرهم ، وليس ذلك في آية معينة ، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا ، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره ، وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق ، وتارة لعدم التدبر التام ، وتارة لغير ذلك من الاسباب ، فيجب القطع بان قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ .

ان الصواب قول من يجعله معطوفا ، ويجعل الواو لمطف مفرد على مفرد ، او يكون كلا القولين حقا ، وهى قراءتان ، والتأويل المنفى غير التأويل المثبت ، وان كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفى عنه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه انه قال : انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ان الراسخين لا يعلمون تأويله .

وجاء عنه انه قال : ^(٥٠٢) التفسير على اربعة اوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ، وان فيه ما لا يعلمه الا الله . فاما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وجعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .

(٥٠٢) أخرجه الطبري (٣٤/١) ورواه ايضا مرفوعا بسند فيه الكلفي . وانظر الدر المنثور (١٥٢/٢) .

- وأما التأويل بالمعنى الثالث ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى الاحتمال المرجوح ، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة ، بل ولا التابعين ، بل ولا الأئمة الأربعة ، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا في القرون الثلاثة ، بل ولا علمت أحدا منهم خص لفظ التأويل بهذا ، ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعا في عرف كثير من المتأخرين ، فظنوا أن ٨
- التأويل في الآية هذا معناه ، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه ، وفرقوا دينهم بعد ذلك ، و صاروا شيعا ، وللمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد ، وإنما الخطأ في فهم السامع . نعم قد يقال : ان مجرد هذا الخطأ لا يبين كمال المطلوب ، ولكن فرق بين عدم دلالة على المطلوب ، وبين دلالة على نقض المطلوب ، فهذا ١٠
- الثاني هو المنفى ؛ بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل البتة ، كما قد بسط في موضعه .

- ولكن كثير من الناس يزعم ان لظاهر الآية معنى ، اما معنى يعتقده واما معنى باطلا فيحتاج الى تأويله ، ويكون ما قاله باطلا لا تدل الآية على معتقده ، ولا على المعنى الباطل ، وهذا كثير جدا ، وهؤلاء هم الذين يعملون ١٥
- القرآن كثيرا ما يحتاج الى التأويل المحدث ، وهو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله .

- ومما يحتاج به من قال الراسخون في العلم يعملون التأويل : ما ثبت في صحيح البخاري وغيره — عن ابن عباس : « ان النبي ﷺ دعا له وقال : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . ٢٠
- فقد دعا له بعلم التأويل مطلقا ، وابن عباس فسر القرآن كله .
- قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من اوله الى آخره ، أفقه عند كل آية وأسأله عنها ، وكان يقول : أنا من الراسخين في العلم ، الذين يعملون تأويله .

(٥٠٣) لم يخرجه البخاري بهذا اللفظ فسنده في الوضوء (٤٥/١) اللهم فقهه في الدين . في العلم (٣٧/١) وفي الاحتصام (١٣٨/٨) اللهم علمه الكتاب — . وفي مناقب الصحابة (٢١٧/٤) اللهم علمه الحكمة . وراجع فتح الباري (١٦٧/١ - ١٧٠) .

نعم أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ (٣٣٥، ٣٣٨، ٣١٤، ٣٢٧/١) وابن سعد في طبقاته (٣١٥/٢) .

١٠ وأيضاً فالتقول متواترة عن ابن عباس رضى الله عنها أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الأمر والخبر، فله من الكلام في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصاص، ومن الكلام في الأمر والنهى والاحكام ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القرآن.

٥ وأيضاً قد قال ابن مسعود: ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم بماذا أنزلت.

١٠ وأيضاً فانهم متفقون على ان آيات الاحكام يعلم تأويلها، وهى نحو خمسمائة آية، وسائر القرآن خبر عن الله واسمائه وصفاته، او عن اليوم الآخر والجنة والنار، او عن القصص، وعاقبة أهل الايمان، وعاقبة أهل الكفر، فان كان هذا هو المتشابه الذى لا يعلم معناه إلا الله، فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه، لا الرسول ولا أحد من الامة، ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة.

١٥ وأيضاً فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذى يخبر به، فان دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جمهور الناس؛ بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه، فاذا كان الله قد علم عباده تأويل الاحاديث التى يرونها فى المنام، فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربى المبين الذى ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأخرى، قال يعقوب ليوسف: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَنُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (٥٠٥) وقال يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (٥٠٦)

٢٠ وقال: ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ (٥٠٧)

وأيضاً فقد ذم الله الكفار بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتِلُوا رَسُولَهُ مِثْلَهُ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ (٥٠٨)

(٥٠٤) أخرجه الطبرى (٣٧١) . (٥٠٦) سورة يوسف (١٠١/١٢) . (٥٠٨) سورة يونس (٢٨/١٠ - ٣٩) .

(٥٠٥) سورة يوسف (١٧/١٢) . (٥٠٧) سورة يوسف (٣٧/١٢) .

وقال : ﴿ وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ يَوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَا كُنْتُمْ تَطْلُمُونَ ﴾^(٥٠٩)

وهذا ذم لمن كذب بما لم يحيط بعلمه .

- فما قاله الناس من الاقوال المختلفة في تفسير القرآن وتأويله ليس لأحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ، ولا يكذب بشيء منها ، الا ان يحيط بعلمه ، وهذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذى اريد بالآية ، فيعلم ان ما سواه باطل ، فيكذب بالباطل الذى احاط بعلمه ، وأما إذا لم يعرف معناها ، ولم يحيط بشيء منها علما ، فلا يجوز له التكذيب بشيء منها ، مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا ، ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالاقوال المتناقضة ، والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل ، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

- وايضا فانه ان بقى على ما يعتقد من انه لا يعلم معاني الآيات الخبرية إلا الله لزمه أن يكذب كل من احتج بأية من القرآن خبرية على شيء من امور الايمان بالله واليوم الآخر ، ومن تكلم في تفسير ذلك ، وكذلك يلزم مثل ذلك في احاديث الرسول ﷺ ، .

- وان قال : المتشابه هو بعض الخبريات ، لزمه أن يبين فصلا يتبين به ما يجوز ان يعلم معناه من آيات القرآن ، ومالا يجوز أن يعلم معناه ، بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا أحد من الصحابة ، ولا غيرهم . ومعلوم أنه لا يمكن أحدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس ، وبين مالا يجوز أن يعلم معناه أحد . ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه ، فلم أن المتشابه ليس هو الذى لا يمكن أحدا معرفة معناه ، وهذا دليل مستقل في المسألة .

وايضا فقله : ﴿ لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾^(٥١٠) .
﴿ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾^(٥١١) .

سورة النمل (٨٤/٢٧) .

(٥١١)

(٥٠٩) سورة النمل (٨٢/٢٧ - ٨٤) .

(٥١٠) سورة يونس (٣٦/١٠) .

ثم لم على عدم الاحاطة مع التكذيب ، ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم التشابه لم يكن في ذمهم هذا الوصف فائدة ، ولكن الذم على مجرد التكذيب ، فان هذا بمنزلة أن يقال أكنبتم بما لم تحيطوا به علما ولا يحيط به علما إلا الله ؟ ومن كذب بما لا يعلمه إلا الله كان أقرب إلى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس ، فلو لم يحيط بها علما الراسخون كان ترك هذا الوصف اقوى في ذمهم من ذكره .

ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل في المسألة : وهو ان الله ذم الزائغين بالجهل وسوء القصد ، فانهم يقصدون التشابه يبتغون تأويله ، ولا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم ، وليسوا منهم ، وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٥١٢) فان المعنى بقوله : ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ افهمهم القرآن

يقول : لو علم الله فيهم حسن قصد وقبولا للحق لأفهمهم القرآن . لكن لو أفهمهم لتولوا عن الايمان وقبول الحق لسوء قصدهم ، فهم جاهلون ظالمون ، كذلك الذين في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد ، مع طلب علم مالىسوا من أهله ، وليس إذا عيب هؤلاء على العلم ومُنصوه يعاب من حسن قصده وجعله الله من الراسخين في العلم .

فان قيل : فاكثر السلف على ان الراسخين في العلم لا يعطون التأويل ، وكذلك اكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وعروة ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز ، والفراء ، وإبي عبيد ، وثعلب ، وابن الأنباري .

قال ابن الأنباري ^(٥١٣) : في قراءة عبد الله : إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم .

(٥١٢) سورة الانفال (٢٣/٨) .

(٥١٣) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٥٤/١) .

وفي قراءة أبي وابن عباس : ويقول الراسخون في العلم ، قال : وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥١٤) .

وقوله : ﴿ وَاقْرُؤُوا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾^(٥١٥) .

فانزل المحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ، ويكفر به الكافر فيشقى .

قال ابن الانباري : والذي روى القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد .

فيقال قول القائل : ان اكثر السلف على هذا: قول بلا علم ، فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه .

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت : « كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بحكمه وبمشابهه ولا يعلمونه »^(٥١٦) .

فقد روى البخاري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها الحديث المرفوع في هذا ، وليس فيه هذه الزيادة ولم يذكر أنه سمعها من القاسم ، بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك ، وكذلك نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم .

وما ذكر من قراءة ابن مسعود وإبي بن كعب ليس لها اسناد يعرف حق محتج بها ، والمعروف عن ابن مسعود انه كان يقول :^(٥١٨) ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما ذا أنزلت ، وماذا عني بها .

وقال ابو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن : عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .

(٥١٤) سورة الاحزاب (١٣/٢٢) . (٥١٧) في تفسير سورة آل عمران (١٦٧/٥) .

(٥١٥) سورة الفرقان (٢٥/٢٨) . (٥١٨) أخرجه الطبري (٣٧١) وقد مر .

(٥١٦) أخرجه ابن جرير الطبري (١٨٢/٣) . (٥١٩) نفس المرجع (٩٢/١) و مر ايضا .

وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير ، وله اسناد معروف ، بخلاف ما ذكر من قراءتها .

وكذلك ابن عباس قد عرف عنه انه كان يقول : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه دعا له يعلم تأويل الكتاب ، فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله: إن تأويله إلا عند الله لا تناقض هذا القول ، فان نفس التأويل لا يأتي به إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾^(٥٢٠) وقال : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٥٢١)

وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من التشابه ، وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به ، وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو ، وليس في القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله ، كما قال في الساعة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾^(٥٢٢)

وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ؟ ! قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾^(٥٢٣)

فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضي نفى العلم عن الراسخين لكانت : « ان علم تأويله إلا عند الله » لم يقرأ أن تأويله إلا عند الله ، فان هذا حق بلا نزاع ، وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس ، فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه ، وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد ، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري .

سورة الأعراف (١٨٧/٧ - ١٨٨) (٥٢٠) سورة الأعراف (٥٢/٧)

(٥٢٢) سورة طه (٥١/٢٠ - ٥٢)

(٥٢١) سورة يونس (٣٦/١٠)

(٥٢٣) سورة طه (٥١/٢٠ - ٥٢)

قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير ، وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه : ان تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفسيرات ، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد ، الا أن يكون نظيره في الصحة ، ثم معه ما يصدقه ، وهو قوله : عرضت للمصحف على ابن عباس أفقه عند كل آية وأسأله عنها .

وأيضاً فابن كعب رضي الله عنه قد عرف عنه انه كان يفسر ما تشابه من القرآن ، كما فسر قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾^(٥٢٥) .
وفسر قوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٥٢٦) .
وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾^(٥٢٧) . وغير ذلك .

وتقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من تقل هذه القراءة التي لا يعرف لها اسناد ، وقد كان يسئل عن المتشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر ، وسئل عن ليلة القدر .

وأما قوله : ان الله أنزل المجلد ليؤمن به المؤمن ، فيقال هذا حق ، لكن هل في الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام المجلد ؟ أم العلماء متفقون على أن المجلد في القرآن يفهم معناه و يعرف ما فيه من الاجمال ، كما مثل به من وقت الساعة ، فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة ، وأنها آتية لا محالة ، وإن الله انفرد بعلم وقتها ، فلم يطلع على ذلك أحدًا ، ولهذا قال النبي ﷺ لما سأله السائل عن الساعة ، وهو في الظاهر أعراي لا يعرف قال له : متى الساعة ؟ « قال : ما المسئول عنها باعلم من السائل » .

(٥٢٤) راجع تفسير الطبري (٤٠/١) . (٥٢٥) سورة مريم (١٧/١٩) وتفسيره أخرجه الحاكم (٣٧٢/٢) .

(٥٢٦) سورة النور (٢٥/٢٤) وراجع تفسيره عند الطبري (١٣٥/١٨ - ١٣٨) وانظر الدر المنثور (١٩٧/٦) .

(٥٢٧) سورة الاعراف (١٧٢/٧) أخرجه تفسيره الحاكم في المستدرک (٢٣٢/٢) والطبري (١١٥/٩) وانظر الدر المنثور (٦٠٠/٣) .

(٥٢٨) أخرجه البخاري ومسلم — وهو عند البيهقي في شعب الايمان وانظر تحريجه هناك .

ولم يقل : ان الكلام الذى نزل فى ذكرها لا يفهمه أحد ، بل هذا خلاف
اجماع المسلمين ، بل العقلاء ؛ فان اخبار الله عن الساعة وأشراتها كلام بين
واضح يفهم معناه .

وكذلك قوله : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٥٢٩) قد علم المراد بهذا
الخطاب ، وان الله خلق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم إلا الله .
كما قال : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جَنَّاتُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٥٣٠) فإى شيء فى هذا مما يدل
على ان ما اخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا
من الملائكة ولا من الانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم ؟ ! .

وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه انه كان لا يفسر عامة
آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ، ومعلوم أنه إذا لم يعرف عروة
التفسير لم يلزم انه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين ، وعلماء الصحابة ؛
كأبن مسعود ، وأبى بن كعب ، وابن عباس . وغيرهم .

وأما اللغويون الذين يقولون ان الراشدين لا يعلمون معنى المتشابه فهم
متناقضون فى ذلك ، فان هؤلاء كلهم يتكلمون فى تفسير كل شيء فى القرآن ،
ويتوسعون فى القول فى ذلك ، حتى ما منهم أحد الا وقد قال فى ذلك أقوالا لم
يسبق إليها ، وهى خطأ . وابن الانبارى الذى بالغ فى نصر ذلك القول هو من
أكثر الناس كلاما فى معانى الآي المتشابهات ، يذكر فيها من الاقوال ما لم ينقل
عن أحد من السلف ، ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة ، وقصده
بذلك الانكار على ابن قتيبة ، وليس هو اعلم بمعانى القرآن والحديث ، واتبع
للسنة من ابن قتيبة ، ولا افقه فى ذلك . وان كان ابن الانبارى من احفظ
الناس للغة ؛ لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة .

وقد تم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبى عبيد أشياء من تفسيره
غريب الحديث ، وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك ، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله
من أهل العلم ، وهو وأمثاله يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى ، فان كان المتشابه
لا يعلم معناه إلا الله ، فهم كلهم يجترئون على الله ، يتكلمون فى شيء لا سبيل
الى معرفته ، وان كان ما بينوه من معانى المتشابه قد أصابوا فيه — ولو فى كلمة

سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٥٣٠)

(٥٢٩) سورة الفرقان (٢٨/٢٥) .

واحدة — ظهر خطوهم في قولهم : ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، ولا يعلمه أحد من المخلوقين ، فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا .

ومعلوم أنهم أصابوا في شيء كثير مما يفسرون به المتشابه ، وأخطأوا في بعض ذلك ، فيكون تفسيرهم هذه الآية مما اخطأوا فيه العلم اليقيني ، فانهم أصابوا في كثير من تفسير المتشابه .

وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، فكتابه في التفسير من أشهر الكتب ، ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه ، ورواية سعيد بن ابى عروبة عنه ، ولهذا كان المصنفون في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل عنه ، ومع هذا يفسر القرآن كله محكه ومتشابه .

والذى اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بان المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع كالجهمية والقدرية من المعتزلة وغيرهم ، فصار أولئك يتكلمون في تأويل القرآن برأيهما الفاسد ، وهذا أصل معروف لأهل البدع ، أنهم يفسرون القرآن برأيهما العقلى ، وتأويلهم للفقوى ، فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما اراده الله ورسوله ، فانكار السلف والأئمة هو لهذه التأويلات الفاسدة ، كما قال الامام أحمد في ما كتبه في « الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله »^{*} فهذا الذى أنكره السلف والأئمة من التأويل .

فجاء بعدهم قوم انتسبوا إلى السنة بغير خبرة تامة بها ، وبما يخالفها ، وظنوا ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، فظنوا ان معنى التأويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين : وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح ، فصاروا في موضع يقولون وينصرون ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله . ثم يتناقضون في ذلك من وجوه :

أحدها : أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ، ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ، ولهذا يبتطلون كل تأويل يخالف الظاهر ، ويقولون المعنى

الظاهر ، ويقولون مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتأويل عندهم ما يناقض الظاهر ، فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر ، وقد قرر معناه الظاهر ، وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم ، حتى أنكروا ذلك ابن عقيل على شيخه القاضي ابى يعلى .

ومنها انا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف قولهم ، لا في مسألة أصلية ، ولا فرعية ، الا تأولوا ذلك النص بتأويلات متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه ، من جنس تأويلات الجهمية والقدرية للنصوص التي تخالفهم ، فاين هذا من قولهم : لا يعلم معاني النصوص المتشابهة الا الله تعالى ؟ ! واعتبر هذا بما تجده في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة في مسائل الصفات والقرآن والقدر ، إذا احتجت المعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض قول هؤلاء ، مثل أن يحتجوا بقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ﴾ ^(٥٣١)

﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ ^(٥٣٢)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٥٣٣)

﴿ لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارَ ﴾ ^(٥٣٤)

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٥٣٥)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ ^(٥٣٦)

ونحو ذلك ، كيف تجردم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها فاسد ، وان كان في بعضها حق ، فان كان ما تأولوه حقا ، دل على أن الراسخين في العلم يعملون تأويل المتشابه ، فظهر تناقضهم ، وان كان باطلا فذلك أبعد لهم .

وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في الهنة الذي قد صار للمسلمين معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله) تكلم على معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله آية آية ، وبين معناها ، وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين ، واحتج على ان الله يرى ، وان

(٥٣١) سورة البقرة (٢٠٥/٢) .

(٥٣٢) سورة الزمر (٧٨/٣٦) .

(٥٣٣) سورة البقرة (٣٠/٢) .

(٥٣٤) سورة الانعام (١٠٢/٦) .

(٥٣٥) سورة يس (٨٢/٣٦) .

(٥٣٦) سورة البقرة (٣٠/٢) .

(٥٣٢) سورة الزمر (٧٨/٣٦) .

(٥٣٣) سورة الزايات (٥٦/٥١) .

القرآن غير مخلوق ، وإن الله فوق العرش ؛ بالحجج العقلية والسمعية ، ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية ، و بين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة ، وفسرها آية آية ، وكذلك لما ناظره واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية ، وحديثاً حديثاً ، ويبين فساد ما تأولها عليه الزائفون ، ويبين هو معناها ، ولم يقل أحد إن هذه الآيات والأحاديث لا يفهم معناها إلا الله ، ولا قال أحد له ذلك ، بل الطوائف كلها مجتمعة على إمكان معرفة معناها ، لكن يتنازعون في المراد كما يتنازعون في آيات الأمر والنهي ، وكذلك كان أحد يفسر المتشابه من الآيات والأحاديث التي يحتج بها الزائفون من الخوارج وغيرهم ، كقوله :^(٥٣٧)

- « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية ، وقول الخوارج ، والمعتزلة .

وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابه على قولها ، ولم يقل أحد لا من أهل السنة ، ولا من هؤلاء ، لما يستدل به هو ، أو يستدل به عليه منازعه : هذه آيات وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر ، فامسكوا عن الاستدلال بها :

وكان الإمام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ، والتابعين ، الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن ، كما بلغهم ألفاظه ، ونقلوا هذا كما نقلوا هذا ، لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ، ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعمل به الراسخون ، وهم مبطلون في ذلك ، لا سيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة ، وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم .

ولكن هؤلاء يعترفون بأنهم لا يعملون التأويل ، وإنما غايتهم أن يقولوا : ظاهر هذه الآية غير مراد ، ولكن يحتمل أن يراد كذا ، وأن يراد كذا ، ولو تأولوا الواحد منهم بتأويل معين ، فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله ، بل يجوز

(٥٣٧) أخرجه البخاري ومسلم وغيرها وراجع تخريجه في شعب الإيمان للبيهقي .

أن يكون مراد الله و رسوله عندهم غير ذلك ، كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب ، كما يذكرونه في قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ^(٥٣٨) .

و « ينزل ربنا » ^(٥٣٩) .

و ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٥٤٠) .

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ .

﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥٤١) .

و ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٥٤٢) .

وامثال ذلك من النصوص فان غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك ، وليس هذا علما بالتأويل ، وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ، ولم يعرف المراد ، فانه لم يعرف تفسير ذلك و تأويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد .

ومن زعم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تفيد العلم ، فضنون مدلولاته لا يعلم احد تفسير الحكم ، ولا تفسير التشابه ، ولا تأويل ذلك ، وهذا اقرار منه على نفسه بانه ليس من الراسخين في العلم الذين يعملون تأويل التشابه ، فضلا عن تأويل الحكم ، فاذا انضم إلى ذلك أن يكون كلامهم في العقلية فيه من السفطة والتلبيس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لا معرفة بالسمعية ولا بالعقلية ، وقد أخبر الله عن أهل النار انهم قالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٥٤٣) .

ومدح الذين إذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يفقهون و يعقلون ، وذم الذين لا يفقهون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه ،

(٥٣٨) سورة الفجر (٢٢/٨٩) .

(٥٣٩) حديث النزول روى بطرق متعددة . راجع شعب الايمان — وانظر شرح حديث النزول للمؤلف .

(٥٤٠) سورة طه (٥/٢٠) .

(٥٤١) سورة الفتح (٦/١٨) .

(٥٤٢) سورة يس (٨٢/٣٦) .

(٥٤٣) سورة الملك (١٠/٦٧) .

وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق ، وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات ، وهم يعملون ألفاظاً لهم بحجة متشابهة تتضمن حقاً و باطلاً ، يعملونها هي الأصول المحكمة ، و يعملون ما عارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذى لا يعلم معناه عندهم الا الله ، وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد ، فيجملون البراهين شبهات ، والشبهات براهين ، كما قد بسط ذلك فى موضع آخر .

وقد نقل القاضى أبو يعلى عن الامام أحمد انه قال : الحكم ما استقل بنفسه ، ولم يحتج الى بيان ، والمتشابه ما احتاج الى بيان ، وكذلك قال الامام احمد فى رواية .

والشافعى قال : الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحداً ، والمتشابه ما احتل من التأويل وجوها وكذلك قال الامام احمد ، وكذلك قال ابن الأنبارى^(٥٤٤) : الحكم ما لم يحتمل من التأويل الا وجهها واحداً ، والمتشابه الذى تعتوره التأويلات فيقال حينئذ فجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون فى معانى القرآن التى تحتل التأويلات .

وهؤلاء الذين ينصرون أن الراسخين فى العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاماً فيه .

والأئمة كالشافعى وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معانى ، ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة فى جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية ، ولا يعرف عن عالم من علماء المسلمين أنه قال عن نص احتج به محتج فى مسألة : ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ، ولو قال أحد ذلك لقليل له مثل ذلك ، وإذا ادعى فى مسائل النزاع المشهورة بين الأئمة ان نصه محكم يعلم معناه ، وإن النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه ، قوبل بمثل هذه الدعوى ، وهذا بخلاف قولنا : ان من النصوص ما معناه جلى واضح ظاهر لا يحتمل إلا وجهها واحداً لا يقع فيه اشتباه ، ومنها ما فيه خفاء ، واشتباه يعرف معناه الراسخون فى العلم ، فان هذا تفسير صحيح ، وحينئذ فالخلف فى المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه ، فن قال انه يعرف معناه يبين حجته على ذلك .

(٥٤٤) راجع تفسير ابن الجوزى (٢٥١/١) .

وأيضا فما ذكره السلف والخلف في التشابه يدل على انه كله يعرف معناه .
فن قال : ان التشابه هو المنسوخ فعني المنسوخ معروف ، وهذا القول مأثور عن
ابن مسعود ، وابن عباس وقتادة ، والسدى وغيرهم^(٥٤٥)
وابن مسعود وابن عباس ، وقتادة ، هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في
العلم لا يعلمون تأويله ، ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى
المنسوخ ؛ وأنه منسوخ ، فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ، ويدل على
أنه كذب ان كان هذا صدقا ، والا تعارض النقلان عنهم ، والمنقول عنهم ان
الراسخين يعلمون معنى التشابه .

والقول الثاني مأثور عن جابر بن عبد الله^(٥٤٦) أنه قال : الحكم ما علم العلماء
تأويله ، والتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل ، كقيام الساعة ، ومعلوم
ان وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على انه لا يعلمه إلا الله ، فاذا أريد
بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله إلا الله ، وهذا حق ،
ولا يدل ذلك على انه لا يعرف معنى الخطاب بذلك ، وكذلك ان اريد
بالتأويل حقائق ما يوجد ، وقيل لا يعلم كيفية ذلك إلا الله ، فهذا قد
قدمناه ، وذكر انه على قول هؤلاء من وقف عند قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾
إلا الله ﷻ هو الذي يجب أن يراد بالتأويل . وأما ان يراد بالتأويل التفسير ،
ومعرفة المعنى ويوقف على قوله إلا الله ، فهذا خطأ قطعيا مخالف للكتاب
والسنة ، وإجماع المسلمين .

ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ، ويقول ما
يناقضه . وهذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ، ويوجب
القدح في الرسالة ، ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه ، وحقيقته بل
اطلقوه وكان أكبر قصدم دفع تأويلات أهل البدع للتشابه . وهذا الذي
قصدوه حق ، وكل مسلم يوافقهم عليه ؛ لكن لا ندفع باطلا بباطل آخر ، ولا
نرد بدعة ببدعة ، ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال : الرسول ﷺ
والصحابه كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ، ففى هذا من الطعن في
الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض
الآيات ، والعامل لا يبنى قصرا ويهدم مصرا .

(٥٤٦) نفس المرجع (١٧٥/٣) .

(٥٤٥) راجع تفسير الطبري (١٧٢/٣ - ١٧٣) .

- والقول الثالث : ان المتشابه الحروف المقطعة في اوائل السور ، يروى هذا عن ابن عباس^(٥٤٧) ، وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الاسمية والفعلية ، وانما هي اسماء موقوفة . ولهذا لم تمرّب ، فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما نطق بها موقوفة ، كما يقال : ا ب ت ث ، ولهذا تكتب بصورة الحرف ، لا بصورة الاسم الذي ينطق به ، فانها في النطق اسماء ، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد ، قالوا : ز ، قال : نطقم بالاسم ، وانما النطق بالحرف زه ، فهي في اللفظ أسماء ، وفي الخط حروف مقطعة ، ﴿الم﴾ لاتكتب الف لام ميم ، كما يكتب قول النبي ﷺ « من قرأ القرآن فاعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول — حرف ، ولكن « الف » حرف ، و « لام » حرف ، و « ميم » حرف » .^(٥٤٨)

- والحرف في لغة الرسول ﷺ واصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلًا وحرفًا ، ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل . فانه لما كان معروفا من اللغة ان الاسم حرف ، والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل ، وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام .

- واما حروف الهجاء فتلك انما تكتب على صورة الحرف المجرد ، وينطق بها غير معربة ، ولا يقال فيها معرب ولا مبني ؛ لأن ذلك انما يقال في المؤلف ، فاذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود ، فانه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، ثم يقال : هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس ، فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه ، وان لم يكن معروفا وهي المتشابه كان ما سواه معلوم المعنى . وهذا المطلوب .

(٥٤٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣٥١/١) .

(٥٤٨) رواه الترمذي عن ابن مسعود ولفظه : من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة عشر أمثالها لأقول « الم » حرف . . . (١٧٥/٥) واخرجه الحاكم بنحوه (٥٦٦/١) .

وايضا فان الله تعالى قال : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرٌ مُّتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(٥٤١) وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء ، وأما بعدها آيات الكوفيين .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح : يدل على ان غيرها ايضا متشابه ، ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء .

والرابع : أن التشابه ما اشتبهت معانيه ، قاله مجاهد ^(٥٥٠) ، وهذا يوافق قول أكثر العلماء ، وكلهم يتكلم في تفسير هذا التشابه ، ويبين معناه .

والخامس : أن التشابه ما تكررت الفاظه ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ^(٥٥١) .

قال الحكم : ما ذكر الله تعالى في كتابه ، من قصص الانبياء ففصله وبينه ، والتشابه هو ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح : ﴿ أُخِيلَ فِيهَا ﴾ ^(٥٥٢) .

وقال في موضع آخر : ﴿ أَسْلَكُ فِيهَا ﴾ ^(٥٥٣) .
وقال في عمى موسى : ﴿ قَادَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ ^(٥٥٤) .

وفي موضع آخر : ﴿ قَادَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴾ ^(٥٥٥) .

وصاحب هذا القول جعل التشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، كما يشتهه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذاك اللفظ ، وقد صنف بعضهم في هذا التشابه ، لأن القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين ، فاشتبه على القارى أحد اللفظين بالآخر ، وهذا التشابه لا ينفي معرفة المعاني بلا ريب ، ولا يقال في مثل هذا ان الراشخين يختصون بعلم تأويله ، فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا ، وان كان ضعيفا لم يضرنا .

(٥٤١) سورة آل عمران (٧/٢) . (٥٥٠) أخرجه الطبري (١٧٢/٢) وراجع تفسير ابن الجوزي (٣٥١/١) .

(٥٥١) راجع تفسير ابن الجوزي وتفسير الطبري (١٧٤/٢) .

(٥٥٢) سورة هود (٤٠/١١) .

(٥٥٣) سورة المؤمنون (٢٧/٢٣) .

(٥٥٤) سورة طه (٢٠/٢٠) .

(٥٥٥) سورة الشعراء (٣٢/٣٦) .

والسادس : انه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد .

والسابع : انه ما احتل وجوها ، كما نقل عن الشافعي ، واحد ، وقد روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال ، إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها .

- وقد صنف الناس « كتب الوجوه والنظائر » فالنظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين ، وأكثر . والوجوه : الذي اختلف معناه ، كما يقال الاسماء المتواطئة والمشاركة ، وان كان بينهما فرق ، وبسطه موضع آخر .

- وقد قيل : هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة ، فتكون كالمتشاركة ، وليس كذلك ؛ بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الاول : وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه ، وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل وجوها فعمل يقينا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه و علم ان من قال إن من القرآن مالا يفهم أحد معناه ، ولا يعرف معناه إلا الله ، فانه مخالف لاجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة .

والثامن : أن المتشابه هو القصص والامثال وهذا ايضا يعرف معناه .

- والتاسع : انه ما يؤمن به ولا يعمل به ، وهذا ايضا مما يعرف معناه .

- والعاشر : قول بعض المتأخرين إن المتشابه آيات الصفات ، وأحاديث الصفات ، وهذا ايضا مما يعلم معناه ، فإن أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على انه يعرف معناها ، والبعض الذي تنازع الناس في معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ، ونفوا علم الناس بكيفيته : كقول مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وكذلك قال سائر أئمة السنة . وحيث أن الفرق بين المعنى المعلوم ، وبين الكيف المجهول ، فان سمي الكيف تأويلا ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه الا الله ، كما قدمناه أولا .

واما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا ، وقيل : ان النبي ﷺ وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا

(٥٥٦) أخرجه أحمد في الزهد (١٣٤) ومن طريقه أبو يعقوب في الحلية (٢١١/١) .

(٥٥٧) راجع كتاب الاقتان للسيوطي (١٤٢/١) .

- يعرفون معنى قوله : ﴿ اَلرَّحْمٰنُ عَلٰى الْعَرْشِ اَسْتَوٰى ﴾ .^(٥٥٨)
 ولا يعرفون معنى قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيْـدَيَّ ﴾ .^(٥٥٩)
 ولا معنى قوله : ﴿ غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ ﴾ .^(٥٦٠)
 بل هنا عندهم بمنزلة الكلام المجمل ، الذى لا يفهمه العربى . وكذلك اذا قيل كان عندهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْاَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوٰىٰتٌ بِيَمِيْنِهِ ﴾ .^(٥٦١)
 وقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ ﴾ .^(٥٦٢)
 وقوله : ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ﴾ .^(٥٦٣)
 وقوله : ﴿ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .^(٥٦٤)
 وقوله : ﴿ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ اَتَتْـهٖـمَ مَا اَسْخَطَ اللّٰهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ .^(٥٦٥)
 وقوله : ﴿ وَاحْسِنُوْا اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ .^(٥٦٦)
 وقوله : ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللّٰهُ لَكُمْ سُبُوْلَكُمْ وَرِـسُوْلَهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ .^(٥٦٧)
 وقوله : ﴿ اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ .^(٥٦٨)
 وقوله : ﴿ فَاَجْرُهُ حَتّٰى يَتَمَيَّعَ كَلَامَ اللّٰهِ ﴾ .^(٥٦٩)
 وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ اَنْ بُرِكَ مِنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوَّلَهَا ﴾ .^(٥٧٠)
 وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا اَنْ يَّاتِيَهُمُ اللّٰهُ فِى ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ .^(٥٧١)
 وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ .^(٥٧٢)
 وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا اَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اَوْ يَّاتِىَ رَبُّكَ اَوْ يَّاتِىَ بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ ﴾ .^(٥٧٣)

(٥٥٨)	سورة طه (٥/٢٠) .	(٥٦٤)	سورة المجادلة (٢٢/٥٨) .	(٥٧٠)	سورة الذل (٨/٢٧) .
(٥٥٩)	سورة ص (٧٥/٣٨) .	(٥٦٥)	سورة محمد (٢٨/٤٧) .	(٥٧١)	سورة البقرة (٢١٠/٢) .
(٥٦٠)	سورة الفتح (٢/٤٨) .	(٥٦٦)	سورة البقرة (١٩٥/٢) .	(٥٧٢)	سورة الفجر (٢٢/٨٩) .
(٥٦١)	سورة الزمر (٦٧/٣٩) .	(٥٦٧)	سورة التوبة (١٠٠/٩) .	(٥٧٣)	سورة الانعام (١٥٨/٦) .
(٥٦٢)	سورة الانعام (١٠٤/٦) .	(٥٦٨)	سورة الزخرف (٣/٤٣) .		
(٥٦٣)	سورة النساء (١٣٤/٤) .	(٥٦٩)	سورة التوبة (٦/٩) .		

وقوله : ﴿ لَمْ اَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٥٧٤)
 وقوله : ﴿ اِنَّمَا اَمْرُهُ اِذَا اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥٧٥) . الى
 أمثال هذه الآيات .

- فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، وعن الصحابة
 والتابعين لهم باحسان ، وأئمة المسلمين والجماعة : أنهم كانوا لا يعرفون شيئا من
 معاني هذه الآيات ، بل استأثر الله بعلم معناها ، كما استأثر بعلم وقت الساعة ،
 وإنما كانوا يقرأون ألفاظا لا يفهمون لها معنى ، كما يقرأ الانسان كلاما لا يفهم
 منه شيئا ، فقد كذب على القوم ؛ والنقول المتواترة عنهم تدل على تقيض هذا ،
 وإنهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن ، وإن كان كنهه الرب
 عز وجل لا يحيط به العباد ، ولا يحصون ثناءً عليه ، فذاك لا يمنع أن يعلموا
 من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى ، كما أنهم اذا علموا أنه بكل شيء
 عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، لم يلزم ان يعرفوا كيفية علمه وقدرته . وإذا
 عرفوا انه حق موجود لم يلزم ان يعرفوا كيفية ذاته .

- وهذا مما يستدل به على ان الراسخين في العلم يعلمون التأويل ، فان الناس
 متفقون على انهم يعرفون تأويل المحكم ، ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما اخبر
 الله به عن نفسه في الآيات المحكمات ، فدل ذلك على ان عدم العلم بالكيفية لا
 ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه ؛ بل يعلمون تأويل
 المحكم والمتشابه ، ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ، ولا في هذا .

- فان قيل : هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به
 التفسير ، وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى .

- قيل لا يقدح في ذلك ، فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في
 القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام ، فان الشيء
 له وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في
 البيان ، فالكلام لفظ له معنى في القلب ، ويكتب ذلك اللفظ بالخط ، فإذا
 عرف الكلام وتصور معناه في القلب ، وعبر عنه باللسان ، فهذا غير الحقيقة
 الموجودة في الخارج ، وليس كل من عرف الاول ، عرف عين الثاني .

مثال ذلك : أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ وخبره ونعمته ، وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره ، وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث ، فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام ، وكذلك الانسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ، ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها ، فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .^(٥٧٦)

وكذلك ارض عرفات هي المذكورة في قوله : ﴿ فَاِذَا أَقْبَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ .^(٥٧٧)

وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ، ووادي عسر ، يعرف أنها المذكورة في قوله : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .

وكذلك الرؤيا يراها الرجل ، ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره : مثل أن يقول : هذا يدل على انه كان كذا ، ويكون كذا وكذا ، ثم اذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ، ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ .^(٥٧٨) وقال : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ .^(٥٧٩)

فقد أنبأها بالتأويل قبل أن يأتي التأويل ، والانباء ليس هو التأويل ، فالنبي ﷺ عالم بالتأويل ، وان كان التأويل لم يقع بعد ، وان كان لا يعرف متى يقع ، فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد ، وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية .^(٥٨٠) وقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ .^(٥٨١)

(٥٨٠) سورة الاعراف (٥٣/٧) .

(٥٨١) سورة الانعام (٦٧/٦) .

(٥٧٦) سورة آل عمران (٩٧/٣) .

(٥٧٧) سورة البقرة (١٩٨/٢) .

(٥٧٨) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٥٧٩) سورة يوسف (٣٧/١٢) .

فنحن نعلم مستقرباً الله ، وهو الحقيقة التي أخبر الله بها . ولا نعلم متى يكون ، وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها ، وسواء في هذا تأويل الحكم والمتشابه . كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾^(٥٨٢)

قال النبي ﷺ إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد .^(٥٨٣)

فقد عرف تأويلها ، وهو وقوع الاختلاف والفتن ، وإن لم يعرف متى يقع ، وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته ، فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية ، وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينسأ بعد ما كان عرفه ، فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن ، فانه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾^(٥٨٤) .
قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما ارانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

وايضا فان الله قد ذم في كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه ، وذم من لم يتدبره ، ومدح من يسمعه ويفقهه ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ لَمْ يَذْكُرُوا ﴾^(٥٨٥) .
فاخير انهم كانوا يقولون لأهل العلم : ماذا قال الرسول في هذا الوقت المتقدم فدل على أن أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون من معاني كلام رسول الله ﷺ ما لا يعرفه غيرهم ، وهؤلاء هم الراسخون في العلم الذين يعلمون معاني القرآن عمكه ومتشابهه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾^(٥٨٦) .
فدل على أن العالمين يعقلونها ، وإن كان غيرهم لا يعقلها .

(٥٨٢) سورة الأنعام (٦٥/١) .

(٥٨٣) أخرجه أحمد (١٧٧/١) والترمذي (٣٦٢/٥) وقد مر .

(٥٨٤) سورة الأنفال (٢٥/٨) .

(٥٨٥) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٤١/٢) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١٨/٩) وانظر الدر المنثور (٤٦/٤) .

(٥٨٦) سورة العنكبوت (٤٣/٢٩) .

(٥٨٧) سورة محمد (١٦/٤٧) .

والامثال : هى المتشابه عند كثير من السلف . وهى الى المتشابه اقرب من غيرها لما بين الممثل والممثل به من التشابه ، وعقل معناها هو معرفة تأويلها الذى يعرفه الراسخون فى العلم دون غيرهم ، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ وَ يَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْقَرِيرِ الْحَمِيدِ ﴾ (٥٨٨)

فلولا انهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا أنه حق وباطل ، وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق أو باطل ؟ !

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالًا ﴾ (٥٨٩)
 وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٥٩٠)
 وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٥٩١)

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (٥٩٢)
 وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُيُتَانًا ﴾ (٥٩٣)

وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥٩٤)
 وقال : ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٥٩٥)

وقال : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا ﴾ (٥٩٦)
 الى قوله : ﴿ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ .

(٥٩٣) سورة الفرقان (٢٥/٢٣) .

(٥٩٤) سورة يوسف (١٢/٢) .

(٥٩٥) سورة هود (١١/١) .

(٥٩٦) سورة فصلت (٤١/٣ - ٥) .

(٥٨٨) سورة سبا (٦٣/٦) .

(٥٨٩) سورة محمد (٤٧/٢٤) .

(٥٩٠) سورة النساء (٤/٨٢) .

(٥٩١) سورة المؤمنون (٢٣/٦٨) .

(٥٩٢) سورة الزمر (٣٩/١٧ - ١٨) .

فاذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يكن التدبير المعقول الا بعضه ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن ، لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالآيات الخبرية ، والاخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار ، وعن نفى الشركاء والاولاد عن الله ، وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا واثباتا ، وما يخبرهم به عن اليوم الآخر ، وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره .

فعلم ان الله يأمر بمقل ذلك وتدبره ، وقد قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّبَّى وَ لَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ٥٩٧ ﴾ .
 وقال : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ٥٩٨ ﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ وَ إِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ، وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ٥٩٩ ﴾ الآية .

وقد استدل بعضهم بان الله لم ينف عن غيره علم شيء الا كان منفردا به ، كقوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ٦٠٠ ﴾ .
 وقوله : ﴿ لَا يَحِيطُ بِهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ٦٠١ ﴾ .
 وقوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ٦٠٢ ﴾ .

فيقال ليس الامر كذلك ، بل هذا بحسب العلم المنفى ، فان كان مما استأثر الله به قيل فيه ذلك ، وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك ، كقوله : ﴿ وَ لَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ٦٠٣ ﴾ .
 وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٦٠٤ ﴾ الى قوله : ﴿ وَ رَصَدًا ٦٠٥ ﴾ .

(٦٠١) سورة الاعراف (١٨٧/٧) .

(٦٠٢) سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٦٠٣) سورة البقرة (٢٥٥/٢) .

(٦٠٤) سورة الجن (٢٧/٧٢) .

(٥٩٧) سورة يونس (٤٢/١٠ - ٤٣) .

(٥٩٨) سورة الانعام (٢٥/٦) .

(٥٩٩) سورة الاحقاف (٤٥/١٧ - ٤٦) .

(٦٠٠) سورة النمل (٦٥/٢٧) .

وقوله : ﴿ قُلْ قَسَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ﴾ ^(٦٠٥)

وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٦٠٦)

وقوله : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ الى قوله :
﴿ شَهِيدًا ﴾ ^(٦٠٧)

وقوله : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٦٠٨)
وقال للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٦٠٩)

وقالت الملائكة : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ^(٦١٠)

وفي كثير من كلام الصحابة : الله ورسوله اعلم .
وفي الحديث المشهور ^(٦١١) : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته
في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » .

وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ ﴾ ^(٦١٢) ، وأول النزاع النزاع في معاني القرآن ، فان لم يكن الرسول عالما
بمعانيه امتنع الرد اليه ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة
الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه وتعبّر عن مجمله ، وانها تفسر
محمل القرآن من الامر والخبر . وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ
اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ الى قوله : ﴿ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ^(٦١٣)

(٦٠٥) سورة الرعد (٤٣/١٣) .

(٦٠٦) سورة آل عمران (١٨٨/٣) .

(٦٠٧) سورة النساء (١٦٦/٤) .

(٦٠٨) سورة الكهف (٢٢/١٨) .

(٦٠٩) سورة البقرة (٣٠/٢) .

(٦١٠) سورة البقرة (٣٢/٢) .

(٦١١) أخرجه احمد في مسنده (٤٥٢،٣٩١/١) عن ابن مسعود .

وذكره المهدي في مجمع الزوائد (١٣٧/١٠) ونسبه لأحمد وإبى يعلى والبخاري وقال : « رجال احمد وإبى يعلى
رجال الصحيح غير أبى سلمة الجهني ، وقد وثقه ابن حبان » .

ورواه الحاكم (٥٠٩/١ - ٥١٠) وراجع كلام الشيخ احمد بن شاذلي في المسند (٣٧١٢) في تصحيح هذا الحديث .

(٦١٢) سورة البقرة (٢١٤/٢) .

(٦١٣) سورة النساء (٥٩/٤) .

ومن اعظم الاختلاف الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايان
 بالله واليوم الآخر ، فلا بد ان يكون الكتاب حاكا بين الناس فيما اختلفوا فيه
 من ذلك ، ويمتنع ان يكون حاكا ان لم يكن معرفة معناه ممكنا ، وقد نصب
 الله عليه دليلا ، والا فالحاكم الذي لا يبين ما في نفسه لا يحكم بشيء ، وكذلك اذا
 قيل هو الحاكم بالكتاب ، فان حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل ، وهذا
 انما يكون بالبيان ، وقد قال تعالى في القرآن : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾^(١١٤)
 اى فاصل يفصل بين الحق والباطل ، فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى
 معرفة معناه سبيل ؟ !

وايضا فان الله قال : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(١١٥)
 فذم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، كما ذم الذين يعرفون معناه
 ويكذبون ، فقال تعالى : ﴿ أَفَتَعْلَمُونَ أَنَّ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ
 مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴾ الى قوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(١١٦)
 فهذا أحد الصنفين ، ثم قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
 الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً ﴾ أى تلاوة ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .
 ثم ذم الذين يفترون كتباً يقولون هى من عند الله ، وما هى من عند
 الله ، فقال : ﴿ قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الى قوله :
 ﴿ يَكْسِبُونَ ﴾^(١١٧)

وهذه الاصناف الثلاثة تستوعب أهل الضلال والبدع ، فان أهل البدع
 الذين ذمهم الله ورسوله نوعان :

أحدهما : عالم بالحق يتممّد خلفه .

والثاني : جاهل متبع لغيره .

(١١٤) سورة الطارق (١٣/٨٦)

(١١٥) سورة البقرة (٢/٧٨)

(١١٦) سورة البقرة (٢/٧٥ - ٧٦)

(١١٧) سورة البقرة (٢/٧٦)

فالاولون : يبتدعون ما يخالف كتاب الله ، ويقولون هو من عند الله ، إما أحاديث مفتريات ، وإما تفسير تأويل للنصوص باطل ، ويعضدون ذلك بما يدعون من الراى والعقل ، وقصدهم بذلك الرياسة والمآكل ، فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم عما كتبت أيديهم من الباطل ، وويل لهم عما يكسبون من المال على ذلك ، وهؤلاء اذا عورضوا بنصوص الكتب الالهية ، وقيل لهم هذه تخالفكم ، حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وأما النوع الثانى : الجهال . فهؤلاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وان هم الا يظنون . فمن ابن عباس^(١١٨) وقسادة فى قوله : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ أى غير عارفين بمعنى الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه ، وقوله : ﴿ إِلَّا أَمَانِى ﴾ أى تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه الكتاب ، انما يقتصرون على ما يسمونه يتلى عليهم ، قاله الكسائى والزجاج ، وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب ، ولا كتابته الا امانى : الا ما يحشد به علماءهم .

وقال ابو روق وابو عبيدة : أى تلاوة وقراءة عن ظهر القلب ، ولا يقرأونها فى الكتب ، ففى هذا القول جعل الامانى التى هى التلاوة تلاوة الاميين أنفسهم ، وفى ذلك جعله ما يسمونه من تلاوة علمائهم ، وكلا القولين حق ، والآية تَعْمُهَا فانه سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . لم يقل لا يقرأون ولا يسمعون ، ثم قال : ﴿ إِلَّا أَمَانِى ﴾ وهذا استثناء منقطع . لكن يعلمون امانى إما بقراءتهم لها ، وإما بسماعهم قراءة غيرهم .

وان جعل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب الا علم امانى ، لاعلم تلاوة فقط بلا فهم ،

(١١٨) راجع تفسير ابن جرير (٣٧٥/١) وتفسير ابن الجوزى (١٠٥/١) وتفسير ابن كثير (١١٦/١ - ١١٧) .

(١١٩) راجع تفسير البغوى (٧٧/١) .

والاماني جمع أنثوية وهي التلاوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٢٠)

قال الشاعر : (١٢١)

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

والاميون نسبة الى الأمة ، قال بعضهم الى الامة وما عليه العامة ، فعنى الامى العامى الذى لا تميز له ، وقد قال الزجاج هو على خلق الامة التى لم تتعلم ، فهو على جيلته ، وقال غيره هو نسبة الى الامة ؛ لأن الكتابة كانت فى الرجال دون النساء ولأنه على ما ولدته أمه .

والصواب : انه نسبة الى الامة كما يقال عامى نسبة الى العامة التى لم تميز عن العامة بما يمتاز به الخاصة ، وكذلك هذا لم يميز عن الامة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ، ويقال الأمى لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرأونه وان كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل ؛ وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين ، فانه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَاسْلَمْتُمْ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمُوا فَقَدْ أَسْلَمُوا ﴾ (١٢٢)

وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (١٢٣)

وقد كان فى العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب ، وكلهم اميون . فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار انهم لا يقرأون كتابا من حفظهم ، بل

(١٢٠) سورة الحج (٥٢/٢٢) .

(١٢١) هو كعب بن مالك يرقى عثمان بن عفان . والبيت فى تفسير القرطبي (٧٢) واللسان « منى » .

(١٢٢) راجع اللسان « امم » .

(١٢٣) سورة آل عمران (٢٠/٢) .

(١٢٤) سورة الجمعة (٢/١٢) .

٥ هم يقرأون القرآن من حفظهم ، وإننا جئهم في صدورهم ، لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يحتاجون الى كتابة دينهم ، بل قرأنهم محفوظ في قلوبهم ، كما في الصحيح عن عياض بن حمار الجاشعي عن النبي ﷺ انه قال « خلقت عبادة يوم خلقتهم خفاء — وقال فيه — إني مُبْتَلِيكَ وَ مَبْتَلِي بِكَ ، وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا » .

١٠ فأمّتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم ، بل لو عُدِمَت المصاحف كلها كان القرآن محفوظا في قلوب الامة ، وبهذا الاعتبار فالمسلمون أمة أميّة بعد نزول القرآن وحفظه . كما في الصحيح عن ابن عمر رضی الله تعالى عنها عن النبي ﷺ انه قال : « إنا أمة أميّة لا نحسب ولا نكتب ؛ الشهر هكذا وهكذا » .

١٥ فلم يقل إنا لا نقرأ كتابا ، ولا نحفظ ، بل قال : لا نكتب ولا نحسب ، فديننا لا يحتاج ان يكتب و يحسب ، كما عليه أهل الكتاب من انهم يعملون مواقيت صومهم وفطرم بكتاب وحساب ، ودينهم معلق بالكتب لو عُدِمَت لم يعرفوا دينهم ، ولهذا يوجد أكثر أهل السنة يحفظون القرآن والحديث أكثر من أهل البدع ، وأهل البدع فيهم شبه بأهل الكتاب من بعض الوجوه .

٢٠ وقوله : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ (١٢٧) هو أمّي بهذا الاعتبار ؛لانه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب ، لا باعتبار انه لا يقرأ من حفظه ، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ ، والامّي في اصطلاح الفقهاء خلاف القاريء ، وليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الاول ، ويعنون به في الغالب من لا يحسن الفاتحة ، فقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ (١٢٨)

أي لا يعملون الكتاب الا تلاوة لا يفهمون معناها ، وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبل ، وإنما يسمع أمانى علما ، كما قال ابن السائب ،

(١٢٥) رواه مسلم في الحجة (٢١٩٧/٢) ولفظه يختلف عما هنا ، وكذا أخرجه احمد (١١٢/٤) .

(١٢٦) أخرجه البخارى في الصوم (٢٢٠/٢) وكذا مسلم (٣٦١/١) وأبو داود (٣٣٩/٢) والنسائي (١٣٩/٤ - ١٤٠) وأحمد في مسنده (١٢٢، ٥٢، ٤٢/٢) .

(١٢٧) سورة الأعراف (١٥٨/٧) .

(١٢٨) سورة البقرة (٢٨/٢) .

ويتناول من يقرأه عن ظهر قلبه ولا يقرأه من الكتاب ، كما قال ابو روق ،
وابو عبيدة .

وقد يقال : ان قوله : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى الخط ، أى لا
يحسنون الخط ، وانما يحسنون التلاوة ، ويتناول أيضا من يحسن الخط والتلاوة
ولا يفهم ما يقرأه ويكتبه ، كما قال ابن عباس وقتادة : غير عارفين بمصانى
الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه . والكتاب هنا
المراد به : الكتاب المنزل ، وهو التوراة ، ليس المراد به الخط ، فانه قال :
﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَعْظُمُونَ ﴾ .

فهذا يدل على انه نفى عنهم العلم بمصانى الكتاب ، والا فكون الرجل لا
يكتب بيده لا يستلزم ان يكون لا علم عنده ، بل يظن ظنا ، بل كثير من
يكتب بيده لا يفهم ما يكتب ، وكثير من لا يكتب يكون عالما بمصانى ما
يكتبه غيره .

وايضا فان الله ذكر هذا فى سياق الذم لهم ، وليس فى كون الرجل لا يخط
ذم اذا قام بالواجب ، وانما الذم على كونه لا يعقل الكتاب الذى انزل اليه ،
سواء كتبه وقرأه او لم يكتبه ولم يقرأه ، كما قال النبي ﷺ : « هَذَا أَوَّلُ مَا يَرْفَعُ
الْعَلَمُ . فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ : كَيْفَ يَرْفَعُ الْعَلَمَ وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ ؟ فَوَاللَّهِ
لَنَقْرَأَهُ وَلَنَقْرِئَهُ نِسَاءَنَا ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كُنْتُ لَأَحْسِبُكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
أَوْ لَيْسَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ؟ فَاذَا تُفْنِي عَنْهُمْ ؟ » .

وهو حديث معروف ، رواه الترمذى ^(١٢٩) ، وغيره ،

ولانه قال تعالى قبل هذا : ﴿ وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَمْعَمُونَ كَلَامَ
اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُوْنَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٣٠) .

فاولئك عقلوه ثم حرّفوه ، وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقلوبهم
ويكتبونه ويقرأونه حفظا وكتابة ، أو لم يكونوا كذلك ، فكان من المناسب ان
يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه الا اماني ، فان القرآن انزله الله
كتابا متشاهيا مثاني ، ويذكر فيه الاقسام والامثال فيستوعب الاقسام ، فيكون

(١٢٩) أخرجه فى العلم من حديث ابى الدرداء (٣١/٥) وأخرجه احمد (٢١٧/٤) وابن مساحه فى الفتن (١٣٤٤/٢) رقم
٤٠٤٨ من حديث زياد بن لبيد — والدارمى من حديث ابى امامة (٣٧) .

(١٣٠) سورة البقرة (٧٥/٢) .

مثاني ؛ ويذكر الامثال فيكون متشابهاً ، وهؤلاء وان كانوا يكتبون ويقرأون فهم أميون من اهل الكتاب ، كما نقول نحن لمن كان كذلك هو أمي ، وساذج ، وعامي ، وان كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب اذا كان لا يعرف معناه .

وإذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب الا تلاوة دون فهم معانيه ، كما ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهو يعلمون ، دل على ان كلا النوعين مذموم : الجاهل الذي لا يفهم معاني النصوص ، والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه ، وهذا حال اهل البدع ، فانهم احد رجلين :

إما رجل يحرف الكلم عن مواضعه ، ويتكلم برأيه ، ويؤوله بما يضيفه الى الله فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله ، ويجعلون تلك المقالات التي ابتدعوها هي مقالة الحق ، وهي التي جاء بها الرسول ، والتي كان عليها السلف ، ونحو ذلك ، ثم يحرفون النصوص التي تعارضها . فهؤلاء اذا تعمّدوا ذلك ، وعلموا ان الذي يفعلونه مخالف للرسول ، فهم من جنس هؤلاء اليهود ، وهذا يوجد في كثير من الملاحدة ، ويوجد في بعض الاشياء في غيرهم . وإما الذين قصدوا اتباع الرسول باطنا وظاهرا ، وغلطوا فيما كتبوه وتأولوه فهؤلاء ليسوا من جنسهم ؛ لكن قد وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل ، كما قيل : إذا زلّ العالمُ زلّ بزّلته عالمٌ ، وهذا حال متأولين من هذه الامة .

و إما رجل مقلّد أمي لا يعرف من الكتاب الا ما يسمعه منهم ، او ما يتلوه هو ، ولا يعرف الا امانى وقد ذمّه الله على ذلك ، فعلم ان الله ذم الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه ، كما صرح القرآن بذمهم في غير موضع ، فيتنبع مع هذا أن يقال : إن أكثر القرآن او كثيرا منه لا يعلمه احد من الخلق الا امانى ، لاجبريل ولا محمد ولا الصحابة ولا احد من المسلمين ، فان هذا تشبيه لهم هؤلاء فيما ذمهم الله به .

فان قيل : أفلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية ؟

قيل : نعم ، لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية ، وعلى كل مسلم

معرفة ما لا بُدَّ منه ، وهؤلاء ذَمُّهم الله لأنهم لا يعملون معاني الكتاب الا تلاوة ، وليس عندهم الا الظن ، وهذا يشبه قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ ^(٦٣١)

- فان قيل : فقد قال بعض المفسرون : ﴿ إِلَّا أَمَانِي ﴾ إلا ما يقولونه بافواههم كذبا وباطلا ، وروى هذا عن بعض السلف واختاره الفراء . وقال :
- ﴿ الْأَمَانِي ﴾ الأكاذيب المفتعلة ، قال بعض العرب لابن دأب — وهو يحدث — : أهذا شيء رَوَيْتَهُ أَمْ تَمَنَيْتَهُ أَى افْتَعَلْتَهُ ؛ فاراد بالاماني الاشياء التي كتبها علماءهم من قَبْلِ انفسهم ثم اضافوها الى الله من تغيير صفة محمد ﷺ ، وقال بعضهم : ﴿ الْأَمَانِي ﴾ يَتَمَنَوْنَ على الله الباطل والكذب ، كقولهم :
- ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ^(٦٣٢)
- وقولهم : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ ^(٦٣٣)
- وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ ^(٦٣٤)
- وهذا ايضا يروى عن بعض السلف .

- قيل : كلا القولين ضعيف . والصواب الاول ؛ لانه سبحانه قال :
- ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَطْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ ^(٦٣٥)
- وهذا الاستثناء اما أن يكون متصلا او منقطعا ، فان كان متصلا لم يجز استثناء الكذب ولا امانى القلب من الكتاب ، وان كان منقطعا فالاستثناء المنقطع انما يكون فيما كان نظير المذكور شيئا له من بعض الوجوه ، فهو من جنسه الذي لم يذكر في اللفظ ؛ ليس من جنس المذكور ؛ ولهذا لا يصلح المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ ، وذلك كقوله : ﴿ لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ ﴾ ^(٦٣٦)
- ثم قال : ﴿ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى ﴾ .

فهذا منقطع ؛ لانه يحسن ان يقال : ﴿ لَا يَذْوُقُونَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ .

(٦٣٤) سورة المائدة (١٨/٥) .

(٦٣٥) سورة البقرة (٧٨/٢) .

(٦٣٦) سورة الدخان (٥٦/١٤) .

(٦٣١) سورة فصلت (٤١/٤٥) .

(٦٣٢) سورة البقرة (٨٠/٢) .

(٦٣٣) سورة البقرة (١١١/٢) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ قَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾^(١٣٧)

لانه يحسن أن يقال : لا تأكلوا أموالكم بينكم الا ان تكون تجارة ، وقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(١٣٨)

يصلح أن يقال وما لم الا اتباع الظن ، فهنا لما قال : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ .

يحسن أن يقال لا يعلمونه الا امانى ، فانهم يعلمونه تلاوة يقرأونها ويسمعونها ولا يحسن أن يقال لا يعلمون الا ما تتناهى قلوبهم ، او لا يعلمون الا الكذب ، فانهم قد كانوا يعلمون ما هو صدق ايضا . فليس كل ما علموه من علمائهم كان كذبا ، بخلاف الذى لا يعقل معنى الكتاب ، فانه لا يعلم الا تلاوة .

وايضا فهذه الامانى الباطلة التى تمنوها بقلوبهم وقالوها بالسنتهم . كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾^(١٣٩)

قد اشتركوا فيها كلفم فلا يخص بالذم الأميون منهم ، وليس لكونهم أميين مذخل في الذم هذه ، ولا لنفى العلم بالكتاب مدخل في الذم بهذه ، بل الذم بهذه مما يعلم انها باطل اعظم من ذم من لا يعلم انها باطل ، ولهذا لما ذم الله بها ، عَمَّ ولم يخص فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ الآية .

وايضا فانه قال : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَعْظُمُونَ ﴾^(١٤٠) فدل على انه ذمهم على نفى العلم ، وعلى انه ليس معهم الا الظن ، وهذا حال الجاهل بمعانى الكتاب لا حال من يعلم انه يكذب ، فظهر ان هذا الصنف ليس هم الذين يقولون بافواههم الكذب والباطل ، ولو اريد ذلك ل قيل لا يقولون الا امانى ، لم يقل لا يعلمون الكتاب الا امانى ، بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويكتبون الكتاب بايديهم ليشتروا به ثمنا

(١٣٧) سورة البقرة (١١١/٢) .

(١٣٧) سورة النساء (٢٩/٤) .

(١٣٨) سورة البقرة (٢٨/٢) .

(١٣٨) سورة النساء (١٥٧/٤) .

قليلا ، فهم يحرفون معاني الكتاب ، وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه ، ويكذبون في لفظهم وخطهم .

وقد ثبت في الصحيحين^(٦٤١) عن النبي ﷺ انه قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ صَبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ فَن ؟ » .

وفي الصحيحين^(٦٤٢) عن النبي ﷺ قال : « لَتَأْخُذَنَّ أُمَّتِي مَا خَذَ الْأُمَمُ قَبْلَهَا شِرًّا بِشِرِّ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَارِسَ وَالرُّومَ ؟ قَالَ وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ » .

فهذا دليل على ان ما ذم الله به اهل الكتاب في هذه الآية يكون في هذه الامة من يشبههم فيه ، وهذا حق قد شوهد ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفْسَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟ ! ﴾^(٦٤٣)
فن تدبر ما اخبر الله به ورسوله رأى انه قد وقع من ذلك امور كثيرة ؛ بل اكثر الامور ، وذلك ذلك على وقوع الباقي .



(٦٤١) رواه البخارى في الانبياء (١٤٤/٤) وفي الاعتصام (١٥١/٨) من حديث ابى سعيد وفيه « شيرا بشر وذراعا بذراع » يدل حذو القد بالقد .

وأخرجه احمد أيضا (٩٤٠٨٩٨٤/٣) .

اما لفظ القد بالقد فورد في حديث مختصر من رواية شداد بن اوس عند احمد (١٢٥/٤) .

(٦٤٢) كذا في الاصل والحديث تفرد به البخارى عن ابى هريرة (١٥١/٨) وفيه « لاتقوم الساعة حتى تاخذ امتي » ..

وأخرجه ابن ماجة (١٣٣٢/٢) رقم (٣٩٩٤) واحمد (٥٣٧٠٥١١٠٤٥٠٠٣٣٧/٢) .

(٦٤٣) سورة فصلت (٥٢/٤١) .

فصل

فقد تبين ان الواجب طلب علم ما انزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ، ومعرفة ما اراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ، ومن سلك سبيلهم ، فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم ، فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا ، فكيف باصول التوحيد والايمان ؟ ثم اذا عرف ما بينه الرسول نظر في اقوال الناس ، وما ارادوه بها ، فعرضت على الكتاب والسنة ، والعقل المريح دائما موافق للرسول ﷺ لا يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب ، والله انزل الكتاب بالحق والميزان ؛ لكن قد تقصّر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به ، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحااروا فيه ، لا بما يعلمون بمقوله بطلانه ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول ، فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم ، واما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك : ان يبتدع بدعة برأى رجال وتأويلاتهم ، ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لها ، ويحرف الفاظه ، ويتأول على وفق مصلوه .

وهؤلاء تجرد في نفس الامر لا يعتقدون على ما جاء به الرسول ، ولا يتلقون الهدى منه ، ولكن ما وافقهم منه قبلوه ، وجملوه حجة لا عمة ، وما خالفهم تأولوه ، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه او فؤضوه ، كالذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وهؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول : اما عجزا واما تفريطا ، فانه يحتاج الى مقدمتين :
ان الرسول قال كذا ، وانه اراد به كذا .

اما الاولى فعاتتهم لا يرتابون في انه جاء بالقرآن وان كان من غلاة اهل البدع من يرتاب في بعضه ، لكن الاحاديث عامة اهل البدع جهال بها ، وم يظنون ان هذه رواها آحاد يجوزون عليهم الكذب والخطأ ، ولا يعرفون من كثرة طرقها وصفات رجالها ، والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه اهل العلم بالحديث ؛ فان هؤلاء يقطعون قطعاً يقينا بعامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع .

واما المقدمة الثانية : فانهم قد لا يعرفون معاني القرآن والحديث ، ومنهم من يقول : الادلة اللفظية لا تقيد اليقين بمراد المتكلم ، وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك في غير هذا الموضع .

وكثير منهم انما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأول تأويلاتهم ، فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها ، والتي تخالفهم يتأولونها ، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الامر اتباع نص اصلا ، وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجمعية ، فان الذى وضع الرفض كان زنديقا ابتداءً تعمّد الكذب الصريح الذى يعلم انه كذب ، كالذين ذكروا الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه اولئك ، وهم في شك منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَفَى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ۝١٤٤﴾

وكذلك الجمعية ليس معهم على نفى الصفات وعلو الله على العرش ، ونحو ذلك نص اصلا ، لا آية ولا حديث ، ولا أثر عن الصحابة ، بل الذى ابتداءً

(٦٤٤) سورة الشورى (١٤/٤٢) وفي الاصل : وان الذين اوتوا العلم - وهو خطأ .

ذلك لم يكن قصده اتباع الانبياء ، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الاوثان ، وغير ذلك من اديان الكفار ، مع علمهم بان ذلك مخالف للرسول ، كما ذكر عن مبدلة اليهود ، ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك .

وهذا بخلاف بدعة الخوارج ؛ فان اصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه ، ومقصودهم اتباع القرآن باطنا وظاهرا ، ليسوا زنادقة .

وكذلك القدريّة اصل مقصودهم تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد الذي جاءت به الرسل ، ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك ، فعمرو بن عبيد وامثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول ﷺ كالذي ابتدع الرفض .

وكذلك الارجاء انما احدثه قوم قصدوا جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفارا ، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر .

وكذلك التشيع المتوسط — الذي مضمونه تفضيل على وتقصيره على غيره ، ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة ، بخلاف دعوى النص فيه والعصمة ، فان الذي ابتدع ذلك كان منافقا زنديقا ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرهما :

اصول البدع اربعة : الشيعة ، الخوارج ، والقدريّة ، والمرجئة . قالوا : والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة .

وكذلك ذكر ابو عبد الله بن حامد عن اصحاب احمد في ذلك قولين ، هذا احدهما . وهذا ارادوا به التجهم المحض الذي كان عليه « جهم » نفسه ومتبعوه عليه ، وهو نفى الاسماء مع نفى الصفات ، بحيث لا يسمى الله بشيء من اسمائه الحسنى ، ولا يسميه شيئا ولا موجودا ولا غير ذلك ، وانما نقل عنه انه كان يسميه قادرا — لأن جميع الاسماء يسمى بها الخلق ، فزعم انه يلزم منها التشبيه ، بخلاف القادر — فانه كان رأس الجبرية ، وعنده ليس للعبد قدرة ولا فعل ، ولا يسمى غير الله قادرا ؛ فلهذا نقل عنه انه سمي الله قادرا .

(٦٤٥) ابو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان ، البغدادي ، شيخ الحنابلة ومفتيهم . صنف كتاب « الجامع » في عشرين مجلدا في الاختلاف ، وهو اكبر تلامذة ابي بكر غلام الخلال . توفي سنة ٤٠٣ هـ . راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٢٠٢/٧) طبقات الحنابلة (١٧١/٢ - ١٧٧) الوافي (٤١٥/١١) السير (٢٠٣/١٧) تاريخ التراث العربي (٢١٨/٧) .

وشر منه نفاة الاسماء والصفات ، وم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة ، ولهذا كان هؤلاء عند الائمة قاطبة ملاحدة منافقين ، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو اعظم من كفر اليهود والنصارى ، وهؤلاء لاريب انهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة ، واذا اظهروا الاسلام ففانيتهم ان يكونوا منافقين ، كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، واولئك كانوا اقرب الى الاسلام من هؤلاء ، فانهم كانوا يلتزمون شرائع الاسلام الظاهرة ، وهؤلاء قد يقولون برفعها ، فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة ؛ لكن قد يقال : ان اولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة اكثر من هؤلاء .

واما من يقول ببعض التجهم للمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا فهؤلاء من امة محمد ﷺ بلا ريب .

وكذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية .

وكذلك الشيعة المفضلين لعلي ، ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده نبوة محمد ﷺ باطنا وظاهرا ، وظنه ان ما هو عليه هو دين الاسلام ، فهؤلاء اهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن امة محمد ﷺ ، بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وعامة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، كما ان من المنافقين والكفار من يفعل ذلك ، ولهذا قال طائفة من المفسرين :^(١٤٦) كالربيع بن انس : هم النصارى ، كنصارى غجران ؛ وقالت طائفة كالكلبي : هم اليهود ؛ وقالت طائفة كابن جريج : هم المنافقون . وقالت طائفة كالحسن : هم الخوارج ؛ وقالت طائفة كهتادة : هم الخوارج والشيعة ؛ وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾^(١٤٧) يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم ، والسبائية نسبة الى عبد الله بن سبأ رأس الرافضة .

(١٤٦) اي في تفسير قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » (٧/٣) وراجع اقوالهم في تفسير ابن الجوزي (٣٥٣/١) وانظر تفسير الطبري (١٧٧/٣ - ١٧٨) .

(١٤٧) سورة آل عمران (٧/٣) وراجع تفسير الطبري (١٧٨/٣) .

(١٤٨) راجع فيها الفرق بين الفرق (٢٣٣ - ٢٣٦) وللعل والنحل (١١/٢) .

فصل

والمعنى الصحيح الذى هو نفى المثل والشريك والند قد دل عليه قوله سبحانه ﴿ أَحَدٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .
 وقوله : ﴿ هَلْ تَقْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ^(٦٤٩) .
 وامثال ذلك فالمعاني الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة ، والعقل يدل على ذلك .

وقول القائل : الأحد أو الصمد أو غير ذلك هو الذى لا ينقسم ولا يتفرق ، أو ليس بمركب ونحو ذلك . هذه العبارات اذا عُنِيَ بها انه لا يقبل التفرق والالتسام فهذا حق ، واما ان عُنِيَ به انه لا يشار اليه بحال ، او من جنس ما يعنون بالجوهر الفرد انه لا يشار الى شيء منه دون شيء ، فهذا عند اكثر العقلاء يمتنع وجوده ، وانما يقدر في الذهن تقديرا ، وقد علمنا ان العرب حيث اطلقت لفظ « الواحد » و « الأحد » نفيا وإثباتا لم ترد هذا المعنى . فقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ ^(٦٥٠)

(٦٤٩) سورة مريم (٦٥/١٩)

(٦٥٠) سورة التوبة (٦٧)

لم يرد به هذا المعنى الذى فسروا به الواحد والأحد ، وكذلك قوله : ﴿ وَ
 إِنَّ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ ^(١٥١)
 وكذلك قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

- فان المعنى لم يكن له أحد من الآحاد كفوا له ، فان كان الأحد عبارة
 عمالا يتميز منه شيء عن شيء ، ولا يشار الى شيء منه دون شيء ، فليس في
 الموجودات ما هو أحد الا ما يدعونونه من الجوهر الفرد ومن رب الصالحين ،
 وحينئذ لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات ان يكون كفوا للرب ؛ لأنه
 لم يدخل في مسمى أحد .

- وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرا في المباحث العقلية والسمعية التى
 يذكرها نفاة الصفات من الجهمية واتباعهم في كتابنا المسمى (بيان تلبيس
 الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) .

ولهذا لما احتجت الجهمية على السلف — كالامام أحمد وغيره — على نفي
 الصفات باسم الواحد .

- قال أحمد : قالوا : لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله
 ولا شيء ، قلنا نحن تقول كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل
 بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا ؟ وضررنا لهم في ذلك مثلا : قلنا :
 أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع وكربة وليف وسعة وخص وجرار
 واسمها شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله — وله المثل
 الأعلى — بجميع صفاته إله واحد ، لا تقول : انه قد كان في وقت من الاوقات
 ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا تقول قد كان في وقت من الاوقات
 لا يعلم حتى خلق له علما ، ولكن تقول لم يزل عالما قادرا مالكا ، لا مقى
 ولا كيف . وما يبين هذا ان سبب نزول هذه السورة الذى ذكره المفسرون يدل
 على ذلك فانهم ذكروا أسبابا .

أحدها : ما تقدم عن ابى بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :
 أنسب لنا ربك فزلت هذه السورة .

والثاني : ان عامر بن الطفيل قال للنبي ﷺ : « الى مَ تدعونا اليه يا محمد ؟ قال : الى الله . قال : فصفه لي ، أَمِنْ ذَهَبٍ هو ، أَمْ من فضةٍ ، أَمْ من حديد ؟ فنزلت هذه السورة » وروى ذلك عن ابن عباس^(٦٥٢) من طريق أبي ظبيان ، وأبي صالح عنه .

والثالث : ان بعض اليهود^(٦٥٣) قال ذلك ، قالوا : من أى جنس هو . ومَن ورث الدنيا . ولمن يورثها ؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة والضحاك .

قال الضحاك وقاتل : « جاء ناس من احبار اليهود الى النبي ﷺ فقالوا : يا محمد : صف لنا ربك ، لعلنا نؤمن بك ، فان الله أنزل نعمته في التوراة ، فأخبرنا به من أى شيء هو ؟ ومن أى جنس هو : أَمِنْ ذَهَبٍ ؟ أَمْ من نحاس ، هو أَمْ من صَفَرٍ ؟ أَمْ من حديد ؟ أَمْ من فضة ؟ وهل يأكل ويشرب ؟ ومَن ورث الدنيا ؟ ولمن يورثها ؟ فانزل الله هذه السورة » وهي نسبة الله خاصة .

والرابع : ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ بسبعة أساقفة من بنى الحارث بن كعب : منهم السيد والعاقب ، فقالوا للنبي ﷺ : صف لنا ربك من أى شيء هو ؟ قال النبي ﷺ : « ان ربي ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

فهؤلاء سألوا هل هو من جنس من اجناس المخلوقات ؟ وهل هو من مادة ، فبين الله تعالى انه أحدٌ ، ليس من جنس شيء من المخلوقات ، وانه صمدٌ ليس من مادة بل هو صمد . لم يلد ولم يولد . وإذا نفى عنه ان يكون مولودا من مادة الوالد ؛ فلأن ينفي عنه أن يكون من سائر المواد اولى وأخرى ، فان المولود من نظير مادته اكمل من ما خلق من مادة اخرى ، كما خلق آدم من الطين ، فالمادة التي خلق منها اولاده افضل من المادة التي خلق منها هو ، ولهذا كان خلقه أعجب . فاذا نزه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلى أعظم تنزيها ، وهذا كما انه اذا كان منزها عن ان يكون احد كفواً له ، فلأن يكون منزها عن ان يكون احد افضل منه اولى وأخرى .

(٦٥٢) ذكره البغوي والبخاري عن ابن عباس مدون سنة (٢٢٠/٤) وراجع تفسير ابن الجوزي (٢٦٦/٩) .

(٦٥٣) راجع الطبري (٢٤٢/٢٠) والدر المنثور (٦٧٠/٨ - ٦٧١) .

وهذا مما يبين أن هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتعظيم ،
 على النفي والاثبات ، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن ، فالصدية تُثَبِّتُ الكمال
 للمنافى للنقائص . والأحدية تُثَبِّتُ الانفراد بذلك وكذلك إذا نزه نفسه عن أن
 يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد ، فلأن ينزه نفسه عن أن
 يخرج منه مادة غير الولد بطريق الاولى والاحرى . وإذا نزه نفسه عن أن يخرج
 منه مواد للمخلوقات فلأن ينزه عن أن يخرج منه فضلات لا تصلح أن تكون
 مادة بطريق الاولى والاحرى . والانسان يخرج منه مادة الولد ، ويخرج منه
 مادة غير الولد ، كما يخلق من عرقه ورطوبته القمل والدود وغير ذلك . ويخرج
 منه الخاط والبصاق وغير ذلك . وقد نزه الله أهل الجنة عن أن يخرج منهم شيء
 من ذلك ، وأخبر الرسول ﷺ أنهم لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ،
 ولا يتخبطون ، وأنه يخرج منهم مثل رشح المسك ، وأنهم يحامعون بذكر لا
 يخفى ، وشهوة لا تنقطع ، ولا منى ، ولا منية ، وإذا اشتهى أحدهم الولد كان
 حله ووضع في زمن يسير .

فقد تضمن تنزيه نفسه عن أن يكون له ولد ، وأن يخرج منه شيء من
 الاشياء ، كما يخرج من غيره من المخلوقات ، وهذا ايضا من تمام معنى « الصمد » .
 كما سبق في تفسيره : انه الذى لا يخرج منه شيء ، وكذلك تنزيه نفسه عن أن
 يولد — فلا يكون من مثله — تنزيه له ان يكون من سائر المواد بطريق
 الأولى والأخرى .

وقد تقدم في حديث أبى بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا يموت ، وليس
 شيء يموت إلا يُورَث ، والله تعالى لا يموت ولا يورث ، وهذا رد لقول
 اليهود : بمن ورث الدنيا ، ولبن يورثها ؟ .

وكذلك ما نقل من سؤال النصارى : صف لنا ربك : من أي شيء هو ؟
 فقال النبي ﷺ : « ان ربي ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء » .

وكذلك سؤال المشركين واليهود : أمن فضة هو ؟ أم من ذهب هو ؟

٢٥ أم من حديد ؟ .
 (٦٥٤) روى بسند ضعيف - راجع مجمع الزوائد (٤١٦/١٠ - ٤١٧) .

(٦٥٥) أخرجه الترمذى في صفة الجنة (٦٩٥/٤) وقال حسن غريب ، والدارمى في الرقاق (ص٢٣) وابن مسعود في
 الزهد (١٤٥٢/٢) رقم ٤٣٣٧ وأحمد (٧٢) .

وذلك لأن هؤلاء عهدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله يكون لها مواد صارت منها ، فعباد الاوثان تكون أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وغير ذلك .

وَعِبَادُ الْبَشَرِ سِوَاهُ كَانُوا الْبَشَرَ لَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ ، أَوْ أَمَرُوهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ ، كَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ وَعِزِيرًا ، وَكَقَوْمِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ ﴿ أَتَأْتُونَ رَبَّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ^(٦٥٦)

و ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ^(١٥٧) وقال موسى : ﴿ لَيْسَ اتَّعَذَّتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْفَلَكَ مِنَ الْمَسْجُوعِ نِينَ ﴾ ^(٦٥٨) وكالذي أتاه الله نصيبا من الملك الذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال إبراهيم : ربني الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت .

وكالرجال الذي يدعى الإلهية ، وما من خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال .

وكالذين قالوا : ﴿ لَا تَقْدِرُونَ إِلَٰهَتَكُمْ وَلَا تَقْدِرُونَ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَقُوتَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ^(٦٥٩)

وقد قال غير واحد من السلف : ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم ، ثم بعد ذلك عبدوهم ، وذلك أول ما عبدت الأصنام ، وأن هذه الأصنام صارت الى العرب ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، قال : صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد . أما وَدٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سَوَاعَا فكانت لهذيل ، وأما يَقُوتُ فكانت لمراد : ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لِحِمَيْرَ لَأَلْ ذِي الْكَلَاعِ : أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت .

(٦٥٦) سورة النازعات (٢٤/٧٩) .

(٦٥٩) سورة نوح (٢٤/٧١) .

(٦٥٧) سورة القصص (٢٨/٢٨) .

(٦٦٠) في التفسير (٣٢/١) .

(٦٥٨) سورة الشعراء (٢٦/٢٦) .

ونوح عليه السلام أقام في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد ، وهو أول رسول بعثه الله الى أهل الارض ، كما ثبت ذلك في الصحيح^(٦١١) ؛ ومحمد ﷺ خاتم الرسل ، وكلاً المرسلين بُعث الى مشركين يعبدون هذه الاصنام التي صورت على صور الصالحين من البشر ، والمقصود بعبادتها عبادة اولئك الصالحين .

- وكذلك المشركون من أهل الكتاب ، ومن مبتدعة هذه الامة وضلالها ، هذا غاية شركهم ، فان النصارى يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الانس غير عيسى وأمه ؛ مثل مارجرجس وغيره من القداديس ، ويعبدون تلك الصور ، ويسألونها ويدعونها ويقربون لها القرابين ، وينذرون لها النذور ، ويقولون هذه تذكركنا بأولئك الصالحين . والشياطين تضلهم كما كانت تضل ١٠ المشركين : تارة بان يمثّل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعى ويُعبَد فيظن داعيه انه قد اتى ، أو يظن ان الله صور ملكا على صورته ، فان النصراني مثلا يدعو في الأثر وغيره مارجرجس او غيره فيراه قد اتاه في الهواء ، وكذلك آخر غيره ، وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا كيف يوجد في هذه الاماكن ، فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه . وانما تلك ١٥ شياطين أضلت المشركين .

- وهكذا يحسب كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين الى هذه الامة ، فان أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت ، أو يستغيث به عند قبره ويسأله ، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك ، ويرى ذلك الشخص قد اتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلمه ببعض ما سأله عنه ، ونحو ذلك ٢٠ فيظنّه الشيخ نفسه أّتى ان كان حيا . حتى انى اعرف من هؤلاء جماعات يأتون الى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أّتام في الهواء فيذكرون ذلك له ، هؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، وهؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية ، فان كان يحب الرياسة سكت وأوم انه نفسه أّتام وأغاثهم ، وان كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صورته ٢٥ الله على صورتي ، وجعل هذا من كرامات الصالحين ، وجعله عمدة لمن يستغيث

(٦١١) في حديث الشفاعة « أتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى الارض » .

اخرجه البخارى في التفسير (١٤٧/٥) ومسلم في الايمان (١٨٠/١) .

بالصالحين ، ويتخذه اربابا ، وانهم اذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم
تغيث المستغيث بهم :

ولهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الأكابر الذين فيهم صدق وزهد وعبادة
لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصي مريديه يقول : اذا كانت
لأحدهم حاجة فليستغث بي ، وليستجدي وليستوصني . ويقول : انا افعل بعد
موتى ما كنت أفعل في حياتي ، وهو لا يعرف ان تلك شياطين تصورت على
صورته لتضلّه ، وتُضِلّ أتباعه ، فتُحْسِن لهم الاشرار بالله ، ودعاء غير الله ،
والاستغاثة بغير الله ، وانها قد تلقى في قلبه انا نفعل بعد موتك باصحابك ما
كنا نفعل بهم في حياتك ، فيظن هذا من خطاب الهىلقى في قلبه ، فيأمر
أصحابه بذلك . وأعرف من هؤلاء من كان له شياطين تخدعه في حياته بانواع
الخدم مثل خطاب أصحابه المستغيثين به ، واعانتهم ، وغير ذلك ، فلما مات
صاروا يأتون أحدهم في صورة الشيخ ، ويشعرون انه لم يمت ، ويرسلون الى
اصحابه رسائل بخطاب .

وقد كان يجتمع بي بعض اتباع هذا الشيخ ، وكان فيه زهد وعبادة ، وكان
يحبني ويحب هذا الشيخ ، ويظن ان هذا من الكرامات ، وان الشيخ لم يمت ،
وذكر لي الكلام الذى ارسله اليه بعد موته فقراه فاذا هو كلام الشياطين
بعينه ، وقد ذكر لي غير واحد ممن اعرفهم انهم استغاثوا بي فأروني في الهواء وقد
أتيهم وخلصتهم من تلك الشدائد ، مثل من احاط به النصارى الارمن
ليأخذوه ، وآخر قد احاط به العدو ومعه كتب ملطقات من مناصحين لو
اطلوعوا على ما معه لقتلوه ، ونحو ذلك ، فذكرت لهم انى ما دريت بما جرى
أصلا ، وحلفت لهم على ذلك حتى لا يظنوا أنى كتمت ذلك كما تكتم الكرامات ،
وانا قد علمت ان الذى فعلوه ليس بمشروع ، بل هو شرك وبدعة ، ثم تبين لي
فيها بعد ، وبينت لهم ان هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به .

وحكى لي غير واحد من اصحاب الشيوخ انه جرى لمن استغاث بهم مثل
ذلك ، وحكى خلق كثير انهم استغاثوا بأحياء وأموات فأروا مثل ذلك ،
واستفاض هذا حتى عرف ان هذا من الشياطين ، والشياطين تغوى الانسان
بحسب الامكان ، فان كان ممن لا يعرف دين الاسلام أوقعته في الشرك

الظاهر ، والكفر المحض ، فأمرته أن لا يذكر الله ، وأن يسجد للشيطان ،
ويذبح له ، وأمرته أن يأكل الميتة والدم ويفعل الفواحش .

وهذا يجري كثيرا في بلاد الكفر المحض وبلاد فيها كفر وإسلام ضعيف ،
ويجرب في بعض مدائن الإسلام في المواضع التي يضعف إيمان أصحابها ، حتى قد
جرب ذلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها ، وهو في أرض الشرق قبل
ظهور الإسلام في التتار كثير جدا ، وكلما ظهر فيهم الإسلام وعرفوا حقيقة قتل
آثار الشياطين فيهم .

وان كان مسلما يختار الفواحش والظلم اعانتة على الظلم والفواحش ، وهذا
كثير جدا أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلها إسلام وجاهلية ، وبر ،
وفجور . وان كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولكن عنده قلة معرفة بحقيقة ما
بعث الله به رسوله ﷺ ، وقد عرف من حيث الجملة أن لأولياء الله كرامات ،
وهو لا يعرف كمال الولاية ، وانها الايمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظاهرا ،
اولا يعرف ذلك مجالا ولا يعرف من حقائق الايمان الباطن وشرائع الإسلام
الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية ، وبين النفسانية والشيطانية ، كما ان
الرؤيا ثلاثة اقسام . رؤيا من الله ، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة
فيراها في المنام ، ورؤيا من الشيطان .

فكذلك الاحوال . فاذا كان عنده قلة معرفة بحقيقة دين محمد ﷺ أمرته
الشياطين بأمر لا ينكره ، فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون به بعرفات ثم
يعيدونه الى بلده ، وهو لابس ثيابه لم يحرم حين حاذى المواقيت ، ولا كشف
رأسه ، ولا تجرد عما يتجرد عنه المحرم ، ولا يدعونه بعد الوقوف يطوف طواف
الافاضة ويرمي الجمار ويكمل حجه ، بل يظن ان مجرد الوقوف — كما فعل —
عبادة ، وهذا من قلة علمه بدين الإسلام ، ولو علم دين الإسلام لعلم ان هذا
الذي فعله ليس عبادة لله ، وانه من استحل هذا فهو مرتد يجب قتله ، بل اتفق
المسلمون على انه يجب الاحرام عند الميقات ، ولا يجوز للانسان المحرم اللبس في
الاحرام الا من عذر ، وانه لا يكتفى بالوقوف ، بل لابد من طواف الافاضة
باتفاق المسلمين ، بل وعليه ان يفيض الى المشعر الحرام ، ويرمي جرة العقبة ،
وهذا مما تنوزع فيه هل هو ركن ، او واجب يجزئه دم ؟ وعليه ايضا رمي

الجوار ايام منى باتفاق المسلمين .

وقد تحمل احدهم الجن فتزوره بيت المقدس وغيره ، وتطير به في الهواء ،
وتمشي به الماء ، وقد تريه انه قد ذهب به الى مدينة الاولياء ، وربما ارته انه
ياكل من ثمار الجنة ، ويشرب من انهارها .

وهذا كله وأمثاله مما أعرفه قد وقع لمن أعرفه ؛ لكن هذا باب طويل ليس
هذا موضع بسطه .

وانما المقصود ان اصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين ،
وعبادة تماثيلهم ، وهم المقصودون . ومن الشرك ما كان اصله عبادة الكواكب ،
إما الشمس وإما القمر وإما غيرها ، وصورت الاصنام طلام لتلك الكواكب ،
وشرك قوم ابراهيم — والله اعلم — كان من هذا ، او كان بعضه من هذا ؛ ومن
الشرك ما كان اصله عبادة الملائكة او الجن ، وضعت الاصنام لأجلهم ، والا
فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها ، بل لأسباب اقتضت ذلك ، وشرك العرب
كان اعظمه الأول ، وكان فيه من الجميع .

فان عمرو بن لُحَيّ هو اول من غَيَّر دين ابراهيم — عليه السلام — وكان
قد اتى الشام ورآهم بالبقاء لهم اصنام يستجلبون بها المنافع ، ويدفعون بها
المضار ، فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة ولاة البيت قبل قريش ،
وكان هو سيد خزاعة .

وفي الصحيحين ^(٦٦٢) عن النبي ﷺ انه قال : « رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن
خندف يَخْرُ قَصَبَةً في النار — اى امعاه — وهو اول من غَيَّر دين ابراهيم ؛
وسَيَّب السواكِب ، وبَجَّر البحيرة » .

وكذلك — والله اعلم — شرك قوم نوح ، وان كان مبدؤه من عبادة
الصالحين ، فالشيطان يَجِّر الناس من هذا الى غيره ؛ لكن هذا اقرب الى الناس ؛
لأنهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه ، فيمكفون على قبره ، ويقصدون
ذلك منه ، فتارة يسألونه ، وتارة يسألون الله به ، وتارة يصلون ، ويدعون
عند قبره ظانين ان الصلاة والدعاء عند قبره افضل منه في المساجد والبيوت .

^(٦٦٢) أخرجه البخارى في التاريخ (١٦٠/٤) وفي التفسير (١٩١/٥) وسلم في الجنة (٢١٩١/٣ - ٢١٩٢) واحد في مسنده
(٢١٩٢ - ٢٢٥/٢) وراجع الدر المنثور (٢١٠/٣) .

ولما كان هذا مبدءاً للشرك سَدَّ النبي ﷺ هذا الباب ، كما سد باب الشرك بالكواكب ، ففى صحيح مسلم عنه انه قال قبل ان يموت بخمس : « انْ مَنْ كَانَ قبلكم كانوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِ أَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ » .

وفي الصحيحين عنه انه ﷺ ذكر له كنيسة بأرض الحبشة ، وذكر من حسننها وتساوير فيها فقال : « ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفي الصحيحين عنه انه قال ﷺ في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يُحْذَرُ ما فعلوا » قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره ان يُتَّخَذَ مسجداً .

وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه انه قال ﷺ : « ان من شرار الناس من تُدْرِكُهُم الساعة وهم احياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » .

وفي سنن أبي داود وغيره عنه انه قال ﷺ : « لاتتخذوا قبري عيداً وصلوا علىَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تَبْلُغُنِي » .

وفي موطأ مالك عنه انه قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَدُ ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب —

(٦٦٣) في الجنائز من حديث جندب (٣٧٧/١ - ٣٧٨) .

(٦٦٤) أخرجه البخاري في الصلاة (١١٠/١ - ١١١) ومسلم في المساجد (٣٧٧/١) والنسائي (٤٢/٢) .

(٦٦٥) رواه البخاري عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة في الصلاة (١١٢/١) وفي الجنائز (٩٠/٢ - ١٠٦) وفي الانبياء (١٤٤/٤) وفي المغازي (١٣٧/٥) ومسلم في المساجد (٣٧٧/١ - ٣٧٧) .
وراجع ابوداود ٥٥٢/٣ رقم (٣٢٢٧) والنسائي (٩٦/٤، ٤١/٢) والدارمي (٣٢٧) واحمد (٢١٨/١) .
(٢٧٥، ٢٧٤، ٢٥٥، ٢٥٢، ٢٢٩، ١٤٦، ١٢١، ٨٠، ٣٤/٦ ، ٥١٨، ٤٥٤، ٢٩٦، ٣٦٦، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٤/٢) .

(٦٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود في المسند (٤٥٤، ٤٣٧، ٤٠٥/١) .

(٦٦٧) في للناسك (٥٣٤/٢) رقم (٢٠٤٢) وأخرجه احمد في المسند (٣٦٧/٢) ،

(٦٦٨) أخرجه عن عطاء بن يسار مرسلاً (١٧٢) ووصله احمد عن أبي هريرة (٢٤٦/٢) .

(٦٦٩) في الجنائز (٦٦٧/١) وأخرجه ابوداود في الجنائز (٥٤٨/٢) رقم (٣٢١٨) والترمذي (٣١٦/٣) والنسائي (٨٨/٤) واحمد (١٤٥٠، ١٢٩، ٩٦/١) .

رضى الله عنه — : ألا أبئثك على ما بعثني عليه رسول الله : أمرني أن لا أدع قبراً مثرفاً الا سَوَّيْتُهُ ، ولا تمثالاً الا طَمَسْتُهُ .

فامره بمحو التمثالين : الصورة الممثلة على صورة الميت ، والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره ، فان الشرك يحصل بهذا ، وبهذا .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب^(٦٧٠) — رضى الله عنه — انه كان في سفر فرأى قوما ينتابون مكانا للصلاة فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا، انهم اتخذوا آثار انبيائهم مساجد ، من ادركته الصلاة فليصل ، والا فليض .

وبلغه أن قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي ﷺ اصحابه تحتها فامر بقطعها .

وارسل اليه ابو موسى يذكر له انه ظهر بتستر قبر دانيال ، وعنده مصحف فيه اخبار ما سيكون ، قد ذكر فيه اخبار المسلمين ، وانهم اذا اجذبوا كشفوا عن القبر فطروا ، فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنيار ثلاثة عشر قدرا ، ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس ؛ لئلا يفتنوا به ، فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله ، وان لم يبين عليها مسجدا كان بناء المساجد عليها أعظم .

كذلك قال العلماء : يحرم بناء المساجد على القبور ، ويجب هدم كل مسجد بنى على قبر ، وان كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته ، فان الشرك انما يحصل اذا ظهرت صورته ، ولهذا كان مسجد النبي ﷺ اولا مقبرة للمشركين ، وفيها نخل وخراب ، فأمر بالقبور فَنَبِّشَتْ ، وبالنخل فَنُقِطِعَ وبالحرب قَسُوِيَتْ ، فخرج عن ان يكون مقبرة ، فصار مسجدا .

ذكره ابن حجر في فتح الباري (٥٦٧/١) .

اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف . راجع الدر المنثور (٥٢٣/٧) .

اخرجه البخاري في الصلاة (١١١/١) وفي الفضائل المدينة (٢٢٠/٢) ومناقب الانصار (٢٦٦/٤) ومسلم في المساجد (٣٣٣/١) واخرجه ابوداود (٣١٢/١) رقم (٤٥٣) والنسائي (٤٠/٢) واحمد (٢١٢/٢) .

اخرجه البخاري في باب الصلاة في مسجد مكة (٥٧/٢ - ٥٨) وفي كتاب جزاء الصيد (٢٢٠/٢) وفي الصوم (٢٥٠/٢) ومسلم في الحج (١٠٦٥، ١٠٦٤، ٩٧٦/١) .

واخرجه ابوداود (٢٩٧/٢) رقم (٢٠٣٣) والترمذي (١٤٨/٢) والنسائي (٣٧/٢) وابن ماجه (٤٥٢/١) رقم (١٤٠٩) واحمد (٧٨٠٧٧، ٧١٠٦٤، ٥٢، ٥١، ٤٥، ٢٤، ٧/٢ ٥٠١، ٢٧٨، ٢٢٨، ٢٢٤/٢) .

ولما كان اتخاذ القبور مساجد ، وبناء المساجد عليها محرما ، ولم يكن شي من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ، ولم يكن يعرف قط مسجد على قبر ، وكان قبر الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها ، وهي مسدودة لا أحد يدخل إليها □ ولا تشد الصحابة الرجال لا اليه ولا الى غيره من المقابر ؛ لأن في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال : « لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » .

فكان يأتي من يأتي منهم الى المسجد الأقصى يصلون فيه ، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ، ولا غيرها وكانت مغارة الخليل مسدودة ، حتى استولى النصارى على الشام في اواخر المائة الرابعة ، ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ، ثم لما فتح المسلمون البلاد اتخذه بعض الناس مسجدا ، وأهل العلم ينكرون ذلك .

والذي يرويه بعضهم في حديث الاسراء انه قيل للنبي ﷺ : هذه طيبة انزل فصل ، فنزل فصلي ، هذا مكان اييك انزل فصل ، كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ تلك الليلة الا في المسجد الأقصى خاصة ، كما ثبت ذلك في الصحيح ، ولا نزل الا فيه .

ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم الا الله ، وقدمها عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس ، وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة ، وقدمها مرة ثالثة حتى وصل الى سرغ ، ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فلم يذهب أحد منهم الى مغارة الخليل ، ولا غيرها من آثار الانبياء التي بالشام ، لابييت المقدس ، ولا بدمشق ، ولا غير ذلك ، مثل الآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون ، في غربيه الربوة المضافة الى عيسى عليه السلام ، وفي شرقيه المقام المضاف الى الخليل عليه السلام ، وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة الى هابيل لما قتله قابيل ، فهذه البقاع وأشغالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ، ولا يزورونها ، ولا يرجون منها بركة ، فانها محل الشرك .

(١٧٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور من رواية النسائي وابن مردويه عن انس (١٨٥/٥) ومن رواية البزار وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن شداد بن اوس (١٩٠/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/١ - ٧٢/١) بعد ما عزاه للبزار والطبراني . وفيه اسحق بن ابراهيم بن الملا وثقه يحيى بن معين وضعه النسائي . راجع حديث انس في صحيح مسلم (١٤٥/١) .

ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا ، وقد رآهم غير واحد على صورة الانس ، ويقولون لهم رجال الغيب ، يظنون انهم رجال من الانس غائبين عن الابصار ، وانما هم جن ، والجن يسمون رجالا . كما قال الله تعالى : ﴿ وَ اِنَّهٗ كَانَ رِجَالًا مِّنَ الْاِنْسِ يَعُوْذُوْنَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَّادَهُمْ رَهَقًا ۝۳۷ ﴾

والانس سموا انسا لانهم يؤنسون اى يرون . كما قال تعالى : ﴿ اِنِّىْ اَنْتُمْ قَارًا ۝۳۸ ﴾ اى رايتهما .

والجن سموا جنا لاجتنانهم ، يحتجبون عن الابصار اى يستترون . كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ۝۳۸ اٰى اسْتَوٰى عَلَيْهِ فَعَطَاهُ وَسَتَرَهُ ، وليس أحد من الانس يستتر دائما عن أبصار الانس ، وانما يقع هذا لبعض الانس فى بعض الأحوال : تارة على وجه الكرامة له . وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ، ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر .

والمقصود ههنا : ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يبنوا قط على قبر نبي ، ولا رجل صالح مسجدا ، ولا جعلوه مشهدا ومزارا ، ولا على شيء من آثار الأنبياء ، مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل فيه شيئا من ذلك ، لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الأنبياء والصالحين ، ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة فى مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه ، بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقا ، بل كان أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهى عن قصد الصلاة فى مكان صلى فيه رسول الله ﷺ اتفاقا لا قصدا ، وانما نقل عن ابن عمر خاصة انه كان يتحرى أن يسير حيث سار رسول الله ﷺ ، وينزل حيث نزل ، ويصلى حيث صلى ، وان كان النبي ﷺ لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل ، بل حصل اتفاقا ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما رجلا صالحا شديد الاتباع ، فرأى هذا من الاتباع ، وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان وعلى وسائر

(٦٧٦) سورة الجن (٦/٧٦) .

(٦٧٧) سورة النمل (٧/٧٧) .

(٦٧٨) سورة الانعام (٦/٧٨) .

(٦٧٩) اخرج ابن سعد فى طبقاته (١٤٥/٤) عن عائشة قالت :

ماكان احد يتبع آثار النبي ﷺ فى منازله كما كان يتبعه ابن عمر .

راجع الحلية (٣١٠/١) وانظر باب المساجد التى على طرق المدينة والواضع التى صلى فيها النبي ﷺ من صحيح البخارى - (فتح البارى ٥٦٧/١ - ٥٧١) .

العشرة وغيرهم ، مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر ، وقول الجمهور أصح .

وذلك ان المتابعة ان يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذى فعل ، لأجل انه فعل . فاذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة في ذلك المكان متابعة له ، وأما إذا لم يقصد تلك البقعة فان قصدها يكون مخالفة لا متابعة له .

مثال الاول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له ، وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كان فعل ذلك متابعة له ، وكذلك لما صعد على الصفا والمروة للذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له ، وقد كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة عند الاسطوانة ، قال : (لأني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها) فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة .

وكذلك لما أراد عتبان بن مالك أن يبني مسجدا لما عمى فأرسل الى رسول الله ﷺ قال له : (اني احب ان تأتيني تصلى في منزلي فاتخذته مصلى) — وفي رواية فقال : (تعال فخط لي مسجدا) فأق النبي ﷺ ومن شاء من اصحابه ، وفي رواية : « فعدا على رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله ﷺ فاذنت له ، فلم يجلس حتى دخل البيت ، فقال : اين تحب أن أصلى من بيتك ؟ فاشرت له الى ناحية من البيت ، فقام رسول الله ﷺ فقمنا وراءه فصلى ركعتين ، ثم سلم » الحديث .

فإنه قصد ان يبني مسجدا وأحب أن يكون أول من يصلى فيه النبي ﷺ ، وأن يبنيه في الموضع الذى صلى فيه ، فالمقصود كان بناء المسجد ، وأراد أن يصلى النبي ﷺ في المكان الذى يبنيه ، فكانت الصلاة مقصودة لأجل المسجد ، لم يكن بناء المسجد مقصودا لأجل كونه صلى فيه اتفاقا ، وهذا المكان مكان قصد النبي ﷺ الصلاة فيه ليكون مسجدا فصار قصد الصلوة فيه متابعة له ، بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد ، وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس

(٦٨٠) أخرجه البخارى في الصلاة (١٢٧/١) ومسلم (٣٦٤/١ - ٣٦٥) وابن ماجه (٤٥٧/١) رقم (١٤٢٠) واحد (٤٨٤) .

(٦٨١) راجع البخارى في الصلاة (١١٠/١) ومسلم في الايمان (١٢٣/١) وابن ماجه في المساجد (٢٤٩/١) رقم (٧٥٤) .

بالصوم متابعة لأنه قصد صوم هذين اليومين ، وقال في الحديث الصحيح^(٢٨٢) انه تفتح ابواب الجنة في كل خميس وإثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا .

وكذلك قصد اتيان مسجد قباء متابعة له ، فانه قد ثبت عنه في الصحيحين : (انه كان يأتي قباء كل سبت راكبا ومشيا) .

وذلك ان الله انزل عليه : (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه) وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف ، وقد ثبت في الصحيح^(٢٨٤) أنه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال : « هو مسجدى هذا » يريد انه اكل في هذا الوصف من مسجد قباء ، ومسجد قباء أيضا أسس على التقوى ، وبسببه نزلت الآية : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ .

وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء . تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ، ولم تكن العرب تفعل ذلك ، فاراد النبي ﷺ وآله وسلم ان لا يظن ظان ان ذاك هو الذى أسس على التقوى دون مسجده ، فذكر ان مسجده أحق بان يكون هو المؤسس على التقوى ، فقلوه : (لمسجد أسس على التقوى) يتناول مسجده ومسجد قباء ، ويتناول كل مسجد أسس على التقوى ، بخلاف مساجد الضار .

ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك ، ويرون العتيق أفضل من الجديد ؛ لان العتيق أبعد عن أن يكون بُنى ضرارامن الجديد الذى يخاف

(٢٨٢) أخرجه مسلم في البر من حديث أبي هريرة (١٩٨٧/٢) .
وأخرجه أيضا ابوداود في الأدب (٢١٦/٥) رقم ٤٩١٦ ، والترمذى في البر (٣٧٢/٤) رقم ٢٠٢٣ واحمد (٤٦٥،٤٠٠،٣٩٦،٣٦٨/٢) .
وانظر شعب الايمان للبيهقى .

(٢٨٣) أخرجه البخارى في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٥٧/٢) ومسلم في الحج في باب فضل مسجد قباء (١٠١٦/١) والنسائى في المساجد (٣٧/٢) .

(٢٨٤) راجع مسلم في الحج (١٠١٥/١) .
وأخرجه أيضا الترمذى (٢٨٠/٥) والنسائى (٣٧/٢) واحمد في المسند (٨٧٣، ٣٣١، ٣٣٥، ١١٦٦/٥) وانظر الدر المنثور (٢٨٧/٤) .

(٢٨٥) أخرجه الترمذى (٢٨٠/٥) وابوداود (٣٦/١) رقم ٤٤ وابن ماجه (١٢٨/١) رقم ٣٥٧ وانظر الدر المنثور (٢٨٧/٤) .

ذلك فيه ، وعق المسجد مما يحمد به ؛ ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ مَعِلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ
الْقَتِيبِيِّ ﴾ ^(٧٨٦)

وقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ ^(٧٨٧)

- فان قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه ايضا ، وذلك يقتضى زيادة فضله ، ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المساجد والمزارات التى بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ وآله وسلم الا مسجد قباء ؛ لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدا بعينه يذهب اليه إلا هو . وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار مسجد ، لكن ليس فى قصده دون امثاله فضيلة ، بخلاف مسجد قباء ، فانه اول مسجد بنى بالمدينة على الاطلاق ، وقد قصده الرسول ﷺ بالذهاب اليه . وصح عنه ﷺ انه قال : « من توضأ فى بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة » .

ومع هذا فلا يسافر اليه : لكن اذا كان الانسان بالمدينة أتاه ، ولا يقصده انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد الثلاثة لقوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدي هذا » .

١٥

ولهذا لو نذر السفر الى مسجد قباء لم يوف بنذره عند الائمة الاربعة وغيرهم ، بخلاف المسجد الحرام فانه يجب الوفاء بالنذر اليه باتفاقهم ، وكذلك مسجد المدينة ، وبيت المقدس ، فى أصح قوليه . وهو مذهب مالك وأحمد والشافعى فى أحد قوليه ، وفى الآخر وهو قول أبى حنيفة ليس عليه ذلك ؛ لكنه جائز ومستحب ، لأن من أصله انه لا يجب بالنذر إلا ما كان واجبا بالشرع ، والاكثرون يقولون يجب بالنذر كل ما كان طاعة لله ، كما ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

^(٧٨٧) سورة آل عمران (٩٦/٣) .

^(٧٨٦) سورة الحج (٣٣/٢٢) .

^(٧٨٨) رواه أبى ماجة (٤٥٢/١) رقم (١٤١٢) والسائى (٣٧/٢) والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٤٨/٥) ورواه أحمد والحاكم ايضا .

^(٧٨٩) قد مر قريبا .

^(٧٩٠) فى كتاب الايمان والنذور (٢٣٢/٧ - ٢٣٤) .

وأخرجه ايضا ابوداود (٥٩٢/٣) رقم (٣٢٨٩) والترمذى (١٠٤/٤) رقم (١٥٢٦) والسائى (١٧/٧) وابن ماجة (١٧٧/١) رقم (٢١٣٦) .

ويستحب ايضا زيارة قبور أهل البقيع ، وشهداء أحد ؛ للدعاء لهم والاستغفار ؛ لأن النبي ﷺ كان يقصد ذلك ، مع أن هذا مشروع لجميع موتي المسلمين ، كما يستحب السلام عليهم والدعاء لهم ، والاستغفار . وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة ، وسواء في ذلك قبور الانبياء والصالحين وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا ابا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف .

وأما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم ، أو دعائهم والاقسام بهم على الله ، أو ظن ان الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت ، فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق أئمة المسلمين ، ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ، ولا كانوا اذا سلموا على النبي ﷺ يقفون يدعون لأنفسهم ، ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء ، وقالوا انه من البدع التي لم يفعلها السلف ، واتفق العلماء الاربعة وغيرهم من السلف على انه اذا اراد ان يدعو يستقبل القبلة ، ولا يستقبل قبر النبي ﷺ ، وأما اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا : يستقبل القبر ، قاله مالك والشافعي وأحمد ، وقال ابو حنيفة : بل يستقبل القبلة ايضا ، ويكون القبر عن يساره ، وقيل : بل يستدبر القبلة .

ومما يبين هذا الأصل ان رسول الله ﷺ لما هاجر هو وابوبكر ذهابا الى الفار الذي يجبل ثور ، ولم يكن على طريقهما بالمدينة ، فانه من ناحية اليمن ، والمدينة من ناحية الشام ، ولكن اختبأ فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين ، فلا يعرفون اين ذحبا ، فان المشركين كانوا طالبيين لهما ، وقد بذلوا في كل واحد منهما ديتة لمن يأتي به ، وكانوا يقصدون منع النبي ﷺ ان يصل الى أصحابه بالمدينة ، وان لا يخرج من مكة ، بل لما عجزوا عن قتله ارادوا حبسه بمكة ، فلو سلك الطريق ابتداء لأدركوه ، فاقام بالفار ثلاثا لأجل ذلك ، فلو اراد المسافر من مكة الى المدينة ان يذهب الى الفار ، ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبا بل مكروها ، والنبي ﷺ في الهجرة سلك طريق الساحل وهي طويلة ، وفيها دورة ، وأما في عمره وحجته فكان يسلك الوسط ، وهو اقرب الى مكة ، فسلك

(٦٩١) أخرجه البيهقي في سننه (٢٤٥/٥) .

(٦٩٢) انظر قصة الهجرة في صحيح البخاري كتاب مناقب الانصار (٢٥٤/٤ - ٢٥٨) .
وراجع دلائل النبوة للبيهقي (٤٧١/٣ - ٤٨٢) .

في الهجرة طريق الساحل ؛ لأنها كانت أبعد عن قصد المشركين ، فان الطريق الوسطى كانت أقرب الى المدينة ، فيظنون انه سلكها ، كما كان اذا اراد غزوة وَرَى بغيرها .

- وهو (٦٩٣) لما قسم غنائم حنين بالجمعة اعتمر منها ، ولما صده المشركون عن مكة حل بالحديبية ، وكان قد انشأ الاحرام بالعمره من ميقات المدينة ذى الحليفة ، ولما اعتمر من العام القابل عمرة القضية اعتمر من ذى الحليفة ، ولم يدخل الكعبة في عمره ولا حجه وانما دخلها عام الفتح ، وكان بها صورة مصورة فلم يدخلها حتى عييت تلك الصور ، وصلى بها ركعتين ، وصلى يوم الفتح ثمان ركعات وقت الضحى ، كما روت ذلك أم هانئ ، ولم يكن يقصد الصلاة وقت الضحى الا لسبب مثل ان يقدم من سفر ، فيدخل المسجد فيصل في صلاة ركعتين ، ومثل ان يشغله نوم أو مرض عن قيام الليل فيصل بالنهار ثنتي عشرة ركعة ، وكان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة ، فصلت ثنتي عشرة ركعة شفعا لفوات وقت الوتر ، فانه (٦٩٤) قال : « المغرب وتر صلاة النهار ، فاوتروا صلاة الليل » .

- وقال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » (٧٠٠)
وقال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فاذا خفت الصبح فاوتر بركمة » (٧٠١)

(٦٩٣) راجع دلائل النبوة (٢٠١/٥) .

(٦٩٤) راجع البخارى في الحج (١٦١/٣) وانظر دلائل النبوة (٧٢/٥ - ٧٣) .

(٦٩٥) أخرجه البخارى في الصلاة . راجع فتح البارى (٥٠٠/١) رقم ٣٩٧ .

(٦٩٦) أخرجه البخارى في الصلاة (٩٤/١) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٤٩٨/١) .
وراجع دلائل النبوة (٨٠/٥ - ٨١) والسنن الكبرى للبيهقى (٤٨/٣) .

(٦٩٧) روى ذلك في حديث أخرجه مسلم (٤٩٦/١) وابوداود (٦٤/٢) .

(٦٩٨) راجع مسلم في صلاة المسافرين (٥١٥/١) .

(٦٩٩) رواه احمد بن ابن عمر (١٥٤، ٨٣، ٤١، ٣٠/٢) وكذا الطبراني في الكبير والوسط .
وقال الالبانى : صحيح راجع صحيح الجامع الصغير (٥٩٦٦) .

(٧٠٠) رواه البخارى (١٢١/١) ومسلم (٥١٧/١) واحمد (١٥٠، ٣٩/٢) عن ابن عمر .

(٧٠١) روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة . وحديث ابن عمر أخرجه البخارى في الوتر (١٢/٢) وفي التهجد (٤٥/٢) ومسلم في صلاة المسافرين (٥١٦/١) وابوداود في التطوع (٨٠/٢) رقم ١٢٢٩ والترمذى (٣٠١/٢) رقم ٤٢٧ والداريمى (٣٤٠) والنسائى (٢٣٧/٢ - ٢٣٨) ومالك في الموطأ (١٢٣) واحمد في مسنده (١٥٥، ١٤٨، ١٤٦، ١٣٤، ١٣٣، ١١٩، ٨٣، ٨١، ٧٩، ٧٧، ٧٦، ٧١، ٦٦، ٥٨، ٤٩، ٤٤، ٤٠، ٣٣، ٣٠، ١٠/٢) .

والمأثور عن السلف أنهم اذا ناموا عن الوتر كانوا يوترون قبل صلاة الفجر ، ولا يؤخرونه الى ما بعد الصلاة .

وفي الصحيحين عن عائشة ^(٧٠٣) — رضى الله عنها — انها قالت : ما صلى رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط ، واني لا سبحها ، وان كان ليدع العمل ، وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم .

وقد ثبت عنه في الصحيح ^(٧٠٣) انه أوصى بركعتي الضحى لأبي هريرة ، ولأبي الدرداء ، وفيها أحاديث ، لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بمض العلماء صلاة الضحى .

وقال آخرون : لم يصلها الا يوم الفتح ، فعلم انه صلاحا لأجل الفتح ، وكانوا يستحبون عند فتح مدينة ان يصلى الامام ثمان ركعات شكرا لله ، ويسمونها صلاة الفتح ، قالوا : لان الاتباع يعتبر فيه القصد والنبي ﷺ لم يقصد الصلاة لأجل الوقت ، ولو قصد ذلك لصلى كل يوم ، أو غالب الايام ،

كما كان يصلى ركعتي الفجر كل يوم ، وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين ، وقبلها ركعتين او اربعا ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاها بعد العصر ، وهو

ﷺ لما نام هو واصحابه عن صلاة الفجر في غزوة خيبر فصلوا بعد طلوع الشمس ركعتين ، ثم ركعتين ، لم يقل أحد ان هذه الصلاة في هذا الوقت سنة دائما ؛ لأنهم انما صلوها قضاء ، لكونهم ناموا عن الصلاة ، ولما فاتته العصر في

بعض ايام الخندق فصلوها بعد ما غربت الشمس ^(٧٠٤) ، وروى ان الظهر فاتته ايضا فصلى الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، لم يقل احد انه يستحب ان يصلى بين العشاءين احد عشر ركعة ، لأن ذلك كان قضاء ، بل ولا تقل عنه أحد انه

خص ما بين العشاءين بصلاة .

(٧٠٢) أخرجه البخارى في التهجد (٥٤، ٥٣، ٤٣/٢) ومسلم في صلاة المسافرين (٤٩٧/١) واحد (٨٥، ٣١/٦) .

(٧٠٣) راجع البخارى (٥٤) ومسلم (٤٩٧/١) .

(٧٠٤) رواه مسلم (٤٧١/١) وانظر دلائل النبوة (٣٧٣/٤) .

(٧٠٥) انظر البخارى في المغازي (٤٩/٥) وفي المواقيت (١٤٧/١ - ١٤٨) وفي الاذان (١٥٧/١) ومسلم (٤٣٨/١) والترمذى (٣٣٩ - ٣٣٨/١) .

(٧٠٦) رواه الترمذى (٣٣٧/١) واحد (٣٧٥/١ - ٤٣٣) .

وقوله تعالى: ﴿فَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ عند أكثر العلماء هو اذا قام الرجل بعد نوم ليس هو اول الليل ، وهذا هو الصواب ؛ لأن النبي ﷺ هكذا كان يصلي ، والأحاديث بذلك متواترة عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن يقوم بين العشاءين ..

- وكذلك اكله ما كان يجد من الطعام ، ولبسه الذى يوجد بمدينة طيبة مخلوقا فيها ، وجلبوا اليها من الين وغيرها ، لانه هو الذى يسه الله له ،
- فأكله التمر ، وخبز الشعير ، وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والقشأ ، ولبس ثياب الين ، لأن ذلك هو كان أيسر في بلده من الطعام والثياب ، لا لخصوص ذلك ، فن كان ببلد آخر وقوتهم التمر والذرة ، وفاكهتهم العنب والرمان ، وتحو ذلك ، وثيابهم مما ينسج بغير الين القز لم يكن اذا قصد ان يتكلف من القوت والفاكهة واللباس ما ليس في بلده — بل يتيسر عليهم — متبعا للرسول ﷺ ،
- وان كان ذلك الذى يتكلفه تمر او رطبيا أو خبز شعير . فعلم انه لا بد في المتابعة للنبي ﷺ من اعتبار القصد والنية : « فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » .

- فعلم ان الذى عليه جمهور الصحابة وأكابرهم هو الصحيح ، ومع هذا فابن عمر رضى الله عنهما لم يكن يقصد ان يصلى الا في مكان صلى فيه النبي ﷺ ، لم يكن يقصد الصلاة في موضع نزوله ومقامه ، ولا كان أحد من الصحابة يذهب الى الغار المذكور في القرآن للزيارة والصلاة فيه — وان كان النبي ﷺ وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس — ولا كانوا ايضا يذهبون الى حراء وهو المكان الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه نزل عليه الوحي اولا ، وكان هذا مكانا يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء أعلى جبل كان هناك ، فلما جاء الاسلام ذهب النبي ﷺ الى مكة مرات بعد أن أقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ، ومع هذا فلم يكن هو ولا اصحابه يذهبون الى حراء .

(٧٠٧) سورة المزمل (٧٧٣) .

(٧٠٨) راجع البخارى كتاب التهجيد (٤٧/٢) ومسلم كتاب صلاة المسافرين (٥١٠/١) واحد (١٠٢/١ - ٢٥٣) .

(٧٠٩) أخرجه البخارى في بدء الوحي (٢/١) وفي الأيمان (٢٠/١) وفي مواضع اخرى من صحيحه ومسلم في الامارة (١٥١٥/٣) كما أخرجه ابو داود في الطلاق (٦٥١/٣) رقم (٢٢٠١) والترمذى (١٧٩/٤) رقم (١٦٤٧) والسنائى (١٥٨/٦) وابن ماجه (١٤١٣/٢) رقم (٤٢٣٣) واحد (٢٥/١ - ٤٣) .

ولما حج النبي ﷺ استلم الركنين الهائنين ، ولم يستلم الشاميين ؛ لأنها لم
 بينيا على قواعد إبراهيم ، فإن أكثر الحجر من البيت ، والحجر الأسود استلمه
 وقبله ، والهامي استلمه ولم يقبله ، وصلى بمقام إبراهيم ولم يستلمه ، ولم يقبله ،
 فدل ذلك على أن التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين الهائنين وتقبيل شيء منها
 غير الحجر الأسود ليس بسنة ، ودل على أن استلام مقام إبراهيم وتقبيله ليس
 بسنة ، وإذا كان هذا نفس الكعبة ، ونفس مقام إبراهيم بها ، فعلوم أن جميع
 المساجد حرمتها دون الكعبة ، وإن مقام إبراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات
 الأنبياء دون المقام الذي قال الله فيه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
 مُصَلًّى ﴾ ^(٣١٠)

١٠ فلم إن سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها ، كما لا يحج إلى سائر المشاهد ،
 ولا يتسح بها . ولا يقبل شيء من مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصخرة
 ولا غيرها ، ولا يقبل ما على وجه الأرض إلا الحجر الأسود .

١٥ وأيضا فالنبي ﷺ لم يصل بمسجد بمكة إلا المسجد الحرام ، ولم يأت
 للعبادات إلا المشاعر : منى ، مزدلفة ، وعرفة فلماذا كان أئمة العلماء على أنه
 لا يستحب أن يقصد مسجدا بمكة للصلاة غير المسجد الحرام ، ولا تقصد بقعة
 للزيارة غير المشاعر التي قصدها رسول الله ﷺ ، وإذا كان هذا في آثارهم ،
 فكيف بالمقابر التي لمن رسول الله ﷺ من اتخذها مساجد ، وأخبر أنهم شرار
 الخلق عند الله يوم القيامة ؟ .

٢٠ ودين الإسلام أنه لا تقصد بقعة للصلاة إلا أن تكون مسجدا فقط ، ولهذا
 مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك ، لا للصلاة فلا صلاة بعرفة ، وإنما
 صلى النبي ﷺ الظهر والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ، ثم بعد
 الصلاة ذهب إلى عرفات ، فوقف بها ، وكذلك يذكر الله ويدعى بعرفات
 ويمزدلفة على قزح ، وبالصفا والمروة ، وبين الجمرات ، وعند الرمي ، ولا تقصد
 هذه البقاع للصلاة . وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة لا للصلاة ،
 ولا للذكر ، ولا للدعاء ، بل يصلي المسلم حيث أدركته الصلاة ، إلا حيث

(٣١٠) سورة البقرة (١٢٥/٢) .

- نهی ، ویزکر الله ویدعوه حیث تیسر من غیر قصد تخصیص بقعة بذلك ، وإذا اتخذ بقعة لذلك كالشاهد نهی عن ذلك ، كما نهی عن الصلاة في المقبرة ، الا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت من الدعاء له وللمسلمين ، كما يفعل مثل ذلك في الصلاة على الجنازة ، فان زيارة قبر المومن من جنس الصلاة على جنازته ، يفعل في هذا من جنس ما يفعل في هذا ، ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا .

- وما يشبه هذا ان الانصار بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة بالوادى الذى وراء جرة العقبة ؛ لانه مكان منخفض قريب من منى ، يستر من فيه ، فان السبعين الانصار كانوا قد حجوا مع قومهم المشركين ، وما زال الناس يحجون الى مكة قبل الاسلام وبعده ، فجاءوا مع قومهم الى منى ؛ لأجل الحج ؛ ثم ذهبوا بالليل الى ذلك المكان لقربه وستره لالفضيلة فيه ، ولم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه .

- ولهذا لما حج النبي ﷺ هو واصحابه لم يذهبوا اليه ، ولا زاروه ، وقد بنى هناك مسجد ، وهو محدث ، وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام محدث ، ومعنى نفسها لم يكن بها على عهد النبي ﷺ مسجد مبنى ، ولكن قال منى مناخ لمن سيق ، فزل بها السلون ، وكان يصلى بالمسلمين مبنى ، وغير منى ، وكذلك خلفاؤه من بعده ، واجتماع الحجاج بنى أكثر من اجتماعهم بغيرها ، فانهم يقيمون بها اربعا ، وكان النبي ﷺ وابوبكر وعمر يصلون بالناس بنى وغير منى ، وكانوا يقصرون الصلاة بنى وعرفة ومزدلفة ، ويجمعون بين الظهر والعصر بعرفة ، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ، ويصلى بصلاتهم جميع الحجاج من اهل مكة وغير اهل مكة ، وكلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر ، وكلهم يجمعون بعرفة ومزدلفة .

- وقد تنازع العلماء في اهل مكة وغوهم هل يقصرون او يجمعون فقول : لا يقصرون ، ولا يجمعون ، كما يقول ذلك من يقوله من اصحاب الشافعى وأحمد ، وقيل يجمعون ولا يقصرون ، كما يقول ذلك ابو حنيفة وأحمد ومن وافقه من اصحابه وأصحاب الشافعى ، وقيل يجمعون ويقصرون كما قال ذلك مالك وابن عيينة واسحق بن راهويه وبعض اصحاب أحمد وغيرهم ، وهذا هو الصواب
- (٧١١) أخرجه ابوداود في المسالك (٥٢٢/٢) رقم (٢٠١٦) والترمذى (٢٢٨/٢) رقم (٨٨١) وابن ماجه (١٠٠٠/٢) رقم (٣٠٠٦) والدارمى (٤٦١) وأحمد (٢٠٧٠، ١٨٧/٦) .

بلا ريب ، فانه الذى فعله أهل مكة خلف النبي ﷺ بلا ريب ، ولم يقل النبي ﷺ قط ولا ابوبكر ولا عمر بنى ولا عرفة ولا مزدلفة: يا أهل مكة اتقوا صلاتكم ، فانا قوم سفر ، ولكن ثبت^(٧١٢) أن عمر قال ذلك في جوف مكة .

وكذلك في السنن^(٧١٣) عن النبي ﷺ انه قال ذلك في جوف مكة في غزوة الفتح ، وهذا من أقوى الأدلة على ان القصر مشروع لكل مسافر ، ولو كان سفره بريدا . فان عرفة من مكة يريد : اربع فراسخ .

ولم يصل النبي ﷺ ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد : بل ولا صلى في اسفاره قط صلاة العيد ، ولا صلى بهم في اسفاره صلاة جمعة يخطب ثم يصلى ركعتين ، بل كان يصلى يوم الجمعة في السفر ركعتين ، كما يصلى في سائر الايام .

وكذلك لما صلى بهم الظهر والعصر بعرفة صلى ركعتين ، كصلاته في سائر الايام ، ولم ينقل احد انه جهر بالقراءة يوم الجمعة في السفر .

فعل ان الصواب ما عليه سلف الامة وجاهيرها من الائمة الاربعة وغيرهم ، من ان المسافر لا يصلى جمعة ولا غيرها ، وجمهورهم ايضا على انه لا يصلى عيدا ، وهو قول مالك وابى حنيفة وأحد في احدى الروايتين ، وهذا هو الصواب ايضا ، فان النبي ﷺ وخلفاؤه لم يكونوا يصلون العيد الا في المقام ، لا في السفر ، ولم يكن يصلى صلاة العيد الا في مكان واحد مع الامام يخرج بهم الى الصحراء فيصلى هناك ، فيصلى المسلمون كلهم خلفه صلاة العيد ، كما يصلون الجمعة ولم يكن أحد من المسلمين يصلى صلاة عيد في مسجد قبيلته ولا بيته ، كما لم يكونوا يصلون جمعة في مساجد القبائل ، ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصلى صلاة عيد على عهد النبي ﷺ وخلفائه بل عيدهم بنى بعد افاضتهم من المشعر الحرام ، ورعى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر أهل الامصار يرمون ثم ينحرون وسائر أهل الأمصار يصلون ثم ينحرون ، والنبي ﷺ لما أفاض من منى نزل بالمحصب ، فاختلف اصحابه هل التحصيب سنة لاختلافهم في قصده هل قصد النزول به او نزل به لانه كان اسمح لخروجه . وهذا مما يبين ان المقاصد كانت معتبرة عندهم في المتابعة .

(٧١٢) أخرجه مالك في اللوطا (٤٠٢، ١٤٩) والبيهقي في سننه (١٥٧/٣) .

(٧١٣) أخرجه ابوداود (٢٤/٣) رقم (١٢٢٩) والبيهقي في سننه (١٥٧/٣) .

ولما اعتبر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تفتح بمد ، وكان المشركون قد قالوا : يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يثرب ، وقعد المشركون خلف قيعقمان ، وهو جبل المروة ينظرون اليهم ، فامر النبي ﷺ اصحابه ان يرملوا ثلاثة اشواط من الطواف ، ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ، وروى انه دعا لمن فعل ذلك ، ولم يرملوا بين الركنين ؛ لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب ، فكان المقصود بالرمل اذ ذاك من جنس المقصود بالجهاد . فظن بعض المتقدمين انه ليس من النسك ، لأنه فعل لقصد وزال ؛ لكن ثبت في الصحيح : (ان النبي ﷺ واصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الاسود الى الحجر الاسود فكلوا الرمل بين الركنين) .

- وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية ، وفعل ذلك في حجة الوداع مع الأمن العام ، فانه لم يحج معه الا مؤمن ، فدل ذلك على ان الرمل صار من سنة الحج ، فانه فعل اولا لمقصود الجهاد ، ثم شرع نسكا كما روى في سمي هاجر ، وفي رمى الجمار ، وفي ذبح الكبش : انه فعل اولا لمقصود ، ثم شرعه الله نسكا وعبادة ، لكن هذا يكون اذا شرع الله ذلك ، وأمر به ، وليس لأحد ان يشرع مالم يشرعه الله ، كما لو قال قائل : انا استحب الطواف بالصخرة سبعا ، كما يطاف بالكعبة ، او استحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى ، كما امر الله ان يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ونحو ذلك ، لم يكن له ذلك ، لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الاعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه ، اما لمعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم ، وإما لمحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم ، كما خص الكعبة بأن يحج اليها ويطاف بها ، وكما خص عرفات بالوقوف بها ، وكما خص منى برمي الجمار بها ، وكما خص الاشهر الحرم بتحريمها ، وكما خص شهر رمضان بصيامه ، وقيامه ، الى امثال ذلك .

(٧١٤) اخرجہ البخاری فی کتاب الحج (١٦١/٢) وفي الفرائض (٨٧/٥) ومسلم (٩٢٢/١) وابوداود (٤٤٥/٢) - ٤٤٦ رقم ١٨٨٥ - ١٨٨٦ وابن ماجه (٩٨٤/٢) رقم ٢٩٥٣ واحد (٢٣٢/١) و٢٣٣٠، ٢٣٩٠، ٢٣٩٧، ٢٣٩٨، ٢٣٩٩، ٢٤٠٠، ٢٤٠١، ٢٤٠٢، ٢٤٠٣، ٢٤٠٤، ٢٤٠٥، ٢٤٠٦، ٢٤٠٧، ٢٤٠٨، ٢٤٠٩، ٢٤١٠، ٢٤١١، ٢٤١٢، ٢٤١٣، ٢٤١٤، ٢٤١٥، ٢٤١٦، ٢٤١٧، ٢٤١٨، ٢٤١٩، ٢٤٢٠، ٢٤٢١، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣، ٢٤٢٤، ٢٤٢٥، ٢٤٢٦، ٢٤٢٧، ٢٤٢٨، ٢٤٢٩، ٢٤٣٠، ٢٤٣١، ٢٤٣٢، ٢٤٣٣، ٢٤٣٤، ٢٤٣٥، ٢٤٣٦، ٢٤٣٧، ٢٤٣٨، ٢٤٣٩، ٢٤٤٠، ٢٤٤١، ٢٤٤٢، ٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٢٤٤٥، ٢٤٤٦، ٢٤٤٧، ٢٤٤٨، ٢٤٤٩، ٢٤٥٠، ٢٤٥١، ٢٤٥٢، ٢٤٥٣، ٢٤٥٤، ٢٤٥٥، ٢٤٥٦، ٢٤٥٧، ٢٤٥٨، ٢٤٥٩، ٢٤٦٠، ٢٤٦١، ٢٤٦٢، ٢٤٦٣، ٢٤٦٤، ٢٤٦٥، ٢٤٦٦، ٢٤٦٧، ٢٤٦٨، ٢٤٦٩، ٢٤٧٠، ٢٤٧١، ٢٤٧٢، ٢٤٧٣، ٢٤٧٤، ٢٤٧٥، ٢٤٧٦، ٢٤٧٧، ٢٤٧٨، ٢٤٧٩، ٢٤٨٠، ٢٤٨١، ٢٤٨٢، ٢٤٨٣، ٢٤٨٤، ٢٤٨٥، ٢٤٨٦، ٢٤٨٧، ٢٤٨٨، ٢٤٨٩، ٢٤٩٠، ٢٤٩١، ٢٤٩٢، ٢٤٩٣، ٢٤٩٤، ٢٤٩٥، ٢٤٩٦، ٢٤٩٧، ٢٤٩٨، ٢٤٩٩، ٢٥٠٠، ٢٥٠١، ٢٥٠٢، ٢٥٠٣، ٢٥٠٤، ٢٥٠٥، ٢٥٠٦، ٢٥٠٧، ٢٥٠٨، ٢٥٠٩، ٢٥١٠، ٢٥١١، ٢٥١٢، ٢٥١٣، ٢٥١٤، ٢٥١٥، ٢٥١٦، ٢٥١٧، ٢٥١٨، ٢٥١٩، ٢٥٢٠، ٢٥٢١، ٢٥٢٢، ٢٥٢٣، ٢٥٢٤، ٢٥٢٥، ٢٥٢٦، ٢٥٢٧، ٢٥٢٨، ٢٥٢٩، ٢٥٣٠، ٢٥٣١، ٢٥٣٢، ٢٥٣٣، ٢٥٣٤، ٢٥٣٥، ٢٥٣٦، ٢٥٣٧، ٢٥٣٨، ٢٥٣٩، ٢٥٤٠، ٢٥٤١، ٢٥٤٢، ٢٥٤٣، ٢٥٤٤، ٢٥٤٥، ٢٥٤٦، ٢٥٤٧، ٢٥٤٨، ٢٥٤٩، ٢٥٥٠، ٢٥٥١، ٢٥٥٢، ٢٥٥٣، ٢٥٥٤، ٢٥٥٥، ٢٥٥٦، ٢٥٥٧، ٢٥٥٨، ٢٥٥٩، ٢٥٦٠، ٢٥٦١، ٢٥٦٢، ٢٥٦٣، ٢٥٦٤، ٢٥٦٥، ٢٥٦٦، ٢٥٦٧، ٢٥٦٨، ٢٥٦٩، ٢٥٧٠، ٢٥٧١، ٢٥٧٢، ٢٥٧٣، ٢٥٧٤، ٢٥٧٥، ٢٥٧٦، ٢٥٧٧، ٢٥٧٨، ٢٥٧٩، ٢٥٨٠، ٢٥٨١، ٢٥٨٢، ٢٥٨٣، ٢٥٨٤، ٢٥٨٥، ٢٥٨٦، ٢٥٨٧، ٢٥٨٨، ٢٥٨٩، ٢٥٩٠، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٢٥٩٤، ٢٥٩٥، ٢٥٩٦، ٢٥٩٧، ٢٥٩٨، ٢٥٩٩، ٢٦٠٠، ٢٦٠١، ٢٦٠٢، ٢٦٠٣، ٢٦٠٤، ٢٦٠٥، ٢٦٠٦، ٢٦٠٧، ٢٦٠٨، ٢٦٠٩، ٢٦١٠، ٢٦١١، ٢٦١٢، ٢٦١٣، ٢٦١٤، ٢٦١٥، ٢٦١٦، ٢٦١٧، ٢٦١٨، ٢٦١٩، ٢٦٢٠، ٢٦٢١، ٢٦٢٢، ٢٦٢٣، ٢٦٢٤، ٢٦٢٥، ٢٦٢٦، ٢٦٢٧، ٢٦٢٨، ٢٦٢٩، ٢٦٣٠، ٢٦٣١، ٢٦٣٢، ٢٦٣٣، ٢٦٣٤، ٢٦٣٥، ٢٦٣٦، ٢٦٣٧، ٢٦٣٨، ٢٦٣٩، ٢٦٤٠، ٢٦٤١، ٢٦٤٢، ٢٦٤٣، ٢٦٤٤، ٢٦٤٥، ٢٦٤٦، ٢٦٤٧، ٢٦٤٨، ٢٦٤٩، ٢٦٥٠، ٢٦٥١، ٢٦٥٢، ٢٦٥٣، ٢٦٥٤، ٢٦٥٥، ٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨، ٢٦٥٩، ٢٦٦٠، ٢٦٦١، ٢٦٦٢، ٢٦٦٣، ٢٦٦٤، ٢٦٦٥، ٢٦٦٦، ٢٦٦٧، ٢٦٦٨، ٢٦٦٩، ٢٦٧٠، ٢٦٧١، ٢٦٧٢، ٢٦٧٣، ٢٦٧٤، ٢٦٧٥، ٢٦٧٦، ٢٦٧٧، ٢٦٧٨، ٢٦٧٩، ٢٦٨٠، ٢٦٨١، ٢٦٨٢، ٢٦٨٣، ٢٦٨٤، ٢٦٨٥، ٢٦٨٦، ٢٦٨٧، ٢٦٨٨، ٢٦٨٩، ٢٦٩٠، ٢٦٩١، ٢٦٩٢، ٢٦٩٣، ٢٦٩٤، ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، ٢٦٩٧، ٢٦٩٨، ٢٦٩٩، ٢٧٠٠، ٢٧٠١، ٢٧٠٢، ٢٧٠٣، ٢٧٠٤، ٢٧٠٥، ٢٧٠٦، ٢٧٠٧، ٢٧٠٨، ٢٧٠٩، ٢٧١٠، ٢٧١١، ٢٧١٢، ٢٧١٣، ٢٧١٤، ٢٧١٥، ٢٧١٦، ٢٧١٧، ٢٧١٨، ٢٧١٩، ٢٧٢٠، ٢٧٢١، ٢٧٢٢، ٢٧٢٣، ٢٧٢٤، ٢٧٢٥، ٢٧٢٦، ٢٧٢٧، ٢٧٢٨، ٢٧٢٩، ٢٧٣٠، ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ٢٧٣٣، ٢٧٣٤، ٢٧٣٥، ٢٧٣٦، ٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩، ٢٧٤٠، ٢٧٤١، ٢٧٤٢، ٢٧٤٣، ٢٧٤٤، ٢٧٤٥، ٢٧٤٦، ٢٧٤٧، ٢٧٤٨، ٢٧٤٩، ٢٧٥٠، ٢٧٥١، ٢٧٥٢، ٢٧٥٣، ٢٧٥٤، ٢٧٥٥، ٢٧٥٦، ٢٧٥٧، ٢٧٥٨، ٢٧٥٩، ٢٧٦٠، ٢٧٦١، ٢٧٦٢، ٢٧٦٣، ٢٧٦٤، ٢٧٦٥، ٢٧٦٦، ٢٧٦٧، ٢٧٦٨، ٢٧٦٩، ٢٧٧٠، ٢٧٧١، ٢٧٧٢، ٢٧٧٣، ٢٧٧٤، ٢٧٧٥، ٢٧٧٦، ٢٧٧٧، ٢٧٧٨، ٢٧٧٩، ٢٧٨٠، ٢٧٨١، ٢٧٨٢، ٢٧٨٣، ٢٧٨٤، ٢٧٨٥، ٢٧٨٦، ٢٧٨٧، ٢٧٨٨، ٢٧٨٩، ٢٧٩٠، ٢٧٩١، ٢٧٩٢، ٢٧٩٣، ٢٧٩٤، ٢٧٩٥، ٢٧٩٦، ٢٧٩٧، ٢٧٩٨، ٢٧٩٩، ٢٨٠٠، ٢٨٠١، ٢٨٠٢، ٢٨٠٣، ٢٨٠٤، ٢٨٠٥، ٢٨٠٦، ٢٨٠٧، ٢٨٠٨، ٢٨٠٩، ٢٨١٠، ٢٨١١، ٢٨١٢، ٢٨١٣، ٢٨١٤، ٢٨١٥، ٢٨١٦، ٢٨١٧، ٢٨١٨، ٢٨١٩، ٢٨٢٠، ٢٨٢١، ٢٨٢٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥، ٢٨٢٦، ٢٨٢٧، ٢٨٢٨، ٢٨٢٩، ٢٨٣٠، ٢٨٣١، ٢٨٣٢، ٢٨٣٣، ٢٨٣٤، ٢٨٣٥، ٢٨٣٦، ٢٨٣٧، ٢٨٣٨، ٢٨٣٩، ٢٨٤٠، ٢٨٤١، ٢٨٤٢، ٢٨٤٣، ٢٨٤٤، ٢٨٤٥، ٢٨٤٦، ٢٨٤٧، ٢٨٤٨، ٢٨٤٩، ٢٨٥٠، ٢٨٥١، ٢٨٥٢، ٢٨٥٣، ٢٨٥٤، ٢٨٥٥، ٢٨٥٦، ٢٨٥٧، ٢٨٥٨، ٢٨٥٩، ٢٨٦٠، ٢٨٦١، ٢٨٦٢، ٢٨٦٣، ٢٨٦٤، ٢٨٦٥، ٢٨٦٦، ٢٨٦٧، ٢٨٦٨، ٢٨٦٩، ٢٨٧٠، ٢٨٧١، ٢٨٧٢، ٢٨٧٣، ٢٨٧٤، ٢٨٧٥، ٢٨٧٦، ٢٨٧٧، ٢٨٧٨، ٢٨٧٩، ٢٨٨٠، ٢٨٨١، ٢٨٨٢، ٢٨٨٣، ٢٨٨٤، ٢٨٨٥، ٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٢٨٨٨، ٢٨٨٩، ٢٨٩٠، ٢٨٩١، ٢٨٩٢، ٢٨٩٣، ٢٨٩٤، ٢٨٩٥، ٢٨٩٦، ٢٨٩٧، ٢٨٩٨، ٢٨٩٩، ٢٩٠٠، ٢٩٠١، ٢٩٠٢، ٢٩٠٣، ٢٩٠٤، ٢٩٠٥، ٢٩٠٦، ٢٩٠٧، ٢٩٠٨، ٢٩٠٩، ٢٩١٠، ٢٩١١، ٢٩١٢، ٢٩١٣، ٢٩١٤، ٢٩١٥، ٢٩١٦، ٢٩١٧، ٢٩١٨، ٢٩١٩، ٢٩٢٠، ٢٩٢١، ٢٩٢٢، ٢٩٢٣، ٢٩٢٤، ٢٩٢٥، ٢٩٢٦، ٢٩٢٧، ٢٩٢٨، ٢٩٢٩، ٢٩٣٠، ٢٩٣١، ٢٩٣٢، ٢٩٣٣، ٢٩٣٤، ٢٩٣٥، ٢٩٣٦، ٢٩٣٧، ٢٩٣٨، ٢٩٣٩، ٢٩٤٠، ٢٩٤١، ٢٩٤٢، ٢٩٤٣، ٢٩٤٤، ٢٩٤٥، ٢٩٤٦، ٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٢٩٥١، ٢٩٥٢، ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، ٢٩٥٥، ٢٩٥٦، ٢٩٥٧، ٢٩٥٨، ٢٩٥٩، ٢٩٦٠، ٢٩٦١، ٢٩٦٢، ٢٩٦٣، ٢٩٦٤، ٢٩٦٥، ٢٩٦٦، ٢٩٦٧، ٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠، ٢٩٧١، ٢٩٧٢، ٢٩٧٣، ٢٩٧٤، ٢٩٧٥، ٢٩٧٦، ٢٩٧٧، ٢٩٧٨، ٢٩٧٩، ٢٩٨٠، ٢٩٨١، ٢٩٨٢، ٢٩٨٣، ٢٩٨٤، ٢٩٨٥، ٢٩٨٦، ٢٩٨٧، ٢٩٨٨، ٢٩٨٩، ٢٩٩٠، ٢٩٩١، ٢٩٩٢، ٢٩٩٣، ٢٩٩٤، ٢٩٩٥، ٢٩٩٦، ٢٩٩٧، ٢٩٩٨، ٢٩٩٩، ٣٠٠٠، ٣٠٠١، ٣٠٠٢، ٣٠٠٣، ٣٠٠٤، ٣٠٠٥، ٣٠٠٦، ٣٠٠٧، ٣٠٠٨، ٣٠٠٩، ٣٠١٠، ٣٠١١، ٣٠١٢، ٣٠١٣، ٣٠١٤، ٣٠١٥، ٣٠١٦، ٣٠١٧، ٣٠١٨، ٣٠١٩، ٣٠٢٠، ٣٠٢١، ٣٠٢٢، ٣٠٢٣، ٣٠٢٤، ٣٠٢٥، ٣٠٢٦، ٣٠٢٧، ٣٠٢٨، ٣٠٢٩، ٣٠٣٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٣٠٣٣، ٣٠٣٤، ٣٠٣٥، ٣٠٣٦، ٣٠٣٧، ٣٠٣٨، ٣٠٣٩، ٣٠٤٠، ٣٠٤١، ٣٠٤٢، ٣٠٤٣، ٣٠٤٤، ٣٠٤٥، ٣٠٤٦، ٣٠٤٧، ٣٠٤٨، ٣٠٤٩، ٣٠٥٠، ٣٠٥١، ٣٠٥٢، ٣٠٥٣، ٣٠٥٤، ٣٠٥٥، ٣٠٥٦، ٣٠٥٧، ٣٠٥٨، ٣٠٥٩، ٣٠٦٠، ٣٠٦١، ٣٠٦٢، ٣٠٦٣، ٣٠٦٤، ٣٠٦٥، ٣٠٦٦، ٣٠٦٧، ٣٠٦٨، ٣٠٦٩، ٣٠٧٠، ٣٠٧١، ٣٠٧٢، ٣٠٧٣، ٣٠٧٤، ٣٠٧٥، ٣٠٧٦، ٣٠٧٧، ٣٠٧٨، ٣٠٧٩، ٣٠٨٠، ٣٠٨١، ٣٠٨٢، ٣٠٨٣، ٣٠٨٤، ٣٠٨٥، ٣٠٨٦، ٣٠٨٧، ٣٠٨٨، ٣٠٨٩، ٣٠٩٠، ٣٠٩١، ٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٠٩٤، ٣٠٩٥، ٣٠٩٦، ٣٠٩٧، ٣٠٩٨، ٣٠٩٩، ٣١٠٠، ٣١٠١، ٣١٠٢، ٣١٠٣، ٣١٠٤، ٣١٠٥، ٣١٠٦، ٣١٠٧، ٣١٠٨، ٣١٠٩، ٣١١٠، ٣١١١، ٣١١٢، ٣١١٣، ٣١١٤، ٣١١٥، ٣١١٦، ٣١١٧، ٣١١٨، ٣١١٩، ٣١٢٠، ٣١٢١، ٣١٢٢، ٣١٢٣، ٣١٢٤، ٣١٢٥، ٣١٢٦، ٣١٢٧، ٣١٢٨، ٣١٢٩، ٣١٣٠، ٣١٣١، ٣١٣٢، ٣١٣٣، ٣١٣٤، ٣١٣٥، ٣١٣٦، ٣١٣٧، ٣١٣٨، ٣١٣٩، ٣١٤٠، ٣١٤١، ٣١٤٢، ٣١٤٣، ٣١٤٤، ٣١٤٥، ٣١٤٦، ٣١٤٧، ٣١٤٨، ٣١٤٩، ٣١٥٠، ٣١٥١، ٣١٥٢، ٣١٥٣، ٣١٥٤، ٣١٥٥، ٣١٥٦، ٣١٥٧، ٣١٥٨، ٣١٥٩، ٣١٦٠، ٣١٦١، ٣١٦٢، ٣١٦٣، ٣١٦٤، ٣١٦٥، ٣١٦٦، ٣١٦٧، ٣١٦٨، ٣١٦٩، ٣١٧٠، ٣١٧١، ٣١٧٢، ٣١٧٣، ٣١٧٤، ٣١٧٥، ٣١٧٦، ٣١٧٧، ٣١٧٨، ٣١٧٩، ٣١٨٠، ٣١٨١، ٣١٨٢، ٣١٨٣، ٣١٨٤، ٣١٨٥، ٣١٨٦، ٣١٨٧، ٣١٨٨، ٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩١، ٣١٩٢، ٣١٩٣، ٣١٩٤، ٣١٩٥، ٣١٩٦، ٣١٩٧، ٣١٩٨، ٣١٩٩، ٣٢٠٠، ٣٢٠١، ٣٢٠٢، ٣٢٠٣، ٣٢٠٤، ٣٢٠٥، ٣٢٠٦، ٣٢٠٧، ٣٢٠٨، ٣٢٠٩، ٣٢١٠، ٣٢١١، ٣٢١٢، ٣٢١٣، ٣٢١٤، ٣٢١٥، ٣٢١٦، ٣٢١٧، ٣٢١٨، ٣٢١٩، ٣٢٢٠، ٣٢٢١، ٣٢٢٢، ٣٢٢٣، ٣٢٢٤، ٣٢٢٥، ٣٢٢٦، ٣٢٢٧، ٣٢٢٨، ٣٢٢٩، ٣٢٣٠، ٣٢٣١، ٣٢٣٢، ٣٢٣٣، ٣٢٣٤، ٣٢٣٥، ٣٢٣٦، ٣٢٣٧، ٣٢٣٨، ٣٢٣٩، ٣٢٤٠، ٣٢٤١، ٣٢٤٢، ٣٢٤٣، ٣٢٤٤، ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٤٧، ٣٢٤٨، ٣٢٤٩، ٣٢٥٠، ٣٢٥١، ٣٢٥٢، ٣٢٥٣، ٣٢٥٤، ٣٢٥٥، ٣٢٥٦، ٣٢٥٧، ٣٢٥٨، ٣٢٥٩، ٣٢٦٠، ٣٢٦١، ٣٢٦٢، ٣٢٦٣، ٣٢٦٤، ٣٢٦٥، ٣٢٦٦، ٣٢٦٧، ٣٢٦٨، ٣٢٦٩، ٣٢٧٠، ٣٢٧١، ٣٢٧٢، ٣٢٧٣، ٣٢٧٤، ٣٢٧٥، ٣٢٧٦، ٣٢٧٧، ٣٢٧٨، ٣٢٧٩، ٣٢٨٠، ٣٢٨١، ٣٢٨٢، ٣٢٨٣، ٣٢٨٤، ٣٢٨٥، ٣٢٨٦، ٣٢٨٧، ٣٢٨٨، ٣٢٨٩، ٣٢٩٠، ٣٢٩١، ٣٢٩٢، ٣٢٩٣، ٣٢٩٤، ٣٢٩٥، ٣٢٩٦، ٣٢٩٧، ٣٢٩٨، ٣٢٩٩، ٣٣٠٠، ٣٣٠١، ٣٣٠٢، ٣٣٠٣، ٣٣٠٤، ٣٣٠٥، ٣٣٠٦، ٣٣٠٧، ٣٣٠٨، ٣٣٠٩، ٣٣١٠، ٣٣١١، ٣٣١٢، ٣٣١٣، ٣٣١٤، ٣٣١٥، ٣٣١٦، ٣٣١٧، ٣٣١٨، ٣٣١٩، ٣٣٢٠، ٣٣٢١، ٣٣٢٢، ٣٣٢٣، ٣٣٢٤، ٣٣٢٥، ٣٣٢٦، ٣٣٢٧، ٣٣٢٨، ٣٣٢٩، ٣٣٣٠، ٣٣٣١، ٣٣٣٢، ٣٣٣٣، ٣٣٣٤، ٣٣٣٥، ٣٣٣٦، ٣٣٣٧، ٣٣٣٨، ٣٣٣٩، ٣٣٤٠، ٣٣٤١، ٣٣٤٢، ٣٣٤٣، ٣٣٤٤، ٣٣٤٥، ٣٣٤٦، ٣٣٤٧، ٣٣٤٨، ٣٣٤٩، ٣٣٥٠، ٣٣٥١، ٣٣٥٢، ٣٣٥٣، ٣٣٥٤، ٣٣٥٥، ٣٣٥٦، ٣٣٥٧، ٣٣٥٨، ٣٣٥٩، ٣٣٦٠، ٣٣٦١، ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤، ٣٣٦٥، ٣٣٦٦، ٣٣٦٧، ٣٣٦٨، ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، ٣٣٧١، ٣٣٧٢، ٣٣٧٣، ٣٣٧٤، ٣٣٧٥، ٣٣٧٦، ٣٣٧٧، ٣٣٧٨، ٣٣٧٩، ٣٣٨٠، ٣٣٨١، ٣٣٨٢، ٣٣٨٣، ٣٣٨٤، ٣٣٨٥، ٣٣٨٦، ٣٣٨٧، ٣٣٨٨، ٣٣٨٩، ٣٣٩٠، ٣٣٩١، ٣٣٩٢، ٣٣٩٣، ٣٣٩٤، ٣٣٩٥، ٣٣٩٦، ٣٣٩٧، ٣٣٩٨، ٣٣٩٩، ٣٤٠٠، ٣٤٠١، ٣٤٠٢، ٣٤٠٣، ٣٤٠٤، ٣٤٠٥، ٣٤٠٦، ٣٤٠٧، ٣٤٠٨، ٣٤٠٩، ٣٤١٠، ٣٤١١، ٣٤١٢، ٣٤١٣، ٣٤١٤، ٣٤١٥، ٣٤١٦، ٣٤١٧، ٣٤١٨، ٣٤١٩، ٣٤٢٠، ٣٤٢١، ٣٤٢٢، ٣٤٢٣، ٣٤٢٤، ٣٤٢٥، ٣٤٢٦، ٣٤٢٧، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٣٤٣٠، ٣٤٣١، ٣٤٣٢، ٣٤٣٣، ٣٤٣٤، ٣٤٣٥، ٣٤٣٦، ٣٤٣٧، ٣٤٣٨، ٣٤٣٩، ٣٤٤٠، ٣٤٤١، ٣٤٤٢، ٣٤٤٣، ٣٤٤٤، ٣٤٤٥، ٣٤٤٦، ٣٤٤٧، ٣٤٤٨، ٣٤٤٩، ٣٤٥٠، ٣٤٥١، ٣٤٥٢، ٣٤٥٣، ٣٤٥٤، ٣٤٥٥، ٣٤٥٦، ٣٤٥٧، ٣٤٥٨، ٣٤٥٩، ٣٤٦٠، ٣٤٦١، ٣٤٦٢، ٣٤٦٣، ٣٤٦٤، ٣٤٦٥، ٣٤٦٦، ٣٤٦٧، ٣٤٦٨، ٣٤٦٩، ٣٤٧٠، ٣٤٧١، ٣٤٧٢، ٣٤٧٣، ٣٤٧٤، ٣٤٧٥، ٣٤٧٦، ٣٤٧٧، ٣٤٧٨، ٣٤٧٩، ٣٤٨٠، ٣٤٨١، ٣٤٨٢، ٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٣٤٨٥، ٣٤٨٦، ٣٤٨٧، ٣٤٨٨، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٣٤٩١، ٣٤٩٢، ٣٤٩٣، ٣٤٩٤، ٣٤٩٥، ٣٤٩٦، ٣٤٩٧، ٣٤٩٨، ٣٤٩٩، ٣٥٠٠، ٣٥٠١، ٣٥٠٢، ٣٥٠٣، ٣٥٠٤، ٣٥٠٥، ٣٥٠٦، ٣٥٠٧، ٣٥٠٨، ٣٥٠٩، ٣٥١٠، ٣٥١١، ٣٥١٢، ٣٥١٣، ٣٥١٤، ٣٥١٥، ٣٥١٦، ٣٥١٧، ٣٥١٨، ٣٥١٩، ٣٥٢٠، ٣٥٢١، ٣٥٢٢، ٣٥٢٣، ٣٥٢٤، ٣٥٢٥، ٣٥٢٦، ٣٥٢٧، ٣٥٢٨، ٣٥٢٩، ٣٥٣٠، ٣٥٣١، ٣٥٣٢، ٣٥٣٣، ٣٥٣٤، ٣٥٣٥، ٣٥٣٦، ٣٥٣٧، ٣٥٣٨، ٣٥٣٩، ٣٥٤٠، ٣٥٤١، ٣٥٤٢، ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، ٣٥٤٥، ٣٥٤٦، ٣٥٤٧، ٣٥٤٨، ٣٥٤٩، ٣٥٥٠، ٣٥٥١، ٣٥٥٢، ٣٥٥٣، ٣٥٥٤، ٣٥٥٥، ٣٥٥٦، ٣٥٥٧، ٣٥٥

وابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله ، فانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا »^(٧١٦) . وقد ثبت في الصحيح^{٧١٧} : « ان رجلا قال للنبي ﷺ : يا خير البرية ! قال : « ذاك ابراهيم » .

فابراهيم افضل الخلق بعد محمد ﷺ . وقوله : « ذاك ابراهيم » تواضع منه ، فانه قد ثبت عنه ﷺ في الصحيح انه قال : « انا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر »^(٧١٨) .

الى غير ذلك من النصوص المبينة انه افضل الخلق ، وأكرمهم على ربه ، وابراهيم هو الامام الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾^(٧١٩) .

وهو الامة اى القدوة الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾^(٧٢٠) .

وهو الذى يوأه الله مكان البيت ، وأمره ان يؤذن فى الناس بالحج اليه ، وقد حرم الله الحرم على لسانه ، واسماعيل بنائه معه ، وهو الذبيح الذى بذل نفسه لله وصبر على المحنة ، كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة فى غير هذا الموضع ، وامه هاجر هى التى أطاعت الله ورسوله ابراهيم فى مقامها مع ابنها فى ذلك الوادى الذى لم يكن به أنيس ، كما قال الخليل : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾^(٧٢١) .

وكان لابراهيم ولآل ابراهيم من عبة الله وعبادته والايمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم ، فخصهم الله بأن جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد

(٧١٦) جاء فى مسلم بلفظ ان صاحبكم خليل الله — و قد اتخذ الله صاحبكم خليلا . فى فضائل الصحابة (١٨٥٥/٢) وانظر دلائل النبوة (٤٨٥/٥) .

(٧١٧) أخرجه مسلم فى الفضائل (١٨٢٩/٢) وابوداود فى السنة (٥٤/٥) رقم (٤٦٧٢) والترمذى (٢٤٧/٥) رقم (٣٣٥٢) واحد (١٨٤ - ١٧٨/٣) .

(٧١٨) لم يرد فى الصحيح هذا اللفظ إنما أخرجه أحمد (٢٢/٣) والترمذى (٥٨٧/٥) وابن ماجه فى الزهد (١٤٠/٢) (٤٣٠٨) وروى ابن حبان بنحوه (٢١٢٧) موارد) وله شواهد راجع الصحيحة (١٥٧١) .

(٧١٩) سورة البقرة (١٢٤/٢) .

(٧٢٠) سورة النحل (١٢٠/١٦) .

(٧٢١) سورة ابراهيم (٣٧/١٤) .

لغيره ، وجعل ما جعله من أفعاله قدوة للناس وعبادة يتبعونها فيها ، ولا ريب أن الله شرع لإبراهيم السعى ورمى الجمار والوقوف بعرفات بعد ما كان من أمر هاجر وإسماعيل وقصة الذبح وغير ذلك ما كان ، كما شرع لمحمد الرمل في الطواف حيث أمره أن ينادى في الناس بحج البيت ، والحج بمناء على الذل والخضوع لله ، ولهذا خص باسم النسك ، و« النسك » في اللغة العبادة .

قال الجوهري : النسك العبادة ، والناسك العابد ، وقد نسك وتنسك أى تعبد ، ونسك بالضم أى صار ناسكا ، ثم خص الحج باسم النسك لأنه أدخل في العبادة والذل لله من غيره ، ولهذا كان فيه من الأفعال ما لا يقصد فيه إلا مجرد الذل لله ، والعبادة له ، كالسعى ورمى الجمار . قال النبي ﷺ : « انما جعل رعى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لأقامة ذكر الله » رواه الترمذى (٧٢٢)

وخص بذلك الذبح الفداء أيضا دون مطلق الذبح ؛ لأن أراقة الدم لله ابلغ في الخضوع والعبادة له ، ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القربان ؛ بل تأتى نار من السماء فتأكله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧٢٣)

وكذلك كانوا اذا غنوا غنية جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم محضا لله لا للمغنم ، ويكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم ، وأمة محمد ﷺ وسع الله عليهم لكال يقينهم وإخلاصهم ، وانهم يقاتلون لله ولو أكلوا المغنم ، ويذبحون لله ولو أكلوا القربان ، ولهذا كان عباد الشياطين والأصنام يذبحون لها الذبائح أيضا ، فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له .

ولهذا لم يحز الذبح لغير الله ، ولا أن يسمى غير الله على الذبائح ، وحرّم سبحانه ما ذبح على النصب ، وهو ما ذبح لغير الله ، وما سمي عليه غير اسم الله ، وإن قصد به اللحم لا القربان ، ولعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله ، ونهى عن ذبائح الجن ، وكانوا يذبحون للجن ، بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه

مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع .

(٧٢٢) راجع اللسان « نسك » . (٧٢٣) في الحج (٢٤٦/٣) ورواه أبو داود (٤٤٧/٢) رقم (١٨٨٨) والدارمي (٤٤٦) .

(٧٢٤) سورة آل عمران (١٨٣/٣) .

٨ . وقد قال تعالى : ﴿ قَمِصْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ أى انحر لربك ، كما قال الخليل : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٩ . وقد قال هو وإسماعيل اذ يرفعان القواعد من البيت : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَكَ ﴾ .

فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها . كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا فِيمَ تَأْسِكُونَهُ ﴾ .

١٠ . وقال تعالى : ﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ .

وقال : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .

١٥ . فالمقصود تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له ، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية النذل والاخلاص ، وهذه ملة إبراهيم الخليل ، وهذا كله مما يبين ان عبادة القلوب هي الأصل ، كما قال ﷺ : « أن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

٢٠ . والنية والقصد هما عمل القلب ، فلا بد في المتابعة للرسول ﷺ من اعتبار النية والقصد .

(٧٣٦) سورة الانعام (١٦٣/٦)

(٧٢٥) سورة الكوثر (٢/١-٨)

(٧٢٧) سورة البقرة (٢/١٢٧ - ١٢٨)

(٧٢٨) سورة الحج (٢٢/٦٧)

(٧٢٩) سورة الحج (٢٢/٣٤)

(٧٣٠) سورة الحج (٢٢/٢٧)

(٧٣١) سورة الحج (٢٢/٢٢)

(٧٣٢) رواه البخارى فى الايمان (١٩١/١) ومسلم فى المساقاة (١٢٢٠/٢) عن النعمان بن بشير كما اخرجہ ابن ماجة (١٢١٨/٢) رقم (٣٩٨٤) والدارمى (٦٤١) واحمد (٢٧٠/٤ - ٢٧٤)

ومن هذا الباب ان النبي ﷺ لما احتجم وأمر بالحجامة . وقال في الحديث الصحيح : « شفاء امتي في شرطة محجم ، او شربة عسل ، او كية بنار ، وما أحب أن أكتوى »^(٧٣٣)

- كان معلوما ان المقصود بالحجامة اخراج الدم الزائد الذي يضر البدن ، فهذا هو المقصود ، وخص الحجامة لأن البلاد الحارة يخرج الدم فيها الى سطح البدن .
 فيخرج بالحجامة ، فلهذا كانت الحجامة في الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استفراغ الدم ، وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها الى المروق فيحتاجون الى قطع المروق بالفصد ، وهذا أمر معروف بالحس والتجربة ، فانه في زمان البرد تسخن الأجواف وتبرد الظواهر ، لأن شبيه الشيء منجذب اليه ، فاذا برد الهواء برد ما يلاقيه من الابدان والأرض ، فيهرب الحر الذي فيها من البرد المضاد له الى الأجواف فيسخن باطن الأرض ، وأجواف الحيوان ، ويأوى الحيوان الى الأكنان الدافئة . ولقوة الحرارة في باطن الانسان يأكل في الشتاء وفي البلاد الباردة أكثر مما يأكل في الصيف وفي البلاد الحارة ؛ لأن الحرارة تطبخ الطعام وتصرفه ، ويكون الماء النافع في الشتاء سخنا لسخونة جوف الارض ، والدم سخن فيكون في جوف المروق لا في سطح الجلد ، فلوا احتجم لم ينفعه ذلك بل قد يضره ، وفي الصيف والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون البواطن باردة فلا ينهمز الطعام فيها كما ينهمز في الشتاء ، ويكون الماء النافع باردا لبرودة باطن الأرض ، وتظهر الحيوانات الى البرارى لسخونة الهواء ، فهولاء قد لا ينفعهم الفصد ، بل قد يضرهم ، والحجامة أنفع لهم .

- وقوله : « شفاء امتي » اشارة الى من كان حينئذ من امته وهم كانوا بالحجاز ، كما قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » لأن هذا كان قبلة امتي حينئذ : لأنهم كانوا بالمدينة وما حولها ، وهذا كما انه في آخر الأمر بعد ان فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاث مواقيت للمدينة ولنجدة وللشام ، ولما

(٧٣٣) رواه البخارى في الطب عن ابن عباس (١٢٧) ولفظه « الشفاء في ثلاث . .

وأخرجه أيضا ابن ماجة (١١٥٥/٣) رقم (٣٤٩١) واحد (٢٤٥/١) - (٢٤٦) .

وله شاهد من حديث جابر أخرجه البخارى (١٦٠١٥، ١٦٧٧) وسلم (١٧٢٩/٢) واحد (٣٤٢/٣) وراجع الصحيحة للالبانى رقم (١١٥٤) .

(٧٣٤) أخرجه الترمذى في الصلاة (١٧٢/٢) رقم (٣٤٤) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أيضا النسائى في الصيام

(١٧٢/٤) وابن ماجة في الأقامة (٣٣٢/١) رقم (١٠١١) .

فتح البين وقت لم يللم ، ثم وقت ذات عرق لأهل العراق ، وهذا كما انه فرض^(٧٣٥) صدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير عن كل صغير وكبير ذكرا وأنثى من المسلمين ، وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة ؛ لأن الشعير والتمر كان قوتهم ، ولهذا كان جماهير العلماء على انه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، وهل يجزيه ان يخرج التمر والشعير اذا لم يكن يقتاته ، فيه قولان للعلماء .

وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة التي تشبه قوس الندف ، وفتح الله لهم بها البلاد ، وقد رويت آثار في كراهة الرمي بالقوس الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار ، فاما بعد ان اعتادها المسلمون وكثرت فيهم وهي في انفسها أنفع في الجهاد من تلك القوس ، فلا تكره في اظهر قولي العلماء ، أو قول أكثرهم ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾^(٧٣٦)

والقوة في هذا أبلغ بلا ريب . والصحابة لم تكن هذه عندهم فعدلوا عنها الى تلك ؛ بل لم يكن لهم غيرها ، فينظر في قصد الرمي أكان لحاجة إليها اذ ليس لهم غيرها ؟ أم كان لمعنى فيها ؟ ومن كره الرمي بها كرهه لمعنى لازم ، كما يكره الكفر وما يستلزم الكفر ، أم كرهها لكونها من شعائر الكفار فكره التشبه بهم ؟

وهذا كما أن الكفار من اليهود والنصارى اذا لبسوا ثوب النصارى من أصفر وأزرق نهى عن لباسه لما فيه من التشبه بهم ، وإن كان لو خلا عن ذلك لم يكره ، وفي بلاد لا يلبس هذه الملابس عندهم الا الكفار فنهى عن لبسها ، والذين اعتادوا ذلك من المسلمين لا مفسدة عندهم في لبسها .

ولهذا كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان في لباسه تشبه بمن يظلم أو يعين على الظلم ، وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم ، فاما اذا لم يكن فيه مفسدة لم يثبه عنه .

(٧٣٥) راجع البخاري (١٣٨/١) ومسلم (٦٧٧/١) والترمذي (٦١/٢) والنسائي (٤٧٥) واحد (١٢/٢) والبيهقي في سننه (١٦١/٤ - ١٦٢) .

(٧٣٦) سورة الانفال (١٠/٨) .

وكره من كره من الصحابة والتابعين بيع الأرض الخراجية ، لأن المسلم المشتري لها اذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة في التزام الجزية ، فان الخراج جزية الأرض ، وان لم يؤدها ظلم المسلمين باسقاط حقهم من الأرض ، لم يكرهوا بيعها لكونها وقفا ، فان الوقف انما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف ، ولهذا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، والأرض الخراجية تنتقل الى الوراث باتفاق العلماء ، وتجاوز هبتها ، والتهب المشتري يقوم فيها مقام البائع فيؤدي ما كان عليه من الخراج ، وليس في بيعها مضرة لمستحقي الخراج كما في بيع الوقف . وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها لكونها وقفا ، واشتبه عليهم الأمر ، لأنهم رأوا الآثار مروية في كراهة بيعها ، وقد عرفوا ان عمر جعلها فيئا لم يقسمها قط ، وذلك في معنى الوقف ، فظنوا ان بيعها مكروه لهذا المعنى ، ولم يتأملوا حق التأمل فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع المنهى عنه في الوقف ، فان هذه يصرف مغلها الى مستحقها قبل البيع وبمده ، وعلى حد واحد ، ليست كالدار التي اذا بيعت تعطل نفعتها عن أهل الوقف وصارت للمشتري .

- وأعجب من ذلك أن طائفة من هؤلاء قالوا : مكة انما كره بيع رباها ١٥ لكونها فتحت عنوة ، ولم تقسم ايضا ، وهم قد قالوا مع جميع الناس ان الأرض العنوة التي جعلت ارضا فيئا يجوز بيع مساكنها ، والخراج انما جعل على المزارع لا على المساكن ، فلو كانت مكة قد جعلت أرضها للمسلمين ، وجعل عليها خراج لم يمتنع بيع مساكنها لذلك ، فكيف ومكة أقزها النبي ﷺ بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا ؛ ولهذا قال ٢٠ من قال : انها فتحت صلحا ، ولا ريب انها فتحت عنوة . كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة ، لكن النبي ﷺ أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل الا من قاتله ، ولم يسب لهم ذرية ، ولا غنم لهم مالا ، ولهذا سمو الطلقاء .

وأحد وغيره من السلف انما عللوا ذلك بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين . كما قال تعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ ١٥ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (٧٣٧)

وهذه هي العلة التي اختصت بها مكة دون سائر الامصار ، فان الله أوجب حبها على جميع الناس ، وشرع اعتبارها دائما فجعلها مشتركة بين جميع عباد . كما قال : (سواء العاكف فيه والباد) ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان فهو أحق به حتى ينتقل عنه ، كالمساجد ، ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو أحق به ، والانسان أحق بمسكنه مادام محتاجا اليه وما استغنى عنه .
المنافع فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج ، وغيرهم ، ولهذا كانت الأقوال في اجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة .

قيل : لا يجوز لا هذا ، ولا هذا . وقيل : يجوز الأمران . والصحيح انه يجوز بيع رباعها ، ولا يجوز اجارتها ، وعلى هذا تدل الآثار المنقولة في ذلك عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضی الله عنهم ، فان الصحابة كانوا يتبايعون دورها ، والدور تورث وتوهب ، واذا كانت تورث وتوهب جاز ان تباع بخلاف الوقف ، فانه لا يباع ولا يورث ولا يوهب . وكذلك أم الولد من لم يجوز بيعها لم يجوز هبتها ولا أن تورث .

وأما اجارتها فقد كانت تدعى السوائب — على عهد النبي ﷺ ، وإبى بكر ، وعمر رضی الله عنهما من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن ؛ لأن المسلمين كلهم محتاجون الى المنافع ، فصارت كمنافع الأسواق والمساجد والطرق التي يحتاج اليها المسلمون ، فمن سبق الى شيء منها فهو أحق به ، وما استغنى عنه أخذه غيره بلا عوض ، وكذلك المباحات التي يشترك فيها الناس ، ويكون المشتري لها استفاد بذلك أنه أحق من غيره مادام محتاجا ، واذا باعها الانسان قطع اختصاصه بها وتوريثه اياها ، وغير ذلك من تصرفاته ، ولهذا له أن لا يبذله الا بعوض ، والنبي ﷺ من على أهل مكة ، فان الأسير يجوز لمن عليه للمصلحة ، وأعطاهم مع ذلك ذراريهم وأموالهم ، كما من على هوازن لما جاءوا مسلمين باحدى الطائفتين : السبي أو المال ، فاخترأوا السبي فأعطاهم السبي وكان ذلك بعد القسمة ، فعوض عن نصيبه من لم يرض بأخذه منهم ، وكان قد قسم المال فلم يرد عليه ، وقرش لم تحاربه كما حاربه هوازن ، وهو انما من على من لم يقاتله منهم كما قال :^(٧٣٨) « من اغلق بابيه فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(٧٣٨) رواه مسلم في الجهاد (١٤٠٧/٢) وأبو داود (٤١٨/٣) رقم (٣٠٢٤) وأحمد (٥٣٨٢٩٢/٢) .

فلما كف جمهورهم عن قتاله ، وعرف انهم مسلمون أطلقهم ، ولم يغنم أموالهم ولا حرّيمهم ، ولم يضرب الرق لا عليهم ولا على أولادهم بل ساهم الطلقاء من قريش ، بخلاف ثقيف فانهم سموا العتقاء ، فانه أعتق أولادهم بعد الاسترقاق والقسمة ، وكان في هذا ما دل على ان الامام يفعل بالأموال والرجال والعقار والمنقول ما هو أصلح ، فان النبي ﷺ فتح خيبر فقسمها بين المسلمين ، وسبي بعض نساؤها ، وأقر سائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعد ذلك ، فلم يسترقهم ، ومكة فتحها عنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة .

وقد تنازع العلماء في الأرض اذا فتحت عنوة هل يجب قسمها كخيبر لأنها مغنم ، أو تصير فيئاً كما دلت عليه سورة الحشر ، وليست الأرض من المغنم ، أو يخير الامام فيما بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال ، وأكثر العلماء على التخيير ، وهو الصحيح ، وهو مذهب ابى حنيفة وأحمد في المشهور عنه وغيرهما .

ولو فتح الامام بلداً وغلب على ظنه ان اهله يسلمون ويجاهدون جاز أن يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ، كما فعل النبي ﷺ بأهل مكة ، فانهم أسلموا كلهم بلا خلاف ، بخلاف أهل خيبر فانه لم يسلم منهم أحد ، فأولئك قسم أرضهم لأنهم كانوا كفاراً مصرين على الكفر ، وهؤلاء تركها لهم لأنهم كلهم صاروا مسلمين ، والمقصود بالجهاد ان تكون كلمة الله هي العليا ، وان يكون الدين كله لله ، وقد كان النبي ﷺ يعطى المؤلفه قلوبهم ليتألفهم على الاسلام ، فكيف لا يتألفهم بابقاء ديارهم وأموالهم .

وهم لما حضروا معه حينئذ اعطاهم من غنائم حنين ما تألفهم به ، حتى عتب بعض الأنصار ، كما في الصحيحين^(٧٣٩) عن انس بن مالك « ان ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من اموال هوازن ما أفاء ، فطفق رسول الله ﷺ يعطى رجلاً من قريش المائة من الابل . فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم — قال انس : فحدث ذلك النبي ﷺ من قولهم ، فأرسل رسول الله ﷺ الى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : (ما حديث بلغني

(٧٣٩) رواه البخاري في المحم (٥٧/١) وفي المفاز (١٠٤/٥) ومسلم في الزكاة (٧٣٤/١ - ٧٣٦) كما أخرجه احمد في مستدركه (١٦٦/٣) .

عنكم ؟ !) فقال له فقهاء الانصار : أما ذورأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئا ،
وأما أناس منا حديثه اسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قرشا
ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

فقال رسول الله ﷺ (فاني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتالفهم ، أفلا
ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون الى رجالكم برسول الله ؟ !
فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) قالوا بلى يارسول الله ! قد رضينا .
قال : فانكم ستجدون بعدى أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ،
فاني على الخوض قالوا : نصبر — .

وفي رواية — لوسلك الناس واديا أو شعبا وسلكت الأنصار واديا أو شعبا
لسلكت وادى الأنصار وشعبهم ، الناس دثار ، والأنصار شعار ، ولولا الهجرة
لكننت امرأة من الانصار ، وحدثهم حتى بكوا رضى الله تعالى عنهم .
فهذا كله بذل وعطاء لأجل اسلام الناس ، وهو المقصود بالجهاد .

ومن قال : ان الامام يجب عليه قسمة العقار والمنقول مطلقا ، فقلوه في
غاية الضعف مخالف لكتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر ، وليس معه حجة
واحدة توجب ذلك ، فان قسمة النبي ﷺ خير تدل على جواز ما فعل ، لا تدل
على وجوبه ، اذ الفعل لا يدل بنفسه على الوجوب ، وهو لم يقسم مكة ولا شك
انها فتحت عنوة ، وهذا يعلمه ضرورة من تدبر الأحاديث ، وكذلك المنقول :
من قال : انه يجب قسمة كله بالسوية بين الغانين في كل غزاة فقلوه ضعيف ،
بل يجوز فيه التفضيل للمصلحة ، كما كان النبي ﷺ يفضل في كثير من
المغازي .

والمؤلفة قلوبهم الذين اعطاهم النبي ﷺ من غنائم خيبر فنيا أعطاهم
قولان : أحدهما أنه من الخمس ، والثاني أنه من أصل الغنيمة ، وهذا اظهر . فان
الذى أعطاهم اياه هو شيء كثير لا يحتمله الخمس ، ومن قال العطاء كان من
خمس الخمس فلم يدر كيف وقع الأمر ، ولم يقل هذا أحد من المتقدمين ، هذامع
قوله : « ليس لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود عليكم » وهذا

(٧٤٠) أخرجه مالك في الموطأ مريلا (٤٥٨) ورواه النسائي في الفئى (١٢١/٧) واحد في مسنده (٣٦١، ٣٦٩، ٣٦٧/٥)
عن مجاهدة بن الصامت .

لأن المؤلف قلوبهم كانوا من العسكر ، فضلهم في العطاء للمصلحة كما كان يفضلهم فيما يقسمه من الفىء للمصلحة .

وهذا دليل على ان الغنية للامام ان يقسمها باجتهاده كما يقسم الفىء باجتهاده ، اذا كان امام عدل قسمها بعلم وعدل ، ليس قسمتها بين الفانين كقسمة الميراث بين الورثة ، وقسمة الصدقات في الأضناف الثانية ، ولهذا قال في الصدقات : « ان الله لم يرض فيها بقسمة نبي ولا غيره ، ولكن جعلها ثمانية أضناف^(٧٤١) ، فان كنت من تلك الأضناف أعطيتك »^(٧٤٢)

فعل ان ما أفاء الله من الكفار بخلاف ذلك ، وقد قسم النبي ﷺ من خير لأهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ، ولم يقسم لأحد غاب عنها غيرهم ، وقسم من غنائم بدر لطلحة والزبير وعثمان ، وكان قد اقام بالمدينة ، وهؤلاء الذين كانوا يريدون القتال وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها في جهاد .

وأيضاً أهل السفينة وطلحة والزبير وعثمان لم يكونوا كغيرهم ، والقتال لم يكن لأجل الغنية ، فليست الغنية كمباح اشترك فيه ناس مثل الاحتشاش والاحتطاب والاصطياد ، فان ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال ، بخلاف الغنية ، بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهداً في سبيل الله ، ولهذا لم تبح الغنائم لمن قبلنا وايحت لنا معونة على مصلحة الدين .

فالفنائم ايحت لمصلحة الدين وأهله ، فمن كان قد نفع المجاهدين بنفع استعانوا به على تمام جهادهم جعل منهم وان لم يحضر ، ولهذا قال النبي ﷺ « للمسلمون يد واحدة يسمى بذمتهم ادنامهم ، ويرد متسريهم على قاعدتهم » فان المتسرى انما تسرى بقوة القاعد ، فالعاونون للمجاهدين من المجاهدين ، ولبسط هذه الامور موضع اخر .

والمقصود هنا : ذكر متابعة النبي ﷺ ، وهو انه يعتبر فيه متابعة في قصده ، فاذا قصد مكاناً للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة ، واما اذا صلى فيه اتفاقاً من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة ، ولهذا لم يكن جمهور

(٧٤١) رواه أبو داود عن زياد بن الحارث الصدائى (٢٨٢/٢) رقم (١٦٣٠) وذكره الالبانى في ضعيف الجامع الصغير (١٦٤٢) .

(٧٤٢) أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦٧٠/٤) رقم (٤٥٣١) . وأخرجه ابن ماجة بنحوه (٨٦٥/٢) رقم (٣٦٨٥) .

الصحابة يقصدون مشابته في ذلك ، وابن عمر رضي الله عنهما مع انه كان يحب مشابته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة إلا في الموضع الذي صلى فيه لافي كل موضع نزل به ، ولهذا رخص أحد بن حنبل في ذلك اذا كان شيئاً يسيراً ، كما فعله ابن عمر ونهى عنه رضي الله عنه اذا كثرت لأنه يقضى الى المفسدة ، وهى اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهى التى تسمى المشاهد .

وما أحدث في الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثه في الاسلام ، من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام ، وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وسد ابواب الشرك التى يفتحها الشيطان لبني آدم ، ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد واخلاص الدين لله ومعرفته دين الاسلام هم اكثر تعظيماً لمواضع الشرك ، فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه اولى بالتوحيد واخلاص الدين لله ، وأهل الجهل بذلك أقرب الى الشرك والبدع .

ولهذا يوجد ذلك في الرافضة اكثر مما يوجد في غيرهم ، لأنهم أجهل من غيرهم ، واكثر شركاً وبدعاً ، ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ، ويخربون المساجد اكثر من غيرهم ، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، ولا يصلون فيها ان صلوا الا أفذاذاً ، وأما المشاهد فيعظمونها اكثر من المساجد ، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ، ويسمونها الحج الاكبر ، وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه 'مناسك حج المشاهد' وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال مالا يوجد في سائر الطوائف ، وان كان في غيرهم ايضا نوع من الشرك والكذب والبدع ؛ لكن هو فيهم اكثر ، وكلما كان الرجل اتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله واخلاصاً له في الدين ، واذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك ، فاذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو اقرب منه الى اتباع الرسول .

(٧٤٣) ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام المكي . يعرف بابن المعلم . حقق اسامى ، انتهت اليه رئاسة الشيعة في وقته . كثير التصانيف في الاصول والكلام والفقه . توفي سنة ٤١٣ هـ .
انظر تاريخ بغداد (٣/٢٣١) الميزان (٣٠/٤) السير (٣٤٤/١٧) الوافي (١١٦/١) اعيان الش (٢٠/١٦) - (٢٦)
الاعلام (٢١/٧) معجم المؤلفين (٢٠٦/١١) .

فبين الله تعالى ان المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، وبين انما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، وهذه صفة أهل التوحيد واخلص الدين لله الذين لا يخشون الا الله ، ولا يرجون سواه ، ولا يستعينون الا به ، ولا يدعون الا اياه ، وعمار المشاهد يخافون غير الله ، ويرجون غيره ، ويدعون غيره ، وهو سبحانه لم يقل انما يعمر مشاهد الله ، فان المشاهد ليست بيوت الله ، انما هي بيوت الشرك ، ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد ، ولا عن النبي ﷺ في ذلك حديث ، وانما ذكره الله عن كان قبلنا انهم بنوا مسجدا على قبر أهل الكهف ، وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال ﷺ في الحديث الصحيح :
 « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » .

ففى هذا الحديث ذم أهل المشاهد ، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة ، كما قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا » . وقال : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدم او اكثرها كذب ، فان الشرك مقرون بالكذب في كتاب الله كثيرا . قال تعالى : ﴿ وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حَنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾^(٧٥١) . وقال النبي ﷺ : « عدلت شهادة الزور الاشرار بالله » قالها ثلاثا .

وذلك كالشهد الذى بنى بالقاهرة على رأس الحسين ، وهو كذب باتفاق أهل العلم ، ورأس الحسين لم يحمل الى هناك أصلا ، وأصله من عسقلان . وقد قيل انه كان رأس راهب ، ورأس الحسين لم يكن بعسقلان ، وانما أحدث هذا فى اواخر دولة الملاحدة بنى عبيد .

(٧٥٠) راجع من هذه الاحاديث .

(٧٥١) سورة الحج (٣١/٢٢) .

(٧٥٢) اخرجته الترمذى فى الشهادات(٥٤٧/٤) عن ابن بن خريم وعن غريم بن فائق . وقال هذا اصح . واخرجه ابن ماجة (٢٩٤/٢) رقم ٢٣٧٢ وابوداود (٢٤٤/٤) رقم ٢٥٩٩ واحد (١٧٨/٤) (٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٢) .

وكذلك مشهد على — رضى الله عنه — انما أحدث في دولة بنى بويه ،
وقال محمد بن عبد الله ^(٧٥٣) مَطِين الحافظ وغيره : انما هو قبر المغيرة بن شعبة رضى
الله عنه ، وعلى رضى الله عنه انما دفن بقصر الامارة بالكوفة ، ودفن معاوية
بقصر الامارة بدمشق ، ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر ، خوفا عليهم
اذا دفنوا في المقابر البارزة ان ينشهم الخوارج المارقون ، فان الخوارج كانوا
تعاهدوا على قتل الثلاثة ، فقتل ابن ملجم عليا ، وجرح صاحبه معاوية ،
وعمر بن الخطاب كان استخلف رجلا اسمه خارجة فقتله الخارجي . وقال : اردت عمرا
وأراد الله خارجة . فسارت مثالا .

- فالمقصود ان هذا المشهد انما أحدث في دولة الملاحدة دولة بنى عبيد ، وكان
فيهم من الجهل والضلال ومعاوضة الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة والرافضة
١٠ أمور كثيرة ، ولهذا كان في زمنهم قد تضعع الاسلام تضععا كثيرا ، ودخلت
النصارى الى الشام ، فان بنى عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم غرض في الايمان
بالله ورسوله ، ولا في الجهاد في سبيل الله ، بل في الكفر والشرك ومعاودة
الاسلام بحسب الامكان ، واتباعهم كلهم أهل بدع وضلال ، فاستولت النصارى
في دولتهم على اكثر الشام ، ثم قبيض الله من ملوك السنة مثل : نور الدين ،
١٥ صلاح الدين ، واخوته واتباعهم ففتحوا بلاد الاسلام ، وجاهدوا الكفار
والمنافقين .

- ونهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، لأن
المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها ، وإن كان المسلم المصل
لا يقصد السجود لها ، لكن سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشركين في بعض الامور
التي يختصون بها فيفيض الى ما هو شرك ؛ ولهذا نهى عن تحرى الصلاة في هذين
الوقتين ، هذا لفظ ابن عمر ^(٧٥٤) الذي في الصحيحين . فقصص الصلاة فيها منهي
عنه .

وأما اذا حدث سبب تشرع الصلاة لأجله : مثل تحية المسجد ، وصلاة

(٧٥٣) أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي ، الملقب بمطين .

الحافظ ، الصدوق ، محدث الكوفة . توفي سنة ٢٩٧ هـ .

ترجمته في طبقات الحنابلة (٣٠٠/١ - ٣٠١) التذكرة (٦٦٧/٢) السير (٤١/١٤) الوافي (٢٤٥/٢) تاريخ التراث
(٣١٩/١) .

(٧٥٤) أخرجه البخاري في الواقيت (١٤٥/١ - ١٤٦) ومسلم في صلاة المسافرين (٥٦٧/١ - ٥٦٨) وأخرجه ايضا احمد في
مسنده في طبقات الحنابلة (١٠٦٠٢٣٣٦٣٣١٩١٢/٢) وهو عند مالك في الموطأ (٢٢٠) .

- ١١ - تفسير الطبرى :
مصطفى البابی الحلبي ط٣ - القاهرة .
- ١٢ - تفسير ابن كثير :
المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٣ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي :
المكتب الاسلامي / بيروت .
- ١٤ - تفسير القرطبي :
دار احياء التراث العربي / بيروت ١٩٦٧ .
- ١٥ - تفسير البغوى على هامش تفسير الخازن .
- ١٦ - تفسير الخازن :
دار الفكر / بيروت .
- ١٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني .
- ١٨ - سلسلة الاحاديث الضعيفة للالباني .
- ١٩ - تقريب التهذيب لابن حجر :
دار المعرفة / بيروت .
- ٢٠ - تهذيب التهذيب لابن حجر :
حيدرآباد .
- ٢١ - سير اعلام النبلاء للذهبي :
مؤسسة الرسالة / بيروت .
- ٢٢ - الوافي بالوفيات للبصفي :
المانيا .
- ٢٣ - تاريخ التراث العربي لفواد مزين (الترجمة العربية) :
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض .
- ٢٤ - تاريخ الادب العربي لبروكلمن (الترجمة العربية) :
دار المعارف بمصر .
- ٢٥ - الاعلام للزركلي :
دار العلم للملايين / بيروت .

- ٢٦ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله :
دار احياء التراث / بيروت .
- ٢٧ - كشف الظنون لحاجي خليفة :
دار العلوم الحديث / بيروت .
- ٢٨ - ميزان الاعتدال للذهبي :
دار المعرفة / بيروت .
- ٢٩ - شعب الايمان للبيهقي (بتحقيقنا) .
- ٣٠ - طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى :
دار المعرفة / بيروت .
- ٣١ - الملل والنحل للشهرستاني .
- ٣٢ - الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم :
دار الفكر / بيروت .
- ٣٣ - الفرق بين الفرق :
دار الآفاق الجديدة / بيروت ١٤٠٠ هـ .
- ٣٤ - الرد على الزنادقة والجهمية : للامام احمد بن حنبل
الدار السلفية للنشر - الكويت ١٤٠٣ هـ

☆☆☆

الصفحة : السطر :

« وهذا الاسناد »	في النسختين	١	٥١
« بشار »	» »	٧	٥١
« أبى الشعشاء بن أنس » وهو خطأ .	» »	١٠	٥٣
« الحلم ، أوقال : الكرم »	» »	٤	٥٤
كذا في النسختين وهو الصواب . وفي الفتاوى : رجل صم .		١٣	٥٥
وفي اللسان : رجل صَم ، وصِمِم ، وصِمَام ، وصِمَامَة ،			
وَصُمِم ، وَصَامِم ؛ مَصَم . قال ابو عبيد : الصمم (بالكسر)			
الغليظ من الرجال . وكذا قال ابن الاثير في النهاية . والصَّم			
من أسماء الاسد . والصَّمَة : الرجل الشجاع .			
« مقصود له واليه » .	في النسختين	٣	٥٦
« يعلق »	»	٥	٥٦
« كما قيل في السديد » .	»	١٢	٥٧
« في الاكثر من المواضع » .	»	٢	٥٨
« في ان الصمت السكوت » .	»	١٠	٥٨
« التَّهَم » وهو خطأ . راجع اللسان	»	١٣	٥٨
« صمت » .			
« وما يناسب هذه المعاني معنى	»	١	٥٩
« الصبر » .			
قوله « الا الله تعالى » سقط من النسختين .		٤	٦١
« ماجاءني احد الا اكرمه » .	في النسختين :	٥	٦١
« احدى عشر » .	»	٧	٦١
« دين المسلمين »	»	٢٠	٦٨
الجملة من قوله « وهم يقولون » — الى قوله — « ما يمتنع		٩	٦٩
عليه سقطت من النسختين .			

الصفحة : السطر :

« مما تقوله القدرية » .	٧	٧٠	في الطبعتين :
« وإن الخلق ينقلب من جنس آخر » .	٩	٧٠	»
« وهى بعينها باقية » .	١٢	٧٠	»
« يخلق فى هذه الدار ثانياً أمثالهم » .	٨	٧٦	»
« بخلقكم للبعث بعد الموت » .	٢	٧٧	»
« الذى يريه الله » .	٧	٧٧	»
« بخلاف ما اذا فعل ثانياً » .	٥	٧٩	»
« لأنّ الجسد الثانى مباين » .	٢١	٧٩	»
« ولأنّ النشأة الثانية » .	٢٢	٧٩	»
« نبات آخر اكله انسان » .	٢٥	٧٩	وفى الفتاوى :
« ينزل الى المعدة طعام وشراب » .	١٦	٨٠	فى النسختين :
« شهد على غيره من الاموال » .	٨	٨٢	»
« التقيا وبينها مادة » .	٦	٨٦	»
« نقصت احدهما » .	١٠	٨٦	»
« فان النار تحلّ » .	٢٢	٨٦	»
« كاتقلاب الماء علقه » .	٧	٨٨	»
« كما جعلوا له ولداً بأيّ معنى » .	٢٢	٨٩	»
« فصل فى قول اليهود والنصارى فى الرب جلّ وعزّ » .	١	٩٠	فى الطبعة المنيرية :
« جميع انواع الانحاذات لأصطفاه » .	٩	٩٠	فى النسختين :
« فصل فى عقائد العرب فى الرب وتحقيق عقائد النصارى فيه جلّ وعزّ » .	١	٩٥	فى المنيرية :

الصفحة . السطر :

« سموها مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التي هي عندهم الجسم ، وهذه المفارقات عندهم ما لا يكون جسماً » .	في النسختين :	١٨	١٤٧
« فن جعل الملائكة والارواح ونحو ذلك جسماً بالمعنى اللغوي » . ولعل الصواب ما اثبتناه .	»	٢٥	١٤٧
« اصله من الدار » .	»	١٧	١٤٨
« بدعة في الشرع باطلا في الشرع » .	»	٢٦	١٤٩
سقط من النسختين من الحديث قوله « فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك » .		٢	١٥٦
« معنى هذه النصوص » .	في النسختين:	٤	١٦٠
سقط قوله « إلا الله » من النسختين .		١٩	١٦١
« يتسكون بما يحدثونه في كلام الائمة » .	في النسختين:	٧	١٦٣
التأويل « مكان » الطعام « ولعله الصواب .	»	٢٠	١٦٤
« لابلغة العرب » .	»	١٢	١٦٦
« فالكيفية هي التأويل » .	»	٢	١٧٢
هذه الآية غير موجودة في النسختين .		٢٠	١٧٢
« لكن الذي ثبت منه » .	في النسختين :	١٩	١٧٥
« التعليق » .		١٥	١٧٦
سقطت من النسختين العبارة من قوله « واما ترك الانكار مطلقا » — الى قوله — « ويحشر المكره على نيته » .		١	١٧٩

الصفحة :السطر :

١٨٢	٧	في الفتاوى « ليس بشيء » مكان « وليس بالضى » وهو خطأ .
١٨٢	١٦	سقط من النسختين « واما التفسير الوالى عن ابن عباس . »
١٨٤	٢	في النسختين : « في موضعين معينين » .
١٨٥	٢١	في الفتاوى : « وليس معناه فاطم » والتصحيح من النسختين .
١٨٩	٦	في النسختين : « ليتفقن اولئك فقها » .
١٨٩	٨	» « قال بقية استهدى ابن عيينة » .
١٩٦	٦	» « كان ترك هذا الوصف اقرب في ذمهم من غيره » .
١٩٧	١٠	هذا سقط كبير في النسختين ففيها : ان الراخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، بل الثابت عن الصحابة ان المتشابه يعلمه الراخون . وما ذكر من قراءة ابن مسعود واى بن كعب ليس لها اسناد » .
١٩٨	١	في النسختين : « رواه الناس عامة اهل الحديث والتفسير » .
١٩٨	١٩	سقطت كلمة « تقتضى » من النسختين .
١٩٩	٣	تعليق : « عبد الله بن ابي نجيح المكي . روى التفسير عن مجاهد قال الذهبي : هو من اخص الناس بمجاهد رمى بالقدر و هو من الائمة الاثبات
		قال على بن المدينى : اما التفسير فهو فيه ثقة يعلمه قد قفز القنطرة واحتج به ارباب الصحاح .
		قال الذهبي : ولعله رجع عن البدعة . وقد رأى القدر جماعة من الثقات واخطأوا . نسأل الله العفو راجع سير اعلام النبلاء (١٢٦/٦)
٢٠٠	٦	في النسختين : « فأى شيء من هذا مما يدل » .
٢٠١	٣	» « مما ينصرون به المتشابه » .

- ٢٢٨ ٢٠ سقط من النسختين : « لا تقول أنه قد كان في وقت من الاوقات ولا قدرة له جنى خلق لنفسه قدرة » .
- ٢٣١ ٢٥ في النسختين : « انمت لنا ربك » . ولكن لفظ الحديث عند احمد والترمذى « أنسب » .
- ٢٣٤ ١١ » « كالرجل » مكان « كالدجال » وهو تصحيف .
- ٢٣٦ ٩ » « خطاب الهى القى اليه » .
- ٢٣٧ ١٣ في الفتاوى : « ويعرف من حقائق الايمان الباطن » . والصواب « لا يعرفه » كما في النسختين .
- ٢٣٧ ٢٣ في النسختين : « والا من استحل هذا » .
- ٢٣٨ ٢٤ سقط من النسختين قوله « وتارة يصلون » .
- ٢٤٠ ١٢ سقط من النسختين « قد ذكر اخبار المسلمين » .
- ٢٤١ ٣ وفي النسختين : « وكان الخليل عليه السلام في المغارة » .
- ٢٤٤ يضاف في التعليق (٦٨٢) : وروى ابن ماجة عن ابى هريرة ان النبي ﷺ كان يصوم الاثنين ف قيل يا رسول الله ! انك تصوم الاثنين والخميس ؟ فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا متهاجرين يقول دعها حتى يسطلحا (٥٥٣/١ رقم ١٧٤٠) .
- وقال فى الزوائد : اسناده صحيح ، غريب . ومحمد بن رفاعة ذكره ابن حبان فى الثقات ، تفرد بالرواية عنه الضحاك بن مخلد ، وباقى اسناده على شرط الشيخين .
- وله شاهد من حديث اسامة بن زيد رواه ابوداود (٨١٤/٢ رقم ٢٤٢٦) والنسائى (٢٠٢/٤) .
- (قلت) لفظ الحديث عند النسائى :

قال اسامة بن زيد : قلت يا رسول الله ! انك تصوم حتى لا تكاد تفطر ، وتفطر حتى لا تكاد ان تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك ، والاحتما ؟ قال ائ يومين ؟
قلت : يوم الاثنين والخميس .
قال : ذاك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين ، فأحب ان يعرض على وانا صائم .

٢٤٥	٧	في النسختين :	« لم يقصد سجدا بعينه يذهب اليه هو » . وظاهر انه خطأ .
٢٤٦	١	»	« ويستحب زيارة قبور البقيع » .
٢٥٠	١٢	»	« ولا يقبل وجه الارض » .
٢٥٢	١١ -	»	« يوم الجمعة في السفر لا يعرفه ولا بغيرها ، ولا انه خطب بغير عرفة يوم الجمعة في السفر » .

٢٥٥	٢٤	حديث « لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله » اخرجه مسلم في كتاب الاضاحى (١٥٦٧/٢) والنسائي في الضحايا (٢٣٢٢/٧) واحمد في مسنده (١٥٢، ١١٨، ١٠٨/١) من حديث على بن ابي طالب ، ولفظه « لعن الله من ذبح لغير الله » .
-----	----	--

كما اخرجه احمد من مسند ابن عباس (٣١٧، ٣٠٩/١) .

٢٥٥	٢٥	حديث « نهى النبي ﷺ عن ذبائح الجن » اخرجه البيهقي في سننه (٢١٤/٩) من حديث ابي هريرة . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ووافقه عليه الالباني . راجع الضعيفة رقم (٢٤٠) .
-----	----	---

في النسختين وهذه مسألة ابراهيم .

٢٥٦	١٥	في النسختين وهذه مسألة ابراهيم .
٢٥٧	١٨	« وتظهر الحيوانات الى البرأى لسخونة الهواء » .

٢٦٤	١٦	وفي الفتاوى :
-----	----	---------------

« افراداً » .

فهرس المباحث

٢٦	٢٤	١	كلمة الناشر
٢٦	٢٤	٢	ترجمة المؤلف
٢٦	٢٤	٣	تفسير سورة الاخلاص (تقديم)
٢٦	٢٤	٤	فضائل « قل هو الله احد »
٢٦	٢٤	٥	معنى كونها تعدل ثلث القرآن
٢٦	٢٤	٦	هل القرآن بعضه افضل من بعض
٢٦	٢٤	٧	تفسير « قل هو الله أحد »
٢٦	٢٤	٨	معنى « الصمد »
٢٦	٢٤	٩	الآثار الواردة في تفسير « الصمد »
٢٦	٢٤	١٠	سبب نزول سورة الاخلاص
٢٦	٢٤	١١	معنى « السيد »
٢٦	٢٤	١٢	معنى « الاشتقاق » وانواعه
٢٦	٢٤	١٣	القول في « احد » و « الصمد »
٢٦	٢٤	١٤	حديث معلول في صحيح مسلم
٢٦	٢٤	١٥	معنى كونه « لم يلد ولم يولد »
٢٦	٢٤	١٦	معنى الولادة والتوليد
٢٦	٢٤	١٧	هل النجاسة تطهر بالاستحالة
٢٦	٢٤	١٨	كيف تكون النشأة الثانية ؟
٢٦	٢٤	١٩	التولد لابدله من اصلين
٢٦	٢٤	٢٠	معنى « فنفخنا فيه من روحنا »
٢٦	٢٤	٢١	التولد يكون من انفصال جزء من الاصل
٢٦	٢٤	٢٢	تنزيه الله سبحانه عن ان يكون له ولد
٢٦	٢٤	٢٣	تقنيذ قول العرب ان الملائكة بنات الله
٢٦	٢٤	٢٤	قول النصارى في المسيح

٢٥	معنى « الكلمة »	٩٨
٢٦	كلام الرب لا يسمى « ابنا » له	١٠١
٢٧	الرد على دعوى الفلاسفة بقدوم العالم	١٠٧
٢٨	احتجاج الكرامية بسورة الاخلاص على ان الله تعالى جسم ،	
	واحتجاج الجهمية على عكس ذلك	١١٤
٢٩	اثبات الصفات للرب تعالى مذهب السلف	١١٦
٣٠	قول أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية	١١٧
٣١	كراهية وصف الله تعالى بالالفاظ الحديثة	١٢١
٣٢	وجوب رد مسائل النزاع الى الله والرسول	١٢٦
٣٣	معنى « الجسم » في اللغة ، وفي اصطلاح الفلاسفة والمتكلمين	١٢٨
٣٤	رد كلام الفلاسفة	١٣٨
٣٥	رد كلام المتكلمين	١٤٥
٣٦	تحقيق معنى « المتحيز »	١٤٨
٣٧	عدم جواز استخدام كلمة « المركب » و « المؤلف » وغير ذلك	
	في حق الله تعالى	١٥٤
٣٨	ضرورة فهم معنى التوحيد	١٥٥
٣٩	هل كان الرسول يعرف معاني التشابه من القرآن	١٥٩
٤٠	تفسير قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله »	١٦٠
٤١	نقد ابي حامد الغزالي	١٦٢
٤٢	معنى « التأويل »	١٦٤
٤٣	معنى « الاستواء »	١٧٢
٤٤	معنى « التشابه »	١٧٧
٤٥	تفسير المحكم والتشابه	١٨١
٤٦	العلماء يعرفون معنى التشابه	١٨٤
٤٧	الصحابه يفسرون التشابه	١٨٩
٤٨	تفسير الامام احمد للآيات التشابه	٢٠٣
٤٩	الراسخون في العلم يعلمون التأويل	٢١١

٢١٨	تفسير قوله تعالى « الا امانى »	٥٠
٢١٩	تحقيق معنى « الأُمى »	٥١
٢٢٦	ان الرسول ﷺ بين كل ما يحتاج الناس اليه في دينهم	٥٢
٢٢٧	اصناف اهل البدع والضلال	٥٣
٢٣٠	نفى المثل والشريك عن الله	٥٤
٢٣١	سبب نزول سورة الاخلاص	٥٥
٢٣٥	الاستغاثة بغير الله	٥٦
٢٣٨	بدء الشرك في العالم من عبادة البشر	٥٧
٢٣٩	النهي عن اتخاذ القبور مساجد	٥٨
٢٤١	النهي عن السفر الا الى ثلاثة مساجد	٥٩
٢٤٢	معنى متابعة النبي ﷺ في افعاله	٦٠
٢٤٦	زيارة قبور الانبياء والصالحين	٦١
٢٥٥	الذبيح لغير الله	٦٢
٢٥٦	لا بد من اعتبار النية والقصد في متابعة الرسول	٦٣
٢٦٢	تعظيم المشاهد ليس من الاسلام	٦٤
٢٦٩	اهم المصادر والمراجع	٦٥
٢٧٢	استدراكات وتصويبات	٦٦

